

الذخائر ٤٩

الجزء الأول من

فتوح مصر والمغرب

لابن عبد الحكيم

٢٥٧هـ : ٢٨٧١

تحقيق
عبد المنعم عامر



الهيئة العامة للصناعات الثقافية
GENERAL ORGANIZATION for
CULTURE CENTERS

الذخائر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

د. مصطفى الرزاق

المشرف العام

جمال الغيطاني

مدير التحرير

خيري عبد الجواد

المراسلات : باسم مدير التحرير
على العنوان التالي ١٦١ شارع امين سامي - النصر العيني
القاهرة - رقم بريد ١٢٥٦١

موكب النور

تحيا مصر هذه الأيام ذكريات مجيدة، انطبعت
أثارها، من قديم، فى نفوس أفرادها. ففى الوقت الذى
تتأهب فيه للاحتفال بحلول الألفية الثالثة، لميلاد السيد
المسيح، تعاصرنا الذكرى التاريخية العطرة بمرور أربعة
عشر قرناً على دخول الإسلام مصر، الأمر الذى يؤكد
على اللوام أن مصر إنما تحتضن المسيحية والإسلام
معاً، فى وحدة وطنية فريدة، تستحق التقدير والاحترام.
ولا يكاد يختلف إثنان حول مدى التأثير العميق الذى
خلفه الإسلام فى ثقافة مصر وحضارتها، وما أسهمت به
مصر، فى المقابل، لاثراء الوعي الإسلامى بين الشعوب
العربية والإسلامية فى شتى مناحى العلم وضروبه.
ولا يسع الهيئة العامة لقصور الثقافة، فى هذه
المناسبة الإسلامية الرفيعة، إلا أن تبادر بتقديم نخبةٍ
منتقاةٍ من المؤلفات الثرية، القديمة والحديثة، التى نسعى
من وراءها إلى تأكيد دور مصر التاريخى والريادى بين
شعوب الأمة الإسلامية، منذ الفتح الإسلامى وحتى
اللحظة الراهنة، وإلقاء الضوء على الانجاز الحضارى
الكبير الذى أسهمت به مصر فى تعزيز الحضارة العربية
الإسلامية، فى الوقت الذى نهدف فيه إلى ربط القارئ
المعاصر بتاريخه الأصيل، وتراثه الفريد، وحضارته
المجيدة.

والله الموفق

د. مصطفى الرزاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

يعتبر تاريخ مصر في الأعوام الثلاثين التي سبقت الفتح العربى فى سنة ٦٤١م من أكثر الحقب الزمنية غموضاً فى التاريخ المسطور ، فلا يكاد المؤرخون يجدون أمامهم مؤلفاً كاملاً تستقيم فيه الحقائق التاريخية الصحيحة ، وليس هناك من المصادر ذات القيمة إلا ذلك الشئ من الفرق بين المخطوطات القبطية وبين أوراق البردى العربية ، وإلا هذا الذى تسجله تلك الكتب العربية التاريخية التى صنفها مؤلفوها بعد الفتح العربى لمصر بمدة طويلة ، وقد اعتمدوا فى تدوينها على رواية الحوادث التاريخية مما هو مكتوب فى المصادر الأولى التى رجعوها إليها ، وكانوا بها عارفين .

ورغم هذه الصّالة فإن المؤرخين من العرب ومن غيرهم ، يكادون يتفقون على أن حكومة مصر فى عهد « هرقل » الإمبراطور الرومانى لم يكن لها شأن إلا أن تعيد للحكم الرومانى كيانه ونظامه بعد أن جلا الفرس عن مصر ، وأن سلطان الرومان قد اشتد فى مصر ، وصار لجندهم مدائن حصينة فيما بين أسوان فى الجنوب والفرما فى الشمال ، ينتشرون منها فى البلاد إظهاراً لهيبة السلطان وجمعاً للأموال ، ويساعدون فى ذلك أعيان الروم وتجار اليهود الذين كانوا ينافسون القبط منافسة شديدة .

وكانت أمور الدين فى مصر إذ ذاك تمثل أكبر خطر عند الناس من أمور السياسة ، فما كان الاختلاف والتحزب يدور بينهم حول الوطن وحقوقه ، وإنما كانت مناظراتهم العنيفة وخلافهم الشديد على خيالات صورية من فروق دينية دقيقة ، بين مذهب اليعاقبة ، وهم قبط مصر ، وبين مذهب الملاكانيين الذى يعتقد الإغريق والأوربيون من السكان . ويجمع المؤرخون على أن الحاكم الرومانى قد سار

(د)

في سياسته على سنة القضاء على مذهب اليعاقبة ، وما كان اليعاقبة يرضون إلا بأن يمحوا كل أثر من آثار مذهب الملكانية .

وقد اشتد اضطهاد القبط أيام ولاية المقوقس « قيرس » اشتدادا عظيما ، وافتتن كثير منهم عن دينه بسبب ما نالوه من الظلم وشدة العذاب ، فتحولوا من مذهبهم اليعاقبي إلى مذهب الملكانية ، ووجد البطريق القبطي « بنيامين » مشقة في ذلك ، ورأى ألا ما يجاء من العذاب إلا إلى الحرب ، فدبر أمور الكنيسة قبل أن يفادر ولايتها ، وكان مقره إذ ذاك الإسكندرية ، وجمع إليه القسس والرعية ، وألقى فيهم خطابا يحضهم فيه على أن يثبتوا على عقيدتهم حتى يأتيهم الموت ؛ وكتب إلى أساقفته ، يأمرهم بالهجرة إلى الجبال والصحارى ليتواروا فيها حتى يرفع الله عنهم غضبه ، وقد أنبأهم ، أن البلاد سيجل بها الوبال ، وأنهم سيلقون العسف والظلم عشر سنين ، ثم يرفع الله عنهم .

واستبد بالمقوقس طغيانه وجبروته ، فأمر بتعذيب أخ للبطريق بنيامين ، وكان تعذيبه له شديدا ، فقد جاء في كتاب « تاريخ البطريق القبطي إسحق » تأليف أميلنو : « أنه أوقدت المشاعل ، وساطت ناراها على جسده ، فصار الجسد يحترق حتى سال دهنه من جنبه على الأرض ؛ ولما لم يتزعزع عن إيمانه أمر به المقوقس ، فخلعت أسنانه ، ثم وضع في كيس مملوء من الرمل ، وحملوه في البحر حتى صار على قيد سبع غلوات من الشاطئ ، وعرضوا عليه الحياة إذا هو رجع عن دينه وآمن بمذهب الملكانية ؛ فعلموا ذلك ثلاث مرات ، وهو يرفض ؛ فرموا به في البحر ، فمات غرقا .

ولم ينقطع سعي المقوقس وراء « بنيامين » ، وكان سعيه دون جدوى ، فقد كان البطريق متخفيا ، ينتقل من دير إلى دير ، وقد انخلعت عليه قلوب الناس القبط ، فكانوا يقيمون الصلاة من أجله ، ويدعون الله أن يحفظه من مكر الرومان ، وظل البطريق

(هـ)

مخبتفيا على هذا الحال حتى تم للعرب فتح مصر ، فأمنه عمرو بن العاص ، واستدعاه إليه ، وأمر له بأن يقابل بما يليق بمقامه من الترحاب والتكريم .

وقد كان « بنيامين » رجلا ذاهيئة جميلة ، تلوح عليه سماء الوقار والجلال ، وكان عذب المنطق في رزانة وتؤدة ، وقد تأثر به عمرو بن العاص ، وقال عنه لأصحابه : « إنني لم أرى يوما في بلد من البلاد التي فتحتها الله علينا رجلا مثل هذا بين رجال الدين » .

ويروى بعض المؤرخين ، أن المصريين قد سعوا مرة إلى التخلص من « القوقس قيرس » الحاكم الروماني ، فاجتمع قوم منهم في كنيسة « دفاشير » قرب « مريوط » ، وتأمرؤا على قتل هذا الظالم ؛ ولكن سعيهم باء بالفشل ، فقد سمع ضابط روماني ، اسمه « أودقيانوس » بأمر الاجتماع ، وكان شديد العداوة للقبط ، فأرسل جندا من جند الرومان ، وأمرهم أن يذهبوا للمتآمرين فيقتلوه ، وكان ما أمر ، فقتل الجنود بعضا منهم ، وجرحوا البعض الآخر بسهامهم دون أن يسمعوا منهم قولا ، وقضى على المؤامرة ، ونجا قيرس من القتل .

وكان الخلاف الطائفي في الإسكندرية قائما على أشده ، وكانت العداوة بين طائفتي المملكانية واليعاقبة عداوة عنيفة ، لا تحمد لها نار ، ولا نهى مرة إلا لعود أشد مما كانت إذا ما هبت عليها ريح من الفتنة ، ورأت الحكومة في ذلك الوقت أن تفرق بين رئيسي المذهبين في مقامهما ، حتى لا يبقى المتنافسان في بلد واحد ، فازدادت الشدائد بالقبط ، وتوالت عليهم المصائب ، وما كان هناك أمل في أن يعود السلام والوفاق بين الطائفتين المتنازعتين أبداً ، فاشتدت عداوة القبط للرومان وللسلاطان الدولة الرومانية ، ولدينها جميعاً .

وكانت البلاد كلها تحت قبضة قيرس المتوَلَّى أمورها ، يصرفها كيفما شاء ، وكان جيش الرومان يحكم مصر حكما عنيفا صارما ، وأضحت جوانب طرق الإسكندرية ،

(و)

عاصمة البلاد، تتجاوب بين الوقت والآخر بأصداء الكتائب البيزنطية التي تحتل المدينة ، وقد وضعت على أسوارها آلات الحرب .

وكانت الإسكندرية يومئذ بلداً من أشق بلدان العالم حكماً، فسكانها أختلاط من الناس ، إغريق وقبط ، وسوريون ويهود ، وعرب وغرباء ، من جميع أنحاء البلاد، وهي ثلاثة أحياء ، حى المصريين، وحى اليهود، وحى الروم ، وتضمها كلها سيم قلاع حصينة، وسبعة خنادق ، ويخترق الاسكندرية طريقان، يمتد أولهما من شرق المدينة إلى آخر غربها ، ويشقها الثانى من شمالها إلى أقصى جنوبها ، ويلتقى الطريقان فى ميدان نسيج، تحيط به الحدائق ذات القصور المرمرية الجميلة؛ والمدينة فوق هذا من تحتها عدد عظيم من الصهاريج العجيبة ، طبقات بعضها فوق بعض . وفى كل طبقة عدد عظيم من الحجرات الدفينة ، التى تستخدم فى خزن الماء الذى يصل إليها فى قنوات تجرى من التزعة الحلوة ، وقد كانت هذه التزعة تشق المدينة فى حى المصريين .

وكان جند الروم فى مسالح مصر ، فى الفرما ، وفى أنريب ، وفى نقيوس ، وفى حصن بابلون ، وفى الفيوم، وفى وأسوان بروحون ويندون، سائلين لإنفاذ أراىر قيرس المقوقس ، يعسفون بالقبط فى مصر السفلى وفى الصعيد ، وينزلون العقاب ، أشد العذاب على من يأبى منهم أن يتخلى عن عقيدته ، أو ينازع قيرس فى أمره ، ويجبرون الناس اليه اقبة على أن يقيموا كنائس الدماء كناية فى كل بلد من بلاد مصر .

* * *

وكان سكان مصر فى ذلك الوقت يضرعون إلى الله صباح مساء ، يطالبون منه النجاة والخلاص ، وبينما هم كذلك إذ طرقت أسماعهم أنباء الحركة العظيمة التى قادها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بلاد العرب، تحت لواء الإسلام ، فعنت وجوه القبط فى مصر إلى الله الواحد القهار ، يرجون منه أن يصير أمر بلادهم إلى أولئك العرب الذى هبوا من ديارهم يدعون إلى الحجة، والسلام، رسالة السماء .

(ز)

ولم يعض على بدء الدعوة المحمدية إلا قليل حتى كان فتح العرب لمصر ،
وما كان أعظم ابتهاج القبط بخلاصهم مما كانوا فيه ! فلة قد خرجوا
من عهد الظلم والعسف إلى عهود من السلام والاطمئنان ، أظلمهم بأمنها ،
بعد أن أنقذهم العرب من اضطهاد الرومان و بطشهم ، فدخل منهم في الإسلام
طائفة كبيرة من أهل الرأي والعقل حباً في الإسلام وكرهًا للمسيحية للمساكنية ،
بعد ما كان من عصيان أهلها لتعاليم صاحبها ، وكان من القبط طائفة ثانية أسلمت
طمعاً في المساواة بالمسلمين الفاتحين ، فيكون لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم ؛ وبقيت
فئة أخرى علي دين المسيح في أمن واطمئنان ، في أمور دينهم ودنياهم . وقد اعتصم
القبط والمسلمون في مصر بحبل الله ، يستمطرون رحمته ، ويرجون الصلاح
لأنفسهم في الدنيا والآخرة على هديه .

* * *

وإن تاريخ فتح العرب لمصر لقصة مثيرة ، تصور معالمها تنازع الخير والشر
على البقاء بين الإنسان ، وتسجل خطوطها في مراسم التاريخ صفحات مثيرة من
الكفاح والفداء ، وقد عني بتسجيلها المؤرخون من قبل ابن عبد الحكم على أنحاء
في مصنفاتهم ، وعلى نحو ما وصلت إليهم روايته من الأخبار ، وتمثل هذه العناية فيما
كتبه البلاذري (٨٠٦ - ٨٩٢ م) في كتابه فتوح البلدان ، وهو كتاب عني فيه مؤلفه
بذكر الحروب والغزوات مرتبة حسب الأقطار والأقاليم ، والكتاب أهمية كبرى ، نظراً
لسمته وغزارة مادته ، وقد طبع هذا الكتاب في الهند ، وله مختصر مطبوع في القاهرة .

وقد سبق الواقدي (٧٤٧ - ٨٢٣ م) البلاذري في تدوين حوادث الفتح
العربي في كتابه « فتوح مصر » ، ويروي بعض المؤرخين المحققين ، أن الكتاب
الأصلي للواقدي قد ضاع ، ولم يبق منه إلا المقتبسات الكثيرة ، والإشارات التي
بقيت في كتب المؤرخين ، وأن الكتاب المشهور المطبوع للواقدي ، منسوب إليه
خطأً ، ولهمولاء المحققين في دعواهم أدلة كثيرة مقبولة .

(ح)

وليس من شك في أن المؤرخين السابقين لعصرى البلاذى والواقدي قد خلفوا كتباً تناولت الفتح العربى لمصر . ولكن هذه الكتب ظلت مجهولة ، ولا بد أنها قد ضاعت مثل ما ضاع غيرها من أمهات المصادر الخطية العربية .

ويعتبر كتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم من أهم المصادر العربية الأولى التى تناولت تاريخ الفتح العربى لمصر ، فقد حوى الكتاب جملة من الحوادث التاريخية فى مجموعات متكاملة ، يتضام بعضها إلى بعض ، فتكون سلسلة متصلة الحلقات من التاريخ العربى فى مصر ، وقد مهد المؤلف لموضوع الكتاب ، فذكر جملة من الأخبار الخاصة بتاريخ مصر قبل الفتح العربى كما تحيلها من القصص الدينى ، وتكرويت له من القاصين ذوى الأخبار ، ولم يقتصر ابن عبد الحكم فى كتابه على ذكر ما يتعلق بفتح مصر بل استقر فى روايته التاريخية ، فتناول فتوح شمال إفريقية زمن عمرو بن العاص ، وزمن الولاة والقواد من بعده ، فجاء الكتاب بهذا كله وافياً لما يحتاجه المؤرخون من معلومات توضح حقائق الخلاقات الكبيرة التى تضمنها روايات الكتب عن تفاصيل فتح مصر وشمال إفريقية .

* * *

وابن عبد الحكم هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصرى ، أبو القاسم ، أقدم من وصلت إلينا مؤلفاته من مؤرخى مصر الإسلامية ، وقد اشتهر من بين إخوته بابن عبد الحكم ؛ ولد حوالى سنة ١٨٧ هجرية ، وتوفى فى الفسطاط عام ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) ، ودفن إلى جانب قبر أبيه بجوار قبر الإمام الشافعى مما يلي القبلة .

وكان أبوه عبد الله المتوفى سنة ٢١٤ هـ (٨٣٠ م) من الفقهاء الحديثين ، وقد ألف فى الفقه والحديث كتباً كثيرة ، وانتهت إليه رئاسة الطائفة المالكية فى مصر بعد موت أشهب ، وروى عن الإمام مالك كتاب الموطأ سماعاً ، وكان

من ذوى المال والرباع ، له جاه عظيم وقدر كبير ، وكان عمله أن يشترك مع القاضى فى تزكية الشهود وتجريحهم وهو أمر ذو خطر فى القضاء ؛ وكان أبناؤه الأربعة من مشاهير الرجال ، فقد كان محمود فقيها ، وكاتباً ، خلف أباه فى رئاسة الطائفة المالكية بمصر ، واشتهر الابنان ، عبد الحكم ، وسعد بسعة العلم ، أما عبد الرحمن مؤلف هذا الكتاب فقد كان من أهل الحديث ، عالماً بالتواريخ .

وقد جاء فى كتاب « الديباج المذهب فى معرفة أهل المذهب ^(١) » لقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمرى المدنى المالكي : « أن عبد الله بن عبد الحكم مولى « عمرة » امرأة من موالى عثمان بن عفان ، لويقال إنه مولى رافع مولى عثمان ، وكان عبد الله رجلاً صالحاً ، ثقة فقيهاً ، صدوقاً ، عاقلاً ، حكماً ، وكان صديقاً للإمام الشافعى ، وعليه نزل الشافعى إذ جاء مصر ، فأكرم مشواً وبلغ الغاية فى بره ، وعنده مات ، وقد روى عبد الله عن الشافعى ، وكتب كتبه لنفسه ولابنه محمد ، وله فى هذا تأليف كثيرة .

وبلغ بنو عبد الحكم بمصر من الجاه والتقدم ما لم يبلغه أحد ، وقد اشتهرت الأسرة فى مصر وفى خارجها بمعرفة علوم الحديث والفقه ، ومات الأب وعمره حوالى الستين عاماً ، وبعد موته بثلاثة عشر عاماً أصيبت الأسرة بنسكية عظمت أثناء الحنة التى جددتها الخليفة العباسى ، الواثق بالله : فتنة خلق القرآن ، فقد رفض الأبناء الاعتراف بمذهب خلق القرآن ، كما رفضه غيرهم من المستمسكين بالأصول ، وكان جزاؤهم جميعاً السجن والعذاب ، ومات من أبناء عبد الله ابنه عبد الحكم فى سجن يزيد التركى بعد عذابه بالسوط ، والتدخين عليه بالسكبريت .

ومن قبل هذا الوقت صدمت الأسرة بكارثة أخرى عام ١٣٧ هـ انتهى معها نفوذها ، فقد حدث أن صادرت الحكومة جانبها كبيراً من أملاك على بن

(ى)

عبد العزيز الجداوى الذى كان واليا وقائداً عسكرياً على مصر ، وجاءت رسل الخليفة إلى مصر تطلب مالا لخزانة الدولة فلم يجدوا مالا ، وكان بنو عبد الله بن عبد الحكم قد تولوا الإدارة المؤقتة لأُملاك عدد من رجالات مصر البارزين ، فأتخذت الإجراءات القضائية ضدهم ، وطالبتهم الدولة بدفع ٤٠٤٠٠٠ دينار ، فلما أن عجزوا عن الدفع صبادرت الحكومة أموالهم وأُملاكهم ، وألقت بهم فى السجن مدة ، ثم قررت الإفراج منهم ، وأعيد للأسرة ما كانت تملكه قانوناً ، تغير أن شرف البيت وسمعته قد انتهيا^(١) إلى حين .

والذى يهمنا من الأسرة وحديثها هو إلقاء ضوء على سيرة المؤلف عبد الرحمن ابن عبد الحكم فى بيئته الخاصة وفى حياته العامة ، كى يستنير به القارىء على استجلاء منهجه الفكرى وطريقته فى كتابه فتوح مصر ، هذا المصنف التاريخى الذى سائر فيه ابن عبد الحكم المحدثين فى روايتهم الأسانيد ، مخالفاً غيره من المؤرخين فيما اتبعوه من تصنيف ، أمثال البلاذرى المتوفى سنة ٢٦٩ هـ ، والطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، وأبى حنيفة الديلمى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، فقد نهج ابن عبد الحكم نهجاً فريداً فى كتابة التاريخ المفصل للإسلام من مصادر الشفوية ، والتحريرية .

ولا ريب فى أن هدف عبد الرحمن بن عبد الحكم كان جمع المعلومات من مصادرها المختلفة ، وترتيبها فى مجموعات كبيرة وفق أهميتها ، وكانت مصادر ابن عبد الحكم فى هذا تعتمد إلى حد كبير على الروايات الشفوية التى يتناقضها الرواة ، وقد كانوا كثرة كبيرة فى مصر ، وعلى المعلومات المكتوبة التى تكون الأصول الأولى للتاريخ الإسلامى ، وتتمثل هذه المعلومات فى مخطوطات يحيى بن عبد الله بن بكير ، وفيما كتبه الواقدي ، وابن لهيعة اللذين توفيا قبل مولد المؤلف .

(١) راجع كتاب الولاة والقضاة للكندى .

(ك)

ولقد اتبع المؤلف في كتابه بصفة عامة ذكر الرواية وإسنادها السكامل دون تعرض إلى مناقشة مصادرها الشفوية ، فإن المادة التاريخية التي اعتمد عليها ابن عبد الحكم كثيرة في حجمها ، وهي مختلفة في تفاصيل أنواعها ، وقد شملت عدداً كبيراً من القصص الشائع والأساطير ، وبعضها مكتوب ، وبعضها شفوي ، وإن ما كتب منها لا يستند على تحقيق علمي ، وقد لعبت هذه الكتابات دوراً هاماً في التدوين التاريخي القديم ، كما قامت الروايات الشفوية بتصوير التعبيرات المختلفة ، والروايات التي كانت منشورة في نهاية القرن الثاني من الهجرة ، وقد تأثر ابن عبد الحكم بكل هذا ، فعنى بجمع المادة الكثيرة ، ولم يتبع طريقة النقد العلمي في سلسلة الروايات ذات الأهمية الكبرى ، التي تستحق المتابعة لجمع الحقائق المطلوبة في استكمال البحوث العلمية .

ويرى بعض المحققين أن غالب التواريخ التي وردت في كتاب فتوح مصر مأخوذة مما كتبه الليث بن سعد ، وما دونه يزيد بن أبي حبيب المتوفى سنة ١٨٠ هـ ، وقد ذكرها ابن عبد الحكم في كتابه كثيراً ، وسيجد القارئ في الكتاب ، أن ابن عبد الحكم قد اعتمد على عثمان بن صالح المتوفى سنة ٢١٩ هـ في التأريخ للحوادث ، كما اعتمد على ابن لهيعة في ذكر الأحاديث ، وقد تكرر ذكر اسمي يحيى بن أبوب المتوفى سنة ١٧٣ هـ ، وخالد بن حميد المتوفى سنة ١٩٩ هـ ، كثيراً في الكتاب رغم أن الرواية المنقولة عنهما والتي استخدمها المؤلف قد جمعها خالد بن نجيح ، وانتفع بها عثمان بن صالح ، وهو مصدر مصري يستطيع أن يعطى من ذاكرته أكبر رواية تاريخية ، وقد كان له فضل كبير في التأريخ لفتوح العرب في شمالي إفريقيا وأسبانيا .

وهناك مصادر أخرى معروفة في الرواية اقتبس منها المؤلف جزءاً كبيراً من مادته التاريخية ، وقد ذكر الكندي من هؤلاء ، أسعد بن موسى المتوفى سنة

(ل)

٢١٣ هـ، وعبد الله بن صالح المتوفى سنة ٢١٣ هـ، وهو أمين سر الليث بن سعد ،
والنضر بن عبد الجبار المتوفى سنة ٢١٩ هـ، وقد كان أمين سر في وقت ما .

ومن الرواة المعروفين الذين لم يذكرهم ابن عبد الحكم ويستعد السكندى
أنه قد رجع إلى مؤلفاتهم في كتابه فتوح مصر عبد الله بن المبارك المتوفى سنة
١٨٩ هـ، وسعيد بن أبي مسرمة المتوفى سنة ٢٢٤ هـ، وسعيد بن كثير بن غفير المتوفى
سنة ٢٢٦ هـ، وعبد الله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧ هـ .

وإذا كانت عناية ابن عبد الحكم بذكر الأسانيد قد شاعت في كثير من
أجزاء كتابه فإنه لم يذكرها كثيرا في الفصل الخاص بالخطط، وذلك لأن المعلومات
التي جمعها كانت من الروايات الشائعة بين أهل القسطنطينية بالإضافة إلى المشاهد
الخاصة التي لدى المؤلف ، وإن جانبها كثيرا من هذه المادة الهامة المفيدة كان
معروفا أيام المؤلف عندما كانت القسطنطينية مدينة محتفظة بمظاهر النصف الأول من
القرن الثالث الهجري .

وبما لا شك فيه أن الرواية والأسانيد التي بنى عليها ابن عبد الحكم
كتاب « فتوح مصر » قد سارت إلى حد كبير الفن القصصى الذي كان يتبعه
القاصون من العلماء في المساجد والجامع ، وبخاصة بعد أن عنيت الدولة بهذا
النوع من التحدث، وجعلت للحكاية في الأفطار الإسلامية وظائف رسمية ، يختار
لها خبراء التاريخ من ذوي الدراية بأحوال العرب والمسلمين ، والذين تجرى عليهم
الدولة روايت سخية .

وقد كان لهذه الوظائف أثرها الكبير في الحياة السياسية للدولة، وفي المكانة المعاشية،
والاجتماعية ، والحرية ، لبطون العرب وقبائلهم في البلاد التي صاروا إليها فاتحين ،
ولعبت القصة التاريخية دوراً هاماً في التمسك بالحياة الثقافية، ونشر الوعي القومي بين
الناس، وكان أثرها بين العرب والمسلمين كأثر الشعر في العصر الجاهلي بين القبائل العربية،

يرفع الشاعر به من يشاء ، ويحط به من قدر من يريد عن طريق الرواية وذبوع
 ما ثور الأقوال . ولا عجب بعد هذا أن يتحري ابن عبد الحكم أسانيدهم فيما
 يرويه من أخبار عن الدور الذي قام به العرب في نشر دعوتهم والتسكين لرسالتهم ،
 حتى يكون كتابه فصل القول فيما يقصه العلماء على الناس في المساجد والجامع ، وفقاً
 لما اعتادته الأذان العربية في سماع الروايات ، هذا إلى أن ابن عبد الحكم يحدث
 قد غلبت عليه طريقة المحدثين ، فتتبع الرواية بأسانيدها ، وأعادها في أشكالها
 التي حفظت بها في ذواكر الناس تأكيداً لها ، وتعديلاً لرواياتها ، وإن هذا المنهج
 ليظهر واضحاً فيما ذكره ابن عبد الحكم عن عدد من الروايات غير الموثوق بها ،
 التي يكثر حولها الجدل بين الناس ، وقد عرضها ابن عبد الحكم على هذه الأشكال
 المختلفة من الرواية في حرص على بيان رواياتها ، وأمانة منه في النقل كما يحرص
 المؤلفون في العصور الحديثة على بيان مصادر معلوماتهم من الكتب التي
 يرجعون إليها .

وإن كتاب « فتوح مصر والمغرب » لابن عبد الحكم أقدم مصدر من
 المصادر العربية في تاريخ فتح المسلمين لمصر وشمال إفريقية ، وهو أهم بيان
 لعمارات العرب وخططهم في الفسطاط والإسكندرية والجيزة ، وغيرها من
 البلاد المصرية .

* * *

وقد اهتم المؤرخون العرب القدامى بكتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم
 اهتماماً كبيراً ، واعتبروه مصدراً أول لتواريخهم التي تناولوا فيها النشاط العربي
 في البلاد التي خضعت لحكم العرب ، في إفريقية ، وروى عن ابن عبد الحكم
 من جاء بعده من مؤرخي مصر الإسلامية ، كالسكندى المتوفى سنة ٥٣٠ هـ ،
 وابن زولاق المتوفى سنة ٣٥٧ هـ ، والقضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هـ ، وابن دقاق
 المتوفى سنة ٨٠٩ هـ ، والمقرئ المتوفى سنة ٨٢٥ هـ . وأبي الحسن المتوفى سنة

٨٧٤ هـ ، والسيوطي المتوفى سنة ٩١٠ هـ ، وابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠ هـ ؛ وقد اعتمد المؤرخون من الأوربيين على كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم اعتماداً واضحاً فيما دونوه في كتبهم عن الزحف العربي ، وانتشار القومية العربية في الأقطار والبلاد المختلفة في آسيا الغربية وفي شمال إفريقية .

وتقسم المادة التاريخية في الكتاب إلى سبعة أجزاء :

١ — الجزء الأول ، ويبحث في فضائل مصر ، وصفتها ، وتاريخها منذ القدم إلى دخول الإسلام فيها وفتح المسلمين لها ، ودور بنى إسرائيل في تاريخها ، ونشأة مدينة الإسكندرية ، وذكر الصراع الفارسي والبيزنطي للسيطرة على مصر .

ويحوى هذا الجزء من الكتاب كثيراً من الأساطير التي لا ترقى إلى مرتبة الحقائق التاريخية ، بل إنها في كثير من موضوعاتها تنزع إلى الميثولوجيا التي تتوارثها الأجيال . وتناقضها الشفاه ، فتزداد بعدا عن الحقائق العلمية ومجافاة للتاريخ الصحيح ، وأمثلة هذا كثيرة في الكتاب ، مثل حكاية أولاد نوح عليه السلام وأبنائهم ، وأسماء هؤلاء الأبناء الذين سميت بهم بلاد مصر وقراها ، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون مصر والسحرة من أهلها ، وحديث الملكة العجوز « دلوكة » ، وتاريخ الفرس والروم في مصر ، ونبا ذى القرنين المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغير هذا من الروايات التي لا تحتمل نقداً علمياً لكثرة ما فيها من خرافة واصطناع .

٢ — الجزء الثاني ، وفيه يعالج ابن عبد الحكم الفتح الإسلامي لمصر تحت قيادة عمرو بن العاص في تفصيل صحيح ووضوح تام :

(س)

٣ - الجزء الثالث ، وله أهمية خاصة ، فقد عرض فيه ابن عبد الحكم الخطط والرابع التي أقامها الفاتحون في القسطنطينية وفي الجزيرة ، كما شرح النظام الضرائبي من الخراج والجزية وما فرض على الإسكندرية من أخاخذ^(١) في بسط مفيد لدارسي النواحي الاقتصادية والعمرانية للدولة العربية في مصر .

٤ - الجزء الرابع : وفيه يصف ابن عبد الحكم إدارة مصر تحت إمارة عمرو بن العاص ، وعبد الله بن سعد ، ويذكر فتح الفيوم ، وبرقة ، وطرابلس بقيادة عمرو بن العاص ، والنوبة وشمال إفريقية بقيادة عبد الله بن سعد ، وثورة الإسكندرية ، وفتحها الثاني ، ومسائل أخرى مفصلة تبين فضائل مصر تحت الحكم الإسلامي ، وهذا الجزء ينتهي بوفاة عمرو بن العاص .

٥ - الجزء الخامس ، وفيه بيان فتح شمال إفريقية وأسبانيا إلى سنة ٢٠٠ هـ .

٦ - الجزء السادس ، وهو تاريخ مختصر لقضاء مصر حتى سنة ٢٤٦ هـ .

قبل وفاة المؤلف بعشر سنوات .

٧ - الجزء السابع ، وهو أكبر الأجزاء وأوسعها ، ويشمل هذا الجزء مختارات عديدة من الأحاديث والروايات المنسوبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين وفدوا على مصر ، وقد ذكر ابن عبد الحكم في هذا الجزء اثنين وخمسين صحابيا ، بدأهم بعمرو بن العاص وابنه عبد الله .

وتقسيم الكتاب إلى هذه الأجزاء السبعة من عمل ابن عبد الحكم نفسه ، ولقد احتفظ بهذا التقسيم من بعده من خلفه ، ويدل على هذا اتفاق المخطوطات المتعددة للكتاب على تجزئة واحدة رغم تغير أزمان نسخها ، واتفاق هذه المخطوطات أيضا على إيراد عنوان فصل « فتح بلاد النوبة » في غير مكانه وقد حدث هذا إهمالا من المؤلف أو خطأ وقع فيه ناسخ المخطوطة الأولى .

(١) جمع أخذه وهي المأخوذ .

(ع)

ويرجع اهتمام عبد الرحمن بن عبد الحكم بذكر قضاء مصر في كتابه إلى صلة أسرته بهذا الفرع من الإدارة الإسلامية ، فقد كان والده يعمل مع القضاة كميز للشهود ، وكان أخوته ، وبخاصة محمد ، من الفقهاء المعروفين ؛ وقد غلبت على ابن عبد الحكم صفة الحديثين ، رواة الحديث ، فأفرد الجزء السابع من كتابه لذكر الأحاديث التي حفظت في مصر عن الصحابة الذين دخلوها ، وقد اختارها نظاماً خاصاً اتبعه في كتابته ، وإن مصدره في هذا يكاد يكون مقصوداً على ابن أبي عمير الذي خاطب في آخر عمره ، وإن ما ذكره ابن عبد الحكم عن الرواة الآخرين فأمر مشكوك فيه . وإن كان في مجموعها ذا فائدة هامة في دراسات أخرى .

وقد ذكر المؤلف أحاديث عدد غير قليل من هؤلاء الرواة في الفصول السابقة من كتابه في مناسبات عديدة ، وأشار في كثير منها إلى ذلك في هامش كتابه ، ولم يفته أن ينتقد أى خبير في الأحاديث برواية ما ذكره عنه في أساليب أخرى ، ولكن نقده هذا لا يمكن معه اعتبار ابن عبد الحكم ضمن المؤرخين ذوى القدرة العلمية في معالجة حوادث التاريخ الذين تتوافر لديهم أساليب النقد العلمى ، وإن كان كتابه رغم هذا يعتبر نقطة البدء في كتابة عدد من كتب تاريخ مصر التي لها أهميتها ، كما ندلنا طريقة جمع الكتاب على أن مؤلفه كان بارعاً في جمع الأخبار .

* * *

ولقد عنى المستشرقون عناية كثيرة بنشر كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وقد سبقت جهودهم في هذا الصدد جهود المعنيين بنشر المخطوطات من العرب والمسلمين ، وتتمثل هذه العناية فيما نشره من بعض أجزاء الكتاب كل من إيفالد Ewald ، ودى سلين de Slane ، وكارل Karle ، وجونس Jonse ، ولافت La Fuente ، وهنرى ماسيه H. Massé الذى طبع الجزء الأول من الكتاب في سنة ١٩١٤ م .

وفي سنة ١٩٢٠ نشر المستشرق تشارلس . س . تورى Charles c. Torrey كتاب فتوح مصر بمدينة لندن .

(ف)

ويبدو أن خلو المكتبات العربية العامة والخاصة من النسخ الخطية للكتاب كان من أهم العوامل التي قعدت بالمؤرخين العرب عن معالجة هذا النص الهام ، وأن الاستعمار الثقافي الذي سيطر على مصر إبان الحكم العثماني ، وفي عهد الحملة الفرنسية قد جهد في نقل جملة من المخطوطات العربية الهامة إلى أوروبا عقب انتهاء الحملة الفرنسية على مصر في سنة ١٨٠١ م ، فقلّت المصادر العربية الأولى التي تهتم الباحثين ، وقد كان من بينها هذا الكتاب الذي توجد منه نسخ خطية في المكتبات الأوربية على النحو التالي :

١ - نسخة المتحف البريطاني بلندن ، المسجلة تحت رقم ٥٢٠ (شرقيات -- ٦) وهي نسخة تحلو من تاريخ نسخها ، ولكنها تحمل كما ذكر « توري » عدة براهين تدل على أنها قد كتبت في أواخر القرن السادس الهجري ، ومن هذه البراهين العبارة التي وردت في نهاية المخطوطة ، وتشير إلى أنها قد قورنت على مخطوطة الحافظ محمد بن عمر بن يوسف الأنصاري ، الذي قام بقراءة المخطوطة كلها أمام الشيخ أبي القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة ٥٩٨ هـ .

ب -- مخطوطة مسجلة تحت رقم ١٨٨٦ بمكتبة باريس الأهلية ، وتاريخ نسخها كما هو واضح في نهاية الجزء الأول منها « ثلاثة أيام قبل نهاية شهر ذي الحجة من عام ٥٨٥ هـ (١١٩٠ م) . وتمتاز هذه المخطوطة بكثرة التصويبات المكتوبة على هوامشها نتيجة للأخطاء العديدة التي وقع فيها الناسخ .

ج -- مخطوطة باريس الثانية ، وهي محفوظة بالمكتبة الأهلية تحت رقم ١٦٨٧ ، وتاريخ هذه المخطوطة يرجع إلى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) . وقد قام بنسخ هذه المخطوطة كما جاء في نهايتها الناسخ أحمد بن محمد بن إبراهيم الأزهرى الحنفي ، ومثل هذه النسخة مملوء بالأخطاء التي تجعل بعض الكلام لا معنى له ، رغم أنها مكتوبة بخط جميل .

(ص)

د - مخطوطة ليدن، رقم ٩٦٢ المودعة خزانة مكتبة الأكاديمية ، وهي موصوفة رصفاً تاماً في فهرس المخطوطات العربية الخاص بمكتبة الأكاديمية المطبوع سنة ١٧٨٨ م ، وهذه المخطوطة ناقصة من الأول ، وتخلو من أسماء الرواة الذين نقل عنهم المؤلف ، وتحمل الصفحة الأخيرة من هذه المخطوطة تاريخ نسخها وهو سنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٦ م) .

هـ - مخطوطة أخرى في مكتبة جامعة جوتنجن ، وهي جزء من الكتاب منقول عن مخطوطي المكتبة الأهلية بباريس .

وقد اعتمد المستشرق تورى Torrey في نشره كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم على مخطوطة المتحف البريطاني ، نظراً إلى أنها أقدم المخطوطات وأحسنها ؛ ويعتبر عمل «تورى» من الأعمال المتكاملة الأولى التي تعطى صورة واضحة عن جملة المخطوطات التي رجع إليها في نشره الكتاب ، وهي أربع النسخ الأولى ، فقد تضمنت هوامش كتابه الذي نشره الفوارق الموجودة بين هذه النسخ مما يمكن معه الاعتماد على بيانه الواضح في تكوين فكرة سليمة عن هذه المخطوطات .

* * *

ولقد حصل معهد المخطوطات العربية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية على ميكروفيلم Microfilm لكتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ، مأخوذ عن نسخة أخرى ، موجودة بمكتبة فآخ بالآستانة ، عليها وقف السلطان محمود خان ، بخط درويش مصطفى مفتش أوقاف الحرمين ، وهذا الميكروفيلم يعتبر النسخة الوحيدة الموجودة في مصر .

ولما كان كتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم هو المرجع الأول للمصادر العربية ، التي تسجل حركة نمو القومية العربية في إفريقية ، ويتضح منه مدى ارتكاز النشاط العربي لهذه القومية في مصر ، فقد حرصت على أنشر هذا

(ظ)

الميكرو فيلم نشر أعلياً ، أعنى فيه بتوضيح ما يحتاج إليه رجال التاريخ والقراء ، من بيانات ومعلومات تظهر معالم الكتاب وتساعد على تبين دقائقه وإيضاح ما غرض من مصطلحاته ؛ وبخاصة وأن البيئة المصرية المعاصرة قد تأثرت إلى حد ما بكثير من المؤثرات السياسية والطبوغرافية ، فتغيرت أسماء بعض البلاد ، وزالت أما كن بعضها الآخر ، وأصبح الربط بين ما ضى التاريخ العربى فى مصر وبين حاضره ضرورة من ضرورات توطيد الثقافة التاريخية القومية فى العقل العربى العام .

وإن المستشرقين الذين سبقوا فى نشر الكتاب أوائل هذا القرن لم يعنوا كثيراً — كشأنهم فيما يحققون من مخطوطات — بمعالجة الناحية الجغرافية التى يحتاج إليها دارس الكتاب التاريخى ، فقد كانت جهودهم كلها مقصورة على تدوين الفوارق الكتابية بين النسخ الخطية المختلفة . ولهذا فقد حرصت على أن أقوم بنشر الكتاب فى صورة جديدة ، فأقدمه للقارئ العربى ، فى سهولة ويسر ، حتى يستبين منه حقائق الحياة الأولى للعرب فى مصر ، ويجد فيه المغارس الأصلية للقومية العربية . فنستطيع جميعاً أن نقيم حياتنا فى عصر نهضتنا الحديثة على الأسس الهادفة لبناء القضايا العربية التى تقوم على أصل واحد من الحبة والسلام .

* * *

وإن هذه الصورة التى أقوم بنشرها تضيف إلى جملة مخطوطات كتاب فتوح مصر نسخة قد جهل أمرها المستشرقون ، وهى تعتبر أما للنسخ التى سبقت معرفتها أو دراستها ، فقد دوتن فى أعلى صحيفة العنوان سماع ودعاء تاريخه سنة ٥٥٣١هـ ، وشملت هذه الصحيفة أيضاً سماعاً آخر للشيخ الأنصارى المتوفى سنة ٥٥٩٨هـ . ومن خصائص هذه النسخة أنها مكتوبة بخط واحد بقلم النسخ المعتاد ، وقد اتبع ناسخها طريقة الإملاء القديمة التى تقوم على تسهيل المهمزات المتوسطة بعد الألفات ، وحذف ألف المد المتوسطة ، مثل الكلمات (بقراءة ، وثلاثين ، ومائة

(د)

ومعاوية) فإنها مكتوبة في الأصل (بقرائية ، وثلاثين ، ومائة ، ومعاوية) ، وتمتاز هذه النسخة بأن الفاسح يعتمد دائماً إلى اتباع النحت اللفظي في كتابة الجمل الدعائية مثل جملة (صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عنه) فإنها مكتوبة في الأصل (صلعم ، ورضه) .

وقد كتبت عناوين الفصول في الصورة بحبر يخالف الحبر الذي كتب به المتن في لونه ، وتحتوي هوامش الصفحات بعض الإضافات القليلة التي كتبت بأقلام أخرى ، ولعلها أقلام بعض القراء من أولئك الذين حازوا هذه المخطوطة ، وهذه الإضافات تكثر في الجزء الخاص بالقضاء في مصر .

واسم الكتاب كما هو واضح على صحيفة العنوان « كتاب فتوح مصر والمغرب » .

تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي .

رواية أبي القاسم على بن الحسن بن خاف بن قديد الأزدي عنه .

رواية أبي بكر محمد بن أحمد بن الفرغ القحاح عنه .

رواية أبي الحسن على بن منير بن أحمد الخلال عنه .

رواية أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني بإجازة عنه .

رواية أبي القاسم هبة الله على بن سعود البواصيري عنه .

سماع لأبي الميمون عبد الوهاب بن عتيق بن هبة الله بن ورداب المقرئ ، ولولده أبي القاسم ، هبة الله .

والذي يجب الإشارة إليه أن ابن قديد لم يكن تلميذاً لابن عبد الحكم ، ولم يثبت أنه قد نقل عنه رواية شفوية ، فلم تتعرض كتب التراجم لهذا بشيء . فيها ، ولذا فإنه يبدو أن دور ابن قديد في الرواية لا يبدو دور الفاسح المخطوط ابن عبد الحكم وزيادته بعض الملاحظات في الهوامش ، ويدل على هذا قول في

(ش)

الكتاب منسوب إلى عبد الرحمن بن عبد الحكم عن أبي الأمود النضر بن عبد الجبار ، يرجع وقته تاريخياً إلى سنة ٥٢٣٧ هـ عندما كان ابن قديد في الثامنة من عمره ، مما لا يستقيم معه أن يكون ابن قديد راوية في مثل هذا العمر .
والمعقول في رأيي أن يكون بعض مريدي ابن عبد الحكم الذين عاشوا في جيله قد حازوا مخطوطة ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب وأخبارها ، وظلت هذه المخطوطة محفوظة عندهم بعد مأساة أسرة ابن عبد الحكم حتى حصل ابن قديد على نسخة منها بعد وفاة المؤلف . أو أنه ربما كانت النسخة التي حصل عليها ابن قديد من عمل واحد من تلاميذ ابن عبد الحكم ، ثم نقلت هذه النسخة إلى أبي بكر محمد بن أحمد بن الفرج القفاح ، وهكذا تداول الرواة النقل جيلاً بعد جيل . وقد لقيت المخطوطة عناية الناسخين ، فكان منها عدة مخطوطات شاعت في البلاد العربية والإسلامية ، ثم نقلت ضمن الآثار الثقافية التي عنى الأوربيون بنقلها لمكتبات بلادهم .

وأياً ما كان الاختلاف بين النسخ فإنه لا يعدو أن يكون خلافاً شكلياً لا يمسّ جوهر الكتاب ولا حوادث التاريخ التي ذكرها ابن عبد الحكم في أصولها أو في فروعها ، وما كان تعدد الروايات للخبر الواحد إلا توضيحاً لفوارق لفظية قد تكون النقط ، مثل جريان وحرثان ، أو غيره مثل الذكر أو الركن ، والمطبوع والمنضوج ، وغيرها مما يهتم به أمثال ابن عبد الحكم من المحدثين الرواة . وهذه المحافظة على الرواية في أشكالها تفسر لنا إلى حد بعيد ، كيف أن ابن عبد الحكم لم يحاول تنقية كتابه من بعض الروايات التي تضمنها الكتاب ، ومثل حديث أبي مريم عن العطف ، وحكاية جنس البربر من النساء ذوات الثدي الواحد ، وغيرها مما لا يدخل في حكم المعقول ؛ ولعل ابن الحكم أراد أن يقدم للمؤرخين من بعده مواد مختلفة من الروايات ، يقومون بنقدها ودراستها ، ونشرها في الأسلوب العلمي الصحيح .

(ت)

وإنه ليهمنى استكمالاً لفائدة الباحث فى كتاب «فتوح مصر لإبن عبدالحكم»
أن أضع أمام الدارس سجلاً زمنياً لتسلسل الحوادث التاريخية الهامة فى أوقاتها،
تسقيين فيه أزمعتها ، إذ أنها قد تاهت فى ذلك الخضم الزاخر من الروايات التى
ساقها ابن عبدالحكم فى مصنفه ، وقد اكتفيت بذكر ما يقابلها فى التاريخ الميلادى
بعد مقارنتها بما جاء فى كتب التواريخ الأخرى التى عرضت لتسجيل الفتح
العربى لمصر .

وها هى ذى :

(١) ١٢ من ديسمبر سنة ٦٣٦ ، تاريخ وصول جيش عمرو بن العاص
إلى العريش .

(٢) ٣٠ من يناير سنة ٦٤٠ ، تاريخ فتح القرما .

(٣) مايو سنة ٦٤٠ ، تاريخ غزو إقليم الفيوم .

(٤) ٦ من يونية سنة ٦٤٠ ، تاريخ وصول المدد العربى لعمر بن العاص .

(٥) يوليه سنة ٦٤٠ ، تاريخ موقعة عين شمس .

(٦) سبتمبر سنة ٦٤٠ ، تاريخ بدء حصار حصن بابليون .

(٧) أكتوبر سنة ٦٤٠ ، تاريخ توقيع المعاهدة بين قبرس المقوقس وبين
عمرو بن العاص ، وهى التى رفضها هرقل .

(٨) ٦ من إبريل سنة ٦٤١ ، تاريخ تسليم حصن بابليون ، وهو اليوم
الذى يؤرخ به الفتح العربى لمصر ، وقد ذكر الطبرى فى تاريخه ، أن فتح الحصن
كان فى شهر ربيع الثانى من سنة ٢٠ للهجرة (٣٠ مارس — ١٧ إبريل
سنة ٦٤١ م

(٩) ١٣ من مايو سنة ٦٤١ ، تاريخ فتح نقيوس .

(٧)

- (١٠) يونية سنة ٦٤١ ، تاريخ بدء الهجوم على الإسكندرية .
- (١١) ٨ من نوفمبر سنة ٦٤١ ، تاريخ تسليم مدينة الإسكندرية .
- (١٢) ١٧ من سبتمبر سنة ٦٤٢ ، تاريخ إجلاء الروم عن الإسكندرية .
- (١٣) أواخر سنة ٦٤٥ ، تاريخ ثورة الإسكندرية بقيادة منويل .
- (١٤) صيف سنة ٦٤٦ ، تاريخ الفتح العربى الثانى للإسكندرية .

* * *

وإنه مما يستأهل الذكر فيما نحن بصدد من التسجيل ، أن كتاب ابن عبد الحكم مع وفائته فى تناول أخبار الفتح العربى ، فإنه قد أغفل تماما ذكر شيء ما عن مكتبة الإسكندرية التى لفظ بعض المؤرخين المتأخرين فى كلامهم عنها ، فذكروا أن العرب قد أحرقوا هذه المكتبة العظيمة ، ولو أن شيئاً من هذا قد حدث فما كان هناك بدّ من أن يذكره ابن عبد الحكم ، وهو المؤرخ الذى لم يترك فى كتابه صغيرة أو كبيرة حول الفتح العربى إلا أحصاها وذكرها ، وإن كان فيها مساءة إلى الحكم العربى .

وتقوم قصة إحراق العرب لمكتبة الإسكندرية فى أصلها على مارواه أبو الفرج بن العبرى فى كتابه « مختصر تاريخ الدول » ، من أن رجلاً من قسوس القبط اسمه « حنا الأجرى » قد أخرج من عمله لما نسب إليه من زيغ فى عقيدته ، فاقبل بعمر بن العاص ، ولقى عنده حظوة .

فلما أنس الرجل من عمرو قال له يوماً .

— لقد رأيت المدينة كلها ، وختمت على ما فيها من التحف ، ولست أطلب إليك شيئاً مما تنتفع به ، بل شيئاً لا فنع له عندك .
فقال له عمرو :

(غ)

— وماذا تعنى بقولك ؟

فقال : أعني بقولى ما فى خزانة الروم من كتب الحكمة .

فقال له عمرو : إن ذلك أمر ليس لى أن أقطع فيه رأيا دون إذن الخليفة .

ثم أرسل عمرو كتابا إلى عمر بن الخطاب يسأله فى الأمر .

فأجابه عمر قائلا : ... وأما ما ذكرت من أمر الكتب ، فإن كان ما جاء بها يوافق ما جاء فى كتاب الله فلا حاجة لنا به ، وإذا خالفه فلا أرب لنا فيه وأحرقها .

فلما جاء الكتاب إلى عمرو أمر بالكتب فوزعت على حمامات الإسكندرية لتوقد بها ؛ فآزالوا يوقدون بها ستة أشهر .

وهذه القصة الخيالية التى رواها أبو الفرج (١٢٢٦ - ١٢٨٦ م) تتمثل فيها سخافات مستبعدة يفكرها العقل ، وقد أنكرها فعلا عليه بعض المؤرخين المحققين من الأوروبيين ، فذكروا فى أقوالهم المؤيدة بالأسانيد والحقائق :

(١) أن « حنا الأجرى » الذى تذكره القصة قد مات قبل غزوة العرب بزمن طويل ، وأنه كان من أهل الإسكندرية .

(٢) أن مكتبة الإسكندرية لو كانت لا تزال باقية عندما عقد المقوقس صلحه مع العرب على تسليم الإسكندرية لكان من المؤكد أن تنقل هذه الكتب إلى بلاد الروم ، فقد أبيع ذلك فى شرط الصالح الذى يسمح بنقل المتاع والأموال فى مدة الهدنة بين عقد الصالح وبين دخول العرب الإسكندرية ، وقدرها أحد عشر شهرا .

(٣) لو صح أن هذه المكتبة قد أتلفها العرب حقيقة لما أغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم ، كان قريب العهد من الفتح العربى ، وهو « حنا النقيوسى » .

(ز)

(٤) أن كتاب القرنين الخامس والسادس الميلاديين لا يذكرون شيئاً من وجود هذه المكتبة ، وكذلك كتاب أوائل القرن السابع ، وأن قصة إحراق العرب لمكتبة الإسكندرية لم تظهر إلا بعد نيف وخمسة مائة عام من وقت حدوثها المزعوم ، فضلاً عن أن أبا الفرج راوى القصة مؤرخ منهم ، فهو إسرائيلي الأصل ولد في أرمينية ، ثم تنصر مسيحياً يعقوبياً ، وهو في كتابه « مختصر تاريخ الدول » يتناول الحوادث التاريخية من زاوية له فيها مآرب خاصة ، فيهمل منها ما يشاء ، ويبرز فيها ما يريد وفق هواه الذى يضل سبيله فيه ، فلا يعلم قوله السابق . من قوله اللاحق ، ولا يكاد يميز الصواب منهما ، كما تدل عليه هذه القصة ، قصة إحراق العرب مكتبة الإسكندرية التى انفرد بروايتها في كتابه « مختصر تاريخ الدول » مع أنه لم يذكرها في كتابه « تاريخ الكنائس » الذى كتبه باللغة السريانية ، وكتاب مختصر تاريخ الدول مأخوذ من كتاب تاريخ الكنائس . فلم يبق هناك أدنى شك في أن هذه الأدلة قاطعة بما ذهب إليه مؤرخو الغرب أمثال (رينودو . Renaueot ، وجبون . Gibbon) من عدم تصديق قصة أبى الفرج ابن العبرى التى لاتعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ، ليس لها أساس في التاريخ الصحيح ، والتى ينقضها تماماً ما عرف عن العرب من عنايتهم الفائقة بالكتب القديمة التى وقعت في أيديهم ، لحفظوها وترجموها منها ، وأقاموا عليها الأكاديميات العلمية .

* * *

وبعد ، فإن كتاب «فتوح مصر والمغرب» لابن عبد الحكم من الكتب التى خلفت في نفسى أثراً كبيراً ، يمتزج فيه الإعجاب والتقدير بالرغبة في أن تمتلك المكتبة التاريخية كتاباً مرجعاً قيماً مثله ، وقد نشرته مفرداً القسم التاريخي منه في هذا الجزء الأول من الكتاب ، وزودته بالخرائط والصور الموضحة ،

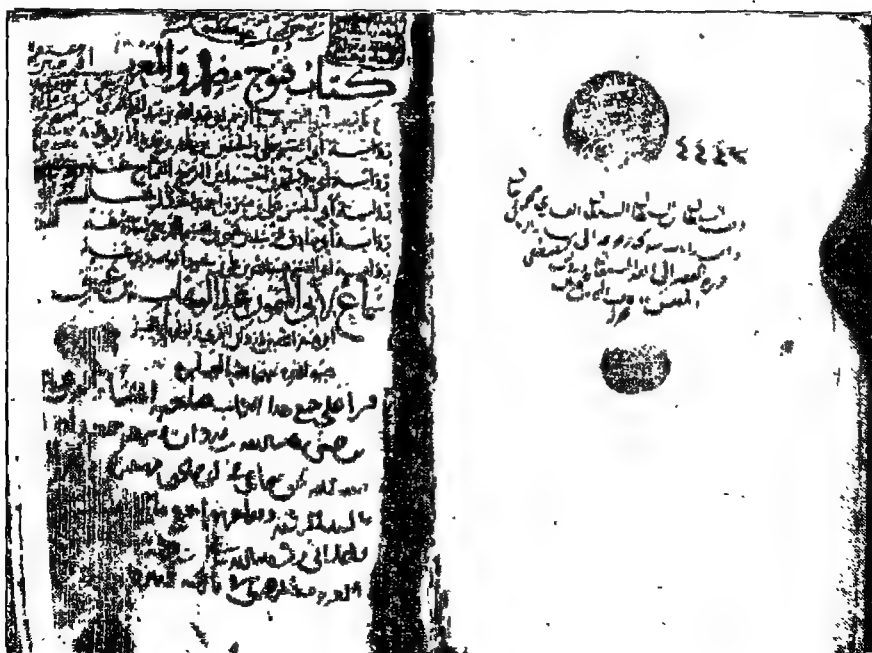
(ث)

وسيصدر الجزء الثاني منه مضمّنًا القسمين الخاصين بالقضاء ، وبالحدثين وأحاديثهم ،
التي رواها عنهم أهل مصر ، ومذيلا بالفهارس الفنية المختلفة لجملة الكتاب .

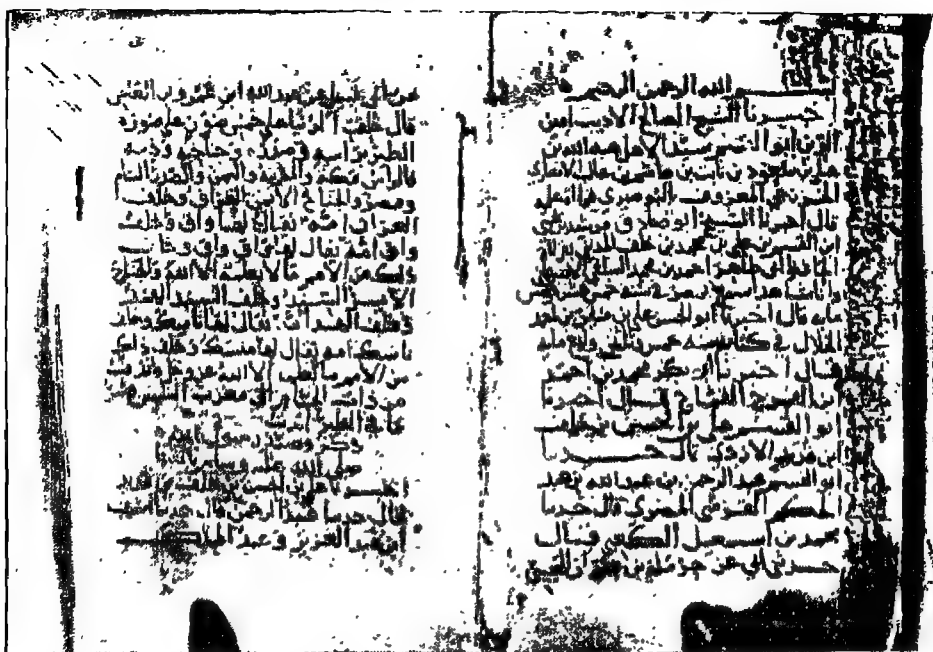
وإني أستمّنح القارىء ارتضاءه أنى لم أجِد من الهنات المطبعية التي نذت
عن النظر أثناء مراجعة تجارب الطبع ما يستحق الإبراز في ثبت خاص ، فهي
قريبة الإدراك ، سهلة الوضوح مـ

المعادي في مايو ١٩٦١

عبد المنعم عامر



صفحة عنوان المخطوط



الصفحتان الأولى والثانية من المخطوط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا الشيخ الصالح الأديب أمين الدين أبو القاسم سيد الأهل ، هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب الأنصاري الخزرجي ، المعروف بالبوصيري ، قراءة عليه قال :

أخبرنا الشيخ أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم بن علي بن محمد بن خلف المدني بقراءة الحافظ أبي طاهر ، أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني وأنا شاهد أسمع بمصر في سنة خمس عشرة وخمسمائة (هجرية) قال :

أخبرنا أبو الحسن علي بن منير بن أحمد الخلال في كتابه سنة خمس وثلاثين وأربعمائة قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج القمّاح قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدي قال ، حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري قال : حدثنا محمد بن اسماعيل السكعي قال : حدثني أبي عن حرمة بن عمران التميمي عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : خلقت الدنيا على صورة الطير برأسه وصدره وجناحه وذنبه ، فالرأس مكة والمدينة واليمن ، والصدر الشام ومصر ، والجناح اليمن العراق ، وخلف العراق أمة يقال لها واق⁽¹⁾ ، وخلف واق أمة يقال لها واق واق ، وخلف

(1) جاء في شرح القاموس أنها بلاد الصين ، وقد ورد ذكرها في كثير من كتب المؤرخين العرب القدماء ، وكتب الرحالة العرب ، وليس لها ذكر في التواريخ العلمية الصحيحة ولعل العرب أطلقوا اللفظ على بلاد مجهولة لهم ، سمعوا أن بها كثيرا من طيور الماء التي تسمى الواقفة .

وقد ورد ذكر بلاد الواق وواق الواق في كتاب المسالك والممالك للأصطخري ، ولكنه لم يبين موقعا على خرائطه المصورة التي يضمها كتابه المخطوط بدار الكتب .

ذلك من الأمم مالا يعلمه إلا الله ، والجناح الأيسر السند ^(١) وخلف السند الهند ،
وخلف الهند أمة يقال لها : ناسك ^(٢) ، وخلف ناسك أمة يقال : لها منسك وخلف ^(٣)
ذلك من الأمم مالا يعلمه إلا الله عز وجل ، والذئب من ذات الحمام ^(٤) إلى مغرب
الشمس ، وشر ما في الطير الله . نب .

ذكر

وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبط

خبرنا علي بن الحسن بن خلف بن قديد قال حدثنا عبيد الرحمن ، قال حدثنا
أشهب بن عبد العزيز وعبد الملك بن مسلمة قالا : حدثنا مالك بن أنس عن ابن
شهاب عن ابن لكعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا افتتحتهم
مصر فاستوصوا بالقبط خيرا ، فإن لهم ذمة ورجا .

قال ابن شهاب ، وكان يقال : إن أم اسماعيل بن إبراهيم عليها السلام منهم .

حدثنا عبد الله بن صالح ومحمد بن رُمح قالا : حدثنا الليث بن سعد عن ابن
شهاب عن ابن لكعب بن مالك ^(٤) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .

(١) السند نهر معروف في الهند ، وقد لجأ في معجم البلدان أن السند بلاد بين الهند
وكرمان وسجستان ، وأنها خمس كور ، وأن قصبه السند مدينة يقال لها المنصورية ، اسمية
إلى منصور بن جمهور عامل بني أمية ، وكان أسماها قبلا همتا باذ .

(٢) لم أعر في المراجع التاريخية والجغرافية على توضيح لدلول هذين اللفظين يحددهما
وإن كان ذكرهما قد ورد كثيرا في كتب التاريخ القديمة للمؤرخين العرب .

(٣) ذات الحمام إحدى الموانئ المصرية على البحر الأبيض المتوسط ، ولم يرد لها ذكر
في المراجع التاريخية أو الجغرافية إلا ما ذكره ابن الكندي عنها في عدة نصوص مصر ، وأنها
أربعة عشر رباطا ، وهي العريش وتيس وشطا ودباط والبرلس ورشيد والاسكندرية
وذاات الحمام ، ولعلها السوم .

(٤) كعب بن مالك أحد الصحابة ، وهو من الثلاثة الذين خلفوا في إحدى غزوات
الرسول ونزل فيهم قوله تعالى : وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما
رحبت وضائق أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ... الآية رقم ١١٨ من سورة
التوبة .

قال الليث : لابن شهاب ، ما رَحُّهم ؟

قال : إن أم إسماعيل منهم .

أخبرنا أبي عبد الله بن عبد الحكم وحامد بن يحيى قالا ، حدثنا سفيان بن عُيينة عن الزهري - أظنه عن ابن لكعب بن مالك - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا عبد الملك بن هشام ، حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحاق قال ، حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ثم السلمي حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن اسحاق : فقلت لمحمد بن مسلم ، ما الرحم الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم حدثني رشدين بن سعد ، وحدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا عبد الله بن وهب عن حرملة بن عمران التميمي^(١) عن عبد الرحمن ابن شماس المهرقي قال : سمعت أبا ذر يقول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم ستفتحون أرضاً يؤذي فيها القيراط^(٢) ، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً .

حدثنا سعيد بن ميسرة عن اسحاق بن القرات عن ابن أبيه عن الأسود ابن مالك الحميري عن بجير بن ذاخر الماعري عن عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجل سيفتح عليكم بعدى مصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لكم منهم صبراً وذمة .

(١) في نسخة ح النجيب ، وهو حرملة بن يحيى بن حرملة بن عمران ، أبو حفص التميمي المصري ، صاحب الامام الشافعي (تقريب التهذيب صحيفة ٩٩) .
(٢) القيراط وزن يختلف حسب البلاد ، وقد كانت قيمته بمكة إذذاك ربيع سدس الدينار .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ويحيى بن عبد الله بن بكير عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة أن أباسلم الجبشاني سيفان بن هاني أخبره أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنكم ستكونون أجناداً ، وإن خير أجنادكم أهل العرب منكم ، فاتقوا الله في القبط ، لا تأكلوهم أكل الحضر ^(١) » .

حدثنا أبي ، حدثنا إسماعيل بن عتياش عن عبد الرحمن بن زياد عن مسلم بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : استوصوا بالقبط خيراً فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم » .

حدثنا عبد الملك بن مسleme عن الليث وابن لهيعة ، قال عبد الملك : وأخبرنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب أن أباسلمة ابن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته أن تخرج اليهود من جزيرة العرب ، وقال ، « الله . . . الله في قبط مصر ، فإنكم ستظفرون عليهم ، ويكونون لكم عُدّة وأعواناً في سبيل الله » .

قال : وحدثنا عبد الملك بن مسleme حدثنا ابن وهب عن موسى بن أيوب الغافقي عن رجل من الزبدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فأغى عليه ، ثم أفاق ، فقال « استوصوا بالأدَمَ الجعد ^(٢) » . ثم أغى عليه الثانية ، ثم أفاق . فقال مثل ذلك . قال : ثم أغى عليه الثالثة ، فقال مثل ذلك .

فقال القوم لو سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من الأدم الجعد ؟ فأفاق ، فسألوه ، فقال : « قبط مصر ، فإنهم أخوال وأصهار ، وهم أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم » .

(١) الحضر هو الذي يتجبن طعام الناس حتى يحضره .

(٢) الأدمة هي السرة ، والأدم من الناس الأسمر ، والجعد جم جعد وهو الرجل ذو الشعر المفلقل .

قالوا : كيف يكونون أعواننا على ديننا يا رسول الله ؟

قال : « يكفونكم أعمال الدنيا ، وتتفرغون للعبادة ، فالراضي بما يؤتى إليهم كالفاعل بهم ، والساكر لما يؤتى إليهم من الظلم كالمتنزه منهم » .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ابن وهب عن أبي هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي وعمر بن حُرَيْث^(١) وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنكم ستقدمون على قوم ، جُمُودٌ وعوسهم ، فاستوصوا بهم خيراً ، فإنهم قوة لكم وبلاغٌ إلى عدوكم بإذن الله تعالى » — يعنى قبط مصر .

حدثنا أبو الأسود ، حدثنا ابن لهيعة عن ابن هانئ ، أنه سمع الحبلي وعمر بن حُرَيْث^(١) يحدثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا عبد الملك بن هشام ، أخبرنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة ، حدثني عمر مولى غفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الله .. الله في أهل الذمة ، أهل المدرة السوداء ، السُحُم^(٢) الجعاد ، فإن لهم نسبا وصهرا » .

قال عمر مولى غفرة : صهرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرر فيهم ، ونسبهم أن أم إسماعيل هاجر من أم العرب ، قرية كانت أمام القرما من مصر .

حدثنا عثمان بن صالح أخبرنا مروان القصاص قال : صاهر إلى القبط من الأنبياء صلوات الله عليهم ثلاثة : إبراهيم خليل الرحمن — عليه السلام — تسرر هاجر ، ويوسف صلى الله عليه وسلم تزوج بنت صاحب عين شمس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم تسرر مارية القبطية .

حدثنا هانئ بن المتوكل ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن

(١) في نسخة ه عمر ، وهو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، صحابي صغير ، مات سنة خمس وعشرين .

(٢) السحُم جمع أسحُم ، والسحمة سواد كلون الغراب .

قرية هاجر « ياقُ » التي عند أمّ دُنَيْن^(١) ، ودفنت هاجر حين توفيت كما حدثنا ابن هشام عن زياد بن عبد الله عن ابن اسحاق في الحِجْرِ .
قال ابن هشام : تقول العرب هاجرَ وآجرَ ، فيبدلون الألف من الميم ، كما قالوا : هراق الماء وأراق الماء ، ونحوه .

ذكر

بعض فضائل مصر

حدثنا عبد الله بن صالح عن ابن لهيعة عن بكر بن سَوادة ، وبكر بن عمرو الخولاني ، يرفعان الحديث إلى عبد الله بن عمرو ، قال : قبض مصر أكرم الأعاجم كلها ، وأسمحهم يدا ، وأفضلهم عُصرا ، وأقربهم رَحماً بالعرب عامة وبقر يش خاصة ، ومن أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها في الدنيا فليَنظر إلى أرض مصر حين تخضر زروعها وتنور ثمارها .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن كعب الأحمار قال : من أراد أن ينظر إلى شَبّه الجنة فليَنظر إلى مصر إذا أخضرت^(٢) ، وقال غير أبي الأسود : إلى أرض مصر إذا أزهرت .

وقال غير ابن لهيعة : وكان منهم السَّحرة ، فأمنوا جميعاً في ساعة واحدة ، ولا نعلم جماعة أسلمت في ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط .

قالوا : وكانوا كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن عبد الله ابن هُبيرة السَّبْأِيّ وبكر بن عمرو الخولانيّ ويزيد بن أبي حبيب المالكيّ ، يزيد بعضهم

(١) أم دنين : قرية كانت بين القاهرة والنيل ، وقد اختلعت بمازل أرباش الداهية . وموضعها المنطقة الممتدة من حديقة الأزبكية إلى جامع أولاد عثمان الآن ، وقد كانت قرية حصينة وفي مرفئها سفن كثيرة .

(٢) أى في زمن الخريف .

على بعض في الحديث ، اثني عشر ساحرا رؤساء ، تحت يدي كل ساحر منهم عشرون عريفا ، تحت يدي كل عريف منهم ألف من السحرة ، فكان جميع السحرة مائتي ألف وأربعين ألفا ، ومائتين واثنتين وخمسين إنسانا بالرؤساء والعرفاء^(١) ؛ فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء ، وأن السحر لا يقوم لأمر الله . فخرّ الرؤساء الاثنا عشر عند ذلك سُجّدا ، فاتّبعهم العرفاء ، واتبع العرفاء من بقي ، وقالوا : آمنا برب العالمين ، رب موسى وهرون ؛ ولم يفتن منهم أحد مع من افتتن من بني اسرائيل في عبادة العجل .

حدثنا هاني بن المتوكل ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن نُبَيْعًا كان يقول : ما آمن جماعة قط في ساعة واحدة مثل جماعة القبط .

حدثنا أبو صالح ، حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب أنه بلغه أن كعب الأحبار كان يقول : مثل قبط مصر كالغَيْضَةِ كلما قُطِعَتْ نَبَتَتْ حتى يُخْرَبَ الله بهم وبصناعتهم جزائر الروم .

قال : وكانت مصر — كما حدثنا عبد الله بن صالح ، وعثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شماس المهرقي عن أبي رُحْمٍ السَّامَعِيِّ — قناطر وجسورا بتقدير وتدير ، حتى إن الماء ليجري تحت منازلها وأقيمتها^(٢) ، فيحبسونه كيف شاءوا ، ويرسلونه كيف شاءوا .

فذلك قول الله — عز وجل — فيما حكى من قول فرعون (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ، وهذه الأنهار تجري من تحتي ، أفلا تبصرون)^(٣) .

ولم يكن في الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر ، وكانت الجنّات بحافتي

(١) في تحديد العدد مبالغة تحتاج إلى دليل ، وهو ما تنفرد إليه هذه الرواية . وأمثالها في كتب القدامى من مؤرخي العرب ، وإن دل العدو على شيء فإنما يدل على السكثرة .

(٢) في نسخة ه وأبنيها .

(٣) الآية ٥١ من سورة الزخرف :

الفيل من أوله إلى آخره في الجانبين جميعا ما بين أسوان إلى رشيد، وسبع خُجج^(١) :
خليج الاسكندرية ، وخليج سخا^(٢) ، وخليج دمياط ، وخليج مَنف ، وخليج
الفيوم ، وخليج المنهى ، وخليج سرَدُوسَ جَنَّاتٍ متصلة لا يقطع منها شيء
عن شيء . والزريع ما بين الجبلين من أول مصر إلى آخرها بما يبلغه الماء .

وكان جميع أرض مصر كلها تُروى من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا
من قناطرها وخليجها وجسورها ، فذلك قوله عز وجل (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ^(٣)) .

قال : والمقام الكريم المنابرُ - كان بها ألف منبر^(٤) .

قال : وأما خليج الفيوم واللمهى فخبرها يوسف - عليه السلام - - وسأذكر
كيف كان ذلك في موضعه ، إن شاء الله ؛ وأما خليج سردوس فإن الذى حفره
هامانُ .

حدثنا عبد الله بن صالح وعثمان بن صالح قالا : حدثنا ابن لهيعة عن يحيى
ابن ميمون الحضرمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص « أن فرعون استعمل
هامان على حفر خليج سردوس ، فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن
يُجري الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا .

قال : وكان يذهب به إلى هذه القرية من نحو المشرق ثم يردّه إلى قرية

(١) الخليج من البحر الشرم الذى يمتد منه في اليابس ، ومن معانيه اللغوية النهر يقتطم
من النهر الأعظم إلى موضع يقتطم به فيه .

(٢) سخا بلد من أعمال مركز كفر الشيخ حاليا ، وكانت كورة ، وقصبة السكورة
القرية في عهد الدولة الأيوبية ، وكان بها دار الوالى . واليه ينسب الامام الشيخ على السخاوى
المقرئ النجوى القوي ؛ والحافظ الشهير محمد شمس الدين السخاوى صاحب كتاب الضوء
اللامع في أهل القرن التاسع . (الخطط التوفيقية صحيفة ١٢ الجزء الحادى عشر) .

(٣) الآية ٢٥ من سورة الدخان .

(٤) المنبر مراقبة الخطيب وسمى منبرا لارتفاعه وعالوه ، وانتير الامير إذا ارتفع فوق
المنبر ، وقد اتخذت المنابر من قديم ، ويستعمل لفضها للدلالة على الخطوط والأماكن ، وفي
تحميد العدد مبالغة .

من نحو دُبر القبله^(١) ، ثم يردّه إلى قرية في الغرب ، ثم يرده إلى قرية في القبله^(٢) ، ويأخذ من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له في ذلك مائة ألف دينار . فأتى بذلك يحمّله إلى فرعون ، فسأله فرعون عن ذلك ، فأخبره بما فعل في حفره . فقال له فرعون : « وَيَحْك ، إنه ينبغي للسّيد أن يعطف على عباده^(٣) ، ويُفِيض عليهم ، ولا يرغب فيما بأيديهم . رُدّ على أهل كل قرية ما أخذت منهم » . فردّه كلّ على أهله .

قال : فلا يُعلم بمصر خليج أكثر عطوفاً منه لما فعل هامان في حفره . وكان هامان -- كما حدثنا أسد عن خالد بن عبد الله عن مُحدث حدثه -- نَهْطِيًّا^(٤) ، وكانت بحيرة الإسكندرية كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث ابن سعد كرمًا ، كلّها لامرأة المقوقس ، فكانت تأخذ خراجها منهم ، الخمر بفريضة عليهم ، فكثرت الخمر عليها حتى ضاقت به ذرعًا ، فقالت : لا حاجة لي في الخمر ، أعطوني دنائير ؛ فقالوا : ليس عندنا ، فأرسلت عليهم الماء ففَرَقَها ، فصارت بحيرة ، يصاد فيها الحيتان ، حتى استخرجها بنو العباس ، فسدّوا جسورها ، وزرعوا فيها .

ذكر

نزول القبط بمصر وسكنائهم بها

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن عيَّاش^(٥) بن عباس القتيّاني عن حَنَش بن عبد الله الصنماني عن عبد الله بن عباس قال : كان لنوح -- عليه السلام -- أربعة من الولد : سام بن نوح ، وحام بن نوح ، ويافث بن نوح ، ويحطون بن

(١) يعني في الشمال الغربي . (٢) يعني : الجنوب الشرقي .

(٣) في نسخة ج (عبيده) .

(٤) واحد الانباط وهم سكان سواد العراق ، وإنما سموا بذلك لاستنباطهم ما يخرج من الأرض ؛ وهامان هو وزير مرتباج فرعون موسى من الأسرة التاسعة عشرة .

(٥) في نسخة ب عباس ، والصواب أنه عيَّاش بن عباس القتيّاني ، بكسر القاف وسكون التاء ، المصري ، وهو ثقة من المحدثين .

نوح ، وأن نوحا - عليه السلام - رغب إلى الله - عز وجل - وسأله أن يرزقه الإجابة في ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة . فوعده ذلك ، فنادى نوح ولده ، وهم نيام عند السحر ، فنادى ساما ؛ فأجابه يسعى ، وصاح سام في ولده ، فلم يجبه أحد منهم إلا ابنه أرفخشذ ، فانطلق به معه حتى أتياه ، فوضع نوح يمينه على سام ، وشماله على أرفخشذ بن سام . وسأل الله عز وجل أن يبارك في سام أفضل البركة ، وأن يجعل الملك والنبوة في ولد أرفخشذ .

ثم نادى حاما ، فتلفت يميننا وشمالا ولم يجبه ، ولم يقم إليه هو ولا أحد من ولده ، فدعا الله عز وجل أن يجعل ولده أذلاء ، وأن يجعلهم عبيدا لولد سام .

قال : وكان مضر بن يئصر بن حام نائما إلى جنب جدّه حام ، فلما سمع دعاء نوح على جدّه وولده قام يسعى إلى نوح ، فقال يا جدى ، قد أجبتك إذ لم يجبك أبى ولا أحد من ولده ، فأجعل لى دعوة من دعوتك ، ففرح نوح - عليه السلام - ووضع يده على رأسه ، وقال : اللهم إنه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته ، وأسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد ، التى نهرها أفضل أنهار الدنيا ، واجعل فيها أفضل البركات ، وسخر له ولولده الأرض ، وذلها ، وقوهم عليها . قال : ثم دعا ابنه يافث ، فلم يجبه هو ولا أحد من ولده ، فدعا الله ، عز وجل ، عليهم أن يجعلهم شرارا للخلق .

قال : ثم دعا ابنه يهطون فأجابه ، فدعا الله - عز وجل - أن يجعل له البركة ، فلم يكن له ولد ولا نسل .

فعاش سام مباركا حتى مات ، وعاش ابنه أرفخشذ بن سام مباركا حتى مات ، وكان الملك الذى يحبه الله والنبوة والبركة في ولد أرفخشذ بن سام . وكان أكبر ولد حام كنعان بن حام ، وهو الذى حيل به فى الزجر فى الفلأك ،

فدعا عليه نوح ، فخرج أسود ، وكان في ولده الجفاء والممل والجبروت ، وهو أبو السودان والحبش كلهم .

وابنه الثاني كُوش بن حام ، وهو أبو السند والهند ، وابنه الثالث قوط بن حام .
وهو أبو البربر ، وابنه الأصغر الرابع • يبصر بن حام ، وهو أبو القبط كلهم .

وحدثنا عبد الملك بن مسعدة ، حدثنا سليمان بن بلال ، وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : ولد نوح النبي — عليه السلام — ثلاثة نفر : سام وحام ويافت . فولد كل واحد من الثلاثة ثلاثة ، فسام أبو العرب وفارس والروم ^(١) ، ويافت أبو الصقالبة والترك وياجوج وماجوج ^(٢) ، وحام أبو السودان والبربر والقبط .

ثم رجع إلى حديث عثمان قال : فولد يبصر بن حام أربعة ، مصر بن يبصر ، وهو أكبرهم ، والذي دعا له نوح — صلوات الله عليه — بما دعا له ، وفارق بن يبصر وماح بن يبصر ، وياح بن يبصر .

قال غير عثمان فولد مصر أربعة ، قفط بن مصر ، وأشم بن مصر ، وأتريب بن مصر ، وصاء بن مصر ^(٣) .

حدثنا عثمان بن صالح ويحيى بن خالد عن ابن لهيعة وعبد الله بن خالد يزيد أحدهما على صاحبه ، وكان عثمان ربما قال ، حدثني خالد بن نجيح عن ابن

(١) ليس الفرس والروم من الجنس السامي .

(٢) ياجوج وماجوج ، جاء في كتب الجغرافية القديمة وفي كتب الرحالة العرب ، أنهم صنف من الأتراك الغربيين ، كانت تسكن شرق أذربيجان ، وليس في التاريخ ما يفيد في توضيحهما ، وقد اعتمد المؤرخون على الكتب السماوية في التعريف بياجوج وماجوج . (الآية رقم ٩٤ من سورة الكهف) وانظر صحيفة ٤١ من كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية لليروني طبعة سنة ١٨٧٨ م بأوربا .

(٣) ليس لهذه الرواية ما يؤيدها من الأسانيد التاريخية الصحيحة ، والملاحظ في كتب المؤرخين العرب أنهم قد اتخذوا من أسماء البلاد مادة للاسباب ، تسير الاشتقاق الانوى .

لهيعة وعبد الله بن خالد قالوا : فكان أول من سكن بمصر بعد أن غرق الله قوم نوح ببصر بن حام بن نوح ، فسكن منف^(١) - وهي أول مدينة عمرت بعد الفرق - هو وولده ، وهم ثلاثون نفسا ، قد بلغوا وتزوجوا ، فبذلك سميت مافة ، ومافة ، باسان القبط ، ثلاثون .

قال : وكان ببصر بن حام قد كبر وضعف ، وكان مصر أكبر ولده ، وهو الذى ساق أباه وجميع إخوته إلى مصر ، فنزلوا بها ، فبمصر بن ببصر سميت مِصْرُ مِصْرَ ، فحاز له ولولده ما بين الشجرتين خلف العريش إلى أسوان طولا ، ومن برقة إلى أيلة عرضا .

قال : ثم إن ببصر بن حام توفى ، فدفن فى موضع أنى هِرْمِيس .

قال غير عثمان : فهى أول مقبرة تُقبر فيها بأرض مصر .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال : ثم إن ببصر بن حام توفى ، واستحلف ابنه مصر ، وحاز كل واحد من إخوة مصر قطعة من الأرض لنفسه ، سوى أرض مصر التى حازها لنفسه ولولده ، فلما كثر ولد مصر وأولاد أولادهم قطع مصر لكل واحد ولده قطعة يحوزها لنفسه ولولده ، وقسم لهم هذا النيل .

قال : فقطع لابنه فقط موضع فقط^(٢) ، فسكنها ، وبه سميت فقط فقط ،

(١) منف عاصمة مصر فى العهد الفرعونى بعد وحدة الشمال مع الجنوب فى عهد مينا ، ومكانها جنوب الأهرامات بالجيزة قبالة الفسطاط (مصر القديمة) .

(٢) فقط بلدة مصرية قديمة جنوبى مدينة فومى ، وهى أقرب إلى الجبل منها إلى النيل ، وتقع فى الجهة الشرقية من النيل على بعد سبعة أميال . وقد سماها اليونان ، كبتوس ، وينسب إليها الشيخ على بن يوسف بن إبراهيم الشيبانى الذى تولى الوزارة فى حاب فى أوائل سنة ٦١٤ هـ ، وكان ذا دراية فى الهندسة وجميع العلوم والتواريخ (راجع كتاب المخطوطات التوفيقية ص ١٠٥ الجزء الرابع عشر) .

وما فوقها إلى أسوان ، وما دونها إلى أشمون^(١) في الشرق والغرب ، وقطع لأشمن من أشمون فما دونها إلى منف في الشرق والغرب ، فسكن أشمن أشمون ، فسميت به ، وقطع لأتريب ما بين منف إلى صاء ، فسكن أتريب^(٢) فسميت به ، وقطع لصاء ما بين صاء^(٣) إلى البحر ، فسكن صاء ، فسميت به ، فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء : جزء من بالصعيد وجزء من بأسفل الأرض .

قال : ثم توفى مصر بن ييصر ، فاستخلف ابنه قفط بن مصر ، ثم توفى قفط ابن مصر ، فاستخلف أخاه أشمن بن مصر ثم توفى أشمن بن مصر ، فاستخلف أخاه أتريب بن مصر ، ثم توفى أتريب بن مصر ، فاستخلف أخاه صا بن مصر ، ثم توفى صا بن مصر ، فاستخلف ابنه تدارس بن صا ، ثم توفى تدارس بن صا ، فاستخلف ابنه ما ليق بن تدارس ، ثم توفى ما ليق بن تدارس ، فاستخلف ابنه خربتا بن ما ليق ، ثم توفى خربتا بن ما ليق ، فاستخلف ابنه كلكن بن خربتا ،

(١) أشمون المعروفة قاعدة مركز أشمون من أعمال محافظة النوفية ، والمراد الأشموين التي تقع بين قفط ومنف ، حتى ينسق التقسيم ، وقد جاء في الخطط التوفيقية ص ٧٤ من الجزء الثامن . وكان يقال لها أشمون بالأفراد ، وكانت مديرية المنيا تسمى مديرية الأشموين ، ولا تزال آثار هذه المدينة القديمة باقية ، وقد بنيت قبليها ملوى من أعمال محافظة المنيا بالوجه القبلي .

(٢) أتريب قرية بالقرب من بنها حاضرة محافظة القليوبية وتعرف بثل أتريب ، وكانت قديما من المدن المظلمة على الشاطئ الشرقي للنيل ، ويقال لها أتريبس في التواريخ اليونانية ، ويروي المؤرخون أن طولها كان اثني عشر ميلا وعرضها كذلك ، وكان لها اثنا عشر بابا . وكان بها خليج تجرى به مياه النيل . وتتفرع منه نزع صغيرة يحيط منها الماء بالمساكن . وذكر ابن اياس أن بساطينها كانت مملوءة بالأشجار المثمرة وبيوتها في غاية الحسن . وكانت قاعدة لأقاليم تعزى إليها قرأه ، وهي مائة قرية وثمانية .

(٣) صا هي صا الحجر : وهي بلدة بمركز كفر الزيات من أعمال محافظة البحيرة شرقي فرع رشيد . وكانت صا من أعظم مدن الوجه البحري . وهي غير صا الحجر (نفيس) وقد ذكر هيرودوت أنه كان بها قرا أوزيس .

وجاء في قاموس الجغرافية الأفرنجي أن سكروپ الذي أسس مدينة أمينا ببلاد اليونان أصله من صا الحجر ، وقد دخل بلاد اليونان سنة ١٦٤٣ ق . م .

فلكمهم نحواً من مائة سنة ، ثم توفي ولا ولد له ، فاستخلف أخاه ماليا بن خربتا ، ثم توفي ماليا بن خربتا فاستخلف ابنه طوطيس بن ماليا ، وهو الذى وهب هاجر لسارة امرأة إبراهيم خليل الرحمن ^(١) عليه السلام .

ذكر

وفول إبراهيم مصر

وكان سبب دخول إبراهيم - عليه السلام - مصر كما حدثنا أسد بن موسى وغيره ، أنه لما أمر بالخروج عن أرض قومه والهجرة إلى الشام خرج ومعه لوط وسارة ، حتى أتوا حران ^(٢) ، فنزلها ، فأصاب أهل حران جوع ، فارتحل سارة ، يريد مصر ، فلما دخلها ذكر جمالها لملكها ، ووصف له أمرها ، وكان حُسن سارة كما حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عبد الله بن خالد عن خالد بن عبد الله عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان حسن سارة حسن حواء .

قال : ثم رجع إلى حديث أسد وغيره قال ، فأمر بها ، فأدخلت عليه ، وسأل إبراهيم - عليه السلام - قال له : ما هذه المرأة ؟ ، قال : أختي . فهم الملك بها ، فأينس الله يديه ورجليه ؛ فقال لإبراهيم : — هذا عملك ، فادع الله لى ، فوالله لا أسوءك فيها .

فدعا الله له ، فأطلق الله يديه ورجليه ، وأعطاهما غنماً وبقراً ، وقال : ما ينبغي لهذه أن تخدع نفسها ، فوهب لها هاجر .

(١) المعروف أن إبراهيم الخليل دخل مصر في عهد الملكسوس ، ويذكر بعض المؤرخين ، أن ملك الملكسوس أهدها هاجر . وهو ما يشير إليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل سيفتح عليكم بمصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لكم منهم مهنراً وذمة . (٢) حران مدينة مشهورة بالإقليم الشمالى على الطريق إلى الموصل ، وقد فتحها العرب أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم .

وكان أبو هريرة يقول : فثلك أمكم يابني ماء السماء — يريد العرب .
 حدثونا عن عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن أيوب عن محمد بن
 سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن إبراهيم قدم أرض
 جبار ، ومعه ^(١) سارة ، وكانت أحسن الناس ، فقال لها ، إن هذا الجبار إن يعلم
 أنك امرأتى يغلبنى ، فإن سألك فاخبريه أنك أختى فى الإسلام ، فلما دخل
 الأرض رآها بعض أهل الجبار ، فأتاه ، فقال ، لقد دخلت أرضك امرأة لا ينبغي
 أن تسكون إلا لك ؛ فأرسل إليها ، فأتى بها ، وقام إبراهيم للصلاة .

فلما دخلت عليه لم يتألك أن بسط يده إليها ، فقبضت يده قبضة شديدة ،
 فقال لها :

— ادعى الله أن يطلق يدى ، فلا أضرك .

ف فعلت .

فعاد ، فقبضت يده أشد من القبضة الأولى .

فقال لها مثل ذلك ؛ ففعلت ؛ فعاد ؛ فقبضت أشد من القبضتين الأولىين .

فقال : ادعى الله أن يطلق يدى ، فلك الله ألا أضرك .

ف فعلت ، وأطلقت يده .

فدعا الذى جاء بها ، فقال :

— إنك إنما أتيتنى بشيطان ، ولم تأتى بإنسان ، فأخرجها من أرضى .

وأعطاهما هاجر .

فأقبلت تمشى .

فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف ، وقال لها : مهيم ^(٢) .

(١) فى نسخة ج : وكانت معه .

(٢) كذا فى الأصل ، ولم أجد لهذا اللفظ معناه ، ولعله لفظ سؤال عما حدث .

قالت : خيرا ، كفّ الله يد الفاجر ، وأخدم خادما .

قال أبو هريرة : فتلّك أمكم يا بني ماء السماء .

قال ابن وهب : وأخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه ، قال : فقام إليها ، فقامت تتوضأ تصلي ، ثم قالت : اللهم إني كنت آمنك بك وبرسولك ، وأحصنت فرجى إلا على زوجى ، فلا تسلط على الكافر ، ففطحت حتى ركض برجله .

قال الأعرج ، قال أبو سلمة ، قال أبو هريرة ، قالت : اللهم إن يمت يقال هي قتلتها^(١) .

حدثنا أسد بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب — رضى الله عنه — أن سارة كانت بنت ملك من الملوك وكانت قد أوتيت حسنا ، فتزوجها إبراهيم عليه السلام ، فتربها على ملك من الملوك ، فأعجبته ، فقال لإبراهيم .

— من هذه ؟

فقال لئما شاء الله أن يقول .

فلما خاف إبراهيم وخافت سارة أن يدنو منها دعوا الله عليه ، فأبىس الله يديه ورجليه ، فقال لإبراهيم .

— قد علمت أن هذا عملك فادع الله لى ، فوالله لا أسوءك فيها .

فدعا له ، فأطلق على يديه ورجليه .

ثم قال الملك :

— إن هذه لامرأة لا ينبغي أن تخدم نفسها .

(١) في نسخة زيادة (. فأفاق ، فهم بها أخرى ، فقالت : اللهم كفاه كيف شئت تسكف) .

فوهب لها هاجر ، فخدمتها ما شاء الله .

ثم إنها غضبت عليها ذات يوم ، فحلفت لتغيرن منها ثلاثة أشياء .

فقال : تخفضيها^(١) ، وتثقبين أذنيها .

ثم وهبتها لإبراهيم على ألا يسوءها فيها ، فوقع عليها ، فولدت إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

قال : وكانت سارة كما حدثنا وثيمة بن موسى عن سلمة بن الفضل وعمرو ابن الأزهر - أو أحدهما - عن ابن اسحاق عن عبد الرحمن عن أبي هريرة حين رأت أنها لا تلد أحببت أن تعرض هاجر على إبراهيم ، فكانت تمنعها الغيرة . وكانت هاجر كما حدثنا وثيمة بن موسى عن سلمة بن الفضل وعمرو بن الأزهر - أو أحدهما أو كلاهما - عن ابن اسحاق أول من جرّت ذيلها لتخفي أثرها على سارة ؛ وكانت سارة قد حلفت لتقطعنّ منها عضوا .

فبلغ ذلك هاجراً ، فلبست درعا لها ، وجرّت ذيلها لتخفي أثرها ، وطلبها سارة ، فلم تقدر عليها .

فقال إبراهيم :

- هل لك أن تعفى عنها ؟

قالت : فكيف بما حلفت ؟

قال : تخفضيها ، فيكون ذلك سنة للنساء ، فتبرهن يمينك .

ف فعلت ، فصارت السنة بالخفض .

(١) الخافضة الخاتنة ، والخفض الختان وهو خاس بالأنثى ، فيقال للجارية خفض وللغلام ختن ، وفي القصة تعليل طريف رواه بعض المؤرخين .

ذكر

ظفر العمالة بمصر وأمر يوسف

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال : ثم توفي طوطيس بن ماليا ، فاستخلف ابنته خروبا ابنة طوطيس ، ولم يكن له ولد غيرها ، وهي أول امرأة ملكت .

قال : ثم توفيت خروبا ابنة طوطيس ، فاستخلفت ابنة عمها زالقا ابنة ماموم بن ماليا ، فعمرت دهر اطويلا ، وكثروا ونموا ، وملأوا أرض مصر كلها ، فطمعت فيهم العمالة ، فزاهم الوليد بن دؤمغ ، فقاتلهم قتالا شديدا ، ثم رضوا أن يملكوه عليهم ، فملكهم نحواً من مائة سنة ؛ فطغى وتكبر ، وأظهر الفاحشة ، فسلط الله عليه سبيحاً ، فافترسه وأكل لحمه .

قال : والعماليق كما حدثنا عبد الملك بن هشام من ولد عملاق ، ويقال عمليق بن لاوذ بن سام .

حدثنا أبو الأسود وأسد بن موسى ويحيى بن عبد الله بن بكير عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن ابن حُجيرة قال : استظل سبعة رجال من قوم موسى في قِحف رجل من العماليق ؛ قال : فملكهم من بعده ابنه الريان بن الوليد ابن دؤمغ ، وهو صاحب يوسف النبي عليه السلام ؛ فلما رأى الملك الرؤيا التي رآها ، وعبرها يوسف عليه السلام أرسل إليه الملك ، فأخرجه من السجن .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : فأتاه الرسول ، فقال : ألقى عنك ثياب السجن ، والبس ثياباً جُددًا ، وقم إلى الملك ؛ فدعا له أهل السجن ، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة .

فلما أتاه رأى غلاماً حدثاً ، فقال :

— أيعلم هذا رؤياي ، ولا يعلمها النخرة والكهنة . . ؟

وأقعداه قدامه ، وقال له : لا تخف .

قال عثمان وغيره في حديثهما ؛ فلما استنطقه وساء له عظم في عيه ، رجل
أمره في قلبه ، فدفع إليه خاتمه ، وولاه ما خلف بابه .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن السكابي عن أبي صالح عن
أمين عباس قال : وألبسه خلوقا من ذهب وثياب حرير ، وأعطاه دابة مسرجة
مؤينة كدابة الملك ، وضرب بالطبل بمصر ، أن يوسف خليفة الملك .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله حدثني أبو سعيد عن عكرمة
أن قرون قال ليوسف : قد سلطتك على مصر ، غير أني أريد أن أجعل كرسي
أطول من كرسيك بأربع أصابع .

قال يوسف : نعم .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : وأجلسه على السرير ، ودخل
الملك بيته مع نسائه ، فقوض أمر مصر كلها إليه ، فبسبب عبارة رؤيا الملك ملك
يوسف مصر .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثني الليث بن سعد قال ، حدثني مشيخة لنا قال :
اشتد الجوع على أهل مصر ، فاشترى الطعام بالذهب حتى لم يجدوا ذهبا ، فاشترى
بالفضة ، حتى لم يجدوا فضة ، فاشترى بأغنامهم ، حتى لم يجدوا غنما :
فلما يزل يبيعهم الطعام حتى لم يبق لهم فضة ولا ذهبا ولا شاء ولا بقرة في تلك
السنين ، فأتوه في الثالثة ، فقالوا له : لم يبق لنا إلا أنفسنا وأهلونا وأرضونا ،
فاشترى يوسف أرضهم كلها لفرعون ، ثم أعطاهم يوسف طعاما بزرعونه^(١) على أن
لفرعون الخمس .

(١) في نسخة حيزرعون هـ .

ذكر

استنباط الفيوم

قال : وفي ذلك الزمان استنبطت الفيوم ، وكان ميب ذلك كما حدثنا هشام ابن إسحاق أن يوسف عليه السلام لما ملك مصر وعظمت منزلته من فرعون ، وجاوزت سنه مائة سنة قال وزراء الملك له : إن يوسف قد ذهب علمه وتغير عقله ونفدت حكمته . فعنفهم فرعون ، ورد عليهم مقاتلهم ، وأساء اللفظ لهم ، فكفموا ، ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين ، فقال لهم :

— هلموا ما شئتم من أى شيء أختبره به .

وكانت الفيوم يومئذ تدعى الجوبة ، وإنما كانت لمصالة ماء الصعيد وقضوله . فاجتمع رأيهم على أن تكون هى الميعة التى يمتحنون بها يوسف عليه السلام . فقالوا لفرعون :

— سل يوسف أن يصرف ماء الجوبة عنها ، فتزداد بلداً إلى بلدك ، وخراجها إلى خراجك .

فدعا يوسف عليه السلام ، فقال :

— قد تعلم مكان ابنتى فلانة منى ، وقد رأيت إذا بلغت أن أطلب لها بلداً ، وإنى لم أصب لها إلا الجوبة ، وذلك أنه بلد^(١) بعيد قريب ، لا يؤتى من وجه من الوجوه إلا من غابة وسحراء .

قال غير هشام : فالفيوم وسط مصر كمثل مصر فى وسط البلاد ، لأن مصر لا تؤتى من ناحية من النواحي إلا من مفازة وسحراء .

(١) فى نسخة أخرى بليد .

قال هشام في حديثه : وقد أقطعها إياها ، فلا نتركنّ وجها ولا نظراً إلا بِلَقَّتِهِ .

فقال يوسف عليه السلام : نعم أيها الملك ، متى أردت ذلك فابعث إلى ، فإنّ إن شاء الله فاعل .

قال : إن أحبّه إلى وأوقفه أعجّله .

فأوحى إلى يوسف عليه السلام أن تحفر ثلاثة خُجج ، خليجاً من أعلى الصعيد من موضع كذا إلى موضع كذا ، وخليجاً شرقياً من موضع كذا إلى موضع كذا ، وخليجاً غربياً من موضع كذا إلى موضع كذا .

فوضع يوسف عليه السلام العمال ، فحفر خليج المنهى إلى اللاهون^(١) ، وأمر البنائين أن يحفروا اللاهون ، وحفر خليج الفيوم ، وهو الخليج الشرقي ، وحفر خليجاً بقرية يقال لها تنهمت^(٢) من قرى الفيوم ، وهو الخليج الغربي ، فخرج ماؤها من الخليج الشرقي ، فصب في النيل ، وخرج من الخليج الغربي فصب في صحراء تنهمت إلى الغرب ، فلم يبق في الجوبة ماء ، ثم أدخلها القملة ، فقطع ما كان فيها من القصب والطرفاء ، وأخرجه منها ، وكان في ذلك ابتداء جرى النيل .

وقد صارت الجوبة أرضاً ريفية برّية^(٣) ، وارتفع ماء النيل ، فدخل في رأس المنهى ، فجرى فيه حتى انتهى إلى اللاهون ، فقطعه إلى الفيوم ، فدخل خليجها ، فسقاها ، فصارت لجة من النيل .

(١) اللاهون : بلدة قديمة من بلاد الفيوم عند قناطر اللاهون من الجهة الشمالية حيث فتحة النيل التي يمر منها بحر يوسف ، وهي أول بلاد الفيوم ، وكانت قديماً تسمى بطليموسة .
(٢) تنهمت : بلدة كانت تقع على بحيرة فارون ، ويذكرها بعض المؤرخين تهامت وتهمت . وجاء في الخطط التوفيقية : أنها بحيرة ممتدة في جبال من الرمل الأصفر ، وفي الشتاء تكثر بها الطيور .

(٣) في نسخة و تربة .

فخرج إليها الملك ووزراؤه، وكان هذا كله في سبعين يوماً، فلما نظر إليها الملك قال لوزرائه أولئك : هذا عمل ألف يوم ، فسميت القيوم^(١) ، وأقامت تزرع كما تزرع غوائط^(٢) مصر .

قال : وقد سمعت في استخراج القيوم وجهاً غير هذا ؛ حدثنا يحيى بن خالد المدوّى عن ابن طليعة عن يزيد بن أبي حبيب أن يوسف النبي عليه السلام ملك مصر وهو ابن ثلاثين سنة ، فأقام يدبر أمورها أربعين سنة ؛ فقال أهل مصر : قد كبر يوسف ، واختلف رأيه ، فعزلوه ، وقالوا : اختر لنفسك من الموات أرضاً نقطمكها لنفسك وتصلحها ، ونعلم رأيك فيها ، فإن رأينا من رأيك وحسن تدبيرك ما نعلم أنك في زيادة من عقلك رددناك إلى ملكك .

فاعترض البرية في نواحي مصر ، فاختر القيوم فأعطوها ، فشق إليها خليج المنهى من النيل حتى أدخله القيوم كلها ، وفرغ من حفر ذلك كله في سنة .

وبلغنا أنه إنما عمل ذلك بالوحى ، وقوى على ذلك بكثرة القملة والأعوان . فنظروا ، فإذا الذى أحياء يوسف من القيوم لا يعلمون له بمصر كلها مثلاً ولا نظيراً . فقالوا : ما كان يوسف قط أفضل عقلاً ولا رأياً ولا تدبيراً منه اليوم ، فرددوا إليه الملك ، فأقام ستين سنة أخرى ، تمام مائة سنة ، حتى مات يوم مات . وهو ابن ثلاثين ومائة سنة ، والله أعلم .

قال : ثم رجع إلى حديث هشام بن إسحاق قال : ثم بلغ يوسف عليه السلام قول وزراء الملك ، وأنه إنما كان ذلك منهم على المحنة منهم له ، فقال للملك : إن عندى من الحكمة والتدبير غير ما رأيت . فقال له الملك : وما ذاك ؟

قال أنزل القيوم من كل كورة من كور مصر أهل بيت ، وأمر أهل كل بيت أن يبنوا لأنفسهم قرية ، وكانت قرى القيوم على عدد كور مصر ، فإذا

(١) كذا يروي مؤرخو العرب كالسعودى والكندي . والمصواب أن القيوم كلمة قبطية جعلها علماء الأقباط علماً على الإقليم المسمى عند قدماء اليونان أرسنوية . وسئلوا في لغتهم البحر ، لاشتغال الإقليم على البحيرة العظيمة ، فكلمة القيوم مصحقة من القبطية ، ويطلق هيرودوت : إن مدينة القيوم كانت تسمى أيضاً مدينة التماسيح .

(٢) غوائط جمع غوط ، وهى الأرض التهمة فى الخمدار .

فرغوا من بناء قُرَاهم صَيَّرَتْ لِكُلِّ قَرْيَةٍ مِنَ الْمَاءِ بِقَدَرِ مَا أُصِيرُ لَهَا مِنَ الْأَرْضِ ،
لَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ عَنْ أَرْضِهَا وَلَا نُقْصَانٌ ، وَأُصِيرُ لِكُلِّ قَرْيَةٍ شِرْبًا فِي
زَمَانٍ لَا يَنَالُهُمُ الْمَاءُ إِلَّا فِيهِ ، وَأُصِيرُ مُطَاطِنًا لِلْمَرْتَفَعِ وَمَرْتَفَعًا لِلْمَطَاطِنِ بِأَوْقَاتٍ مِنَ
السَّاعَاتِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأُصِيرُ لَهَا قَبَضَاتٍ فَلَا يُقْصَرُ بِأَحَدٍ دُونَ حَقِّهِ ،
وَلَا يُزَادُ فَوْقَ قَدَرِهِ .

فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ : هَذَا مِنْ مَلَكَوَتِ السَّمَاءِ .

قَالَ : نَعَمْ .

فَبَدَأَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَمَرَ بَيْنِيَانَ الْقَرْيَ ، وَحَدَّ لَهُ حُدُودًا ، وَكَانَتْ
أَوَّلُ قَرْيَةٍ عَمَرَتْ بِالْفَيُومِ قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا : شَنْآنَةٌ ، وَهِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي كَانَتْ تَنْبُرُهَا
بَنَاتُ فِرْعَوْنَ .

ثُمَّ أَمَرَ بِحُفْرِ الْخَلِيجِ وَبِنِيَانِ الْقَنَاظِرِ ، فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ ذَلِكَ اسْتَقْبَلَ وَزْنَ
الْأَرْضِ وَوَزْنَ الْمَاءِ ، وَمِنْ يَوْمِئِذٍ أُحْدِثَتِ الْمُهَنْدَسَةُ ، وَلَمْ يَكُنِ النَّاسُ يَعْرِفُونَهَا
قَبْلَ ذَلِكَ .

قَالَ : وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قَاسَ النِّيلَ بِمِصْرَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَضَعَ لَهُ مَقْيَاسًا
بِمَنْفٍ ، ثُمَّ وَضَعَتْ الْعَجُوزُ دَلُوكَةَ ابْنَةِ زَبَاءَ^(١) ، وَهِيَ صَاحِبَةُ حَائِطِ الْعَجُوزِ ،
مَقْيَاسًا بِأَنْصَنَا^(٢) ، وَهُوَ صَغِيرُ الذَّرْعِ ، وَمَقْيَاسًا بِأَخْيَمِ^(٣) ، وَوَضَعَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ

(١) رَوَايَةٌ غَيْرُ صَحِيحَةٍ .

(٢) أَنْصَنَا : بَلَدَةٌ بِصَعِيدِ مِصْرَ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ مِنَ الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ قِبَالَةَ الْأَشْمُونِيِّينَ ،
(مَلُوى) وَكَانَتْ تَسْمَى قَدِيمًا أَنْتَنُوبَهُ ، وَيَسْتَفَادُ مِنْ كَلَامِ الْمُؤَرِّخِينَ ، أَنَّ قَبْصَرَ الرُّومِ أَدْرِيَانُ
هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِبَنَائِهَا لِتَكُونَ مَرْكَزًا لِلْأَقَالِمِ الْقِبْلِيَّةِ عَوَضًا عَنْ مَدِينَةِ الْأَشْمُونِيِّينَ . وَقَدْ ذَكَرَ
الإدريسي أَنَّهَا كَانَتْ مَدِينَةَ السَّحَرَةِ ، وَمِنْهَا جَبَلُ فِرْعَوْنَ مِصْرَ سَحَرَةٍ ، وَسَمِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ
أَبُو عَيْدٍ الْبَكْرِيُّ : لَنْ أَنْصَنَا كَوْرَةً عَظِيمَةً مِنْ كَوْرِ مِصْرَ ، وَكَانَتْ مَارِيَّةَ الْقِبْطِيَّةِ مِنْ قَرْيَةٍ
مِنْ قَرَاهَا يُقَالُ لَهَا حَفْصٌ ؛ وَتَرَى مَدِينَةَ مَلُوى مِنْ فَوْقِ تَلَالِ أَنْصَنَا ، وَقَدْ كَانَ اسْمُهَا يُطْلَقُ
عَلَى رَمَامِيهَا لِنَافِيَةِ أَوَائِلِ الْقُرُونِ الثَّلَاثِ عَشَرَ الْمَجْرِيَّةِ ، وَلَمَّا خَرِبَتْ قَبْدَ زَمَانِهَا بِاسْمِ الشَّيْخِ عِبَادَةَ
فِي تَارِيخِ سَنَةِ ١٢٣٠ هـ ، نَزَلَتْ مِنْ تَوَابِعِهَا ، وَبِذَلِكَ اخْتَفَى اسْمُ أَنْصَنَا مِنْ عِدَادِ النُّوَاحِي الْمِصْرِيَّةِ ،
وَمَكَانُهَا الْيَوْمَ الْأَطْلَالُ الْوَاقِعَةُ فِي حَوْضِ بَلَدَةِ النِّصْلَةِ ، مَعْرِفَةٌ عَنْ أَنْصَنَا ، رَقْمٌ ١١ ، بِأَرَاضِي
الشَّيْخِ عِبَادَةَ الْوَاقِعَةِ شَرْقِي النَّيْلِ بِمَرْكَزِ مَلُوى ، مِنْ أَعْمَالِ مَحَافِظَةِ الْمَنِيَا .

(٣) لِأَخْيَمِ بِكُفْرِ الْهَمْزَةِ وَالْمِيمِ ، بَلَدٌ قَدِيمٌ فِي الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ لِلنَّيْلِ قِبَالَةَ سُوهَاغٍ وَمِنْ =

مروان مقياسا بجلوان^(١) ، وهو صغير ، ووضع أسامة بن يزيد التنوخي في خلافة
الوليد مقياسا بالجزيرة ، وهو أكبرها .
حدثنا يحيى بن بكير قال : أدركتُ القِيَّاسَ يقيسُ في مقياس منفٍ ويدخل
بزياته القسطاط .

ذكر

ذول أهل يوسف مصر ، ووفاء يعقوب ودفنه

قال : وفي زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر كما
حدثنا هشام بن إسحاق ، وهم ثلاثة وتسعون^(٢) نفها بين رجل وامرأة ، فأنزلهم
يوسف ، عليه السلام ما بين عين شمس إلى الفرما^(٣) ، وهي أرض ريفية برية .
حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن الكلابي عن أبي صالح عن

مراكرها ، وكان الرومان واليونان يسمونها يانوبوليس ، أي مدينة الإله بان ، وكان فيها بربا
شهير (أي هيكلي) يعد من المباني الفاخرة القديمة الباقية بمصر . وقد ذكر هيرودوت : أن جيم
المصريين كانوا ينفرون من العادات اليونانية ما عدا أهل لخم ، وقال : إن أهلها يفوقون
غيرهم في الصناعات ، لا سيما نسج الأقمشة . وعمل التماثيل ؛ وهو ما تشتهر به لخم الآن .

(١) ضاحية جنوب القاهرة شرقي النيل ، مشهورة بهوائها ومياهها الكبريتية .

(٢) في نسخة : وسبعون .

(٣) الفرما : مدينة من أقدم الرباطات المصرية بقرب الحدود المصرية ، وكانت في
زمن الفراعنة حصن مصر من جهة الشرق ، لأنها في طريق المنبرين على مصر ، واسمها المصري
القديم « بر آمن » أي مدينة الإله آمون ، ومنه اسمها العبري « برمون » والنبلي « برما »
ومن هذا الاسم أتى اللفظ العربي « فرما » وقد سماها الروم بيلوز ، ومعناها الرحلة ، لأنها
واعدة في منطقة من الأحوال بسبب تغطية ماء البحر الأبيض لأراضي تلك المنطقة .

وقد اندثرت هذه المدينة وتعرف اليوم آثارها بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلومترات
من ساحل البحر الأبيض وعلى بعد ٢٣ كيلومتراً شرق محطة الطينة الواقعة على السكة الحديد
بين بورسعيد والإسماعيلية .

وقد بقيت آثار قلعة الفرما مستعملة إلى آخر القرن الثاني عشر الهجري حيث كانت منق
ولا تزال هذه الآثار باقية إلى اليوم .

ابن عباس قال : دخل مصر يعقوب وولده ، وكانوا سبعين نفسا ، وخرجوا وهم ستمائة ألف .

وحدثنا أسد ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسروق قال : دخل أهل يوسف ، وهم ثلاثة وتسعون إنسانا ، وخرجوا وهم ستمائة ألف^(١) .

وأدخل يوسف — كما حدثنا أسد عن خالد بن عبد الله عن السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس — أباه وخمسة من إخوته على الملك ، فسلموا عليه ، وأمر أن يقطع لهم من الأرض ، وكان يعقوب لما دنا من مصر أرسل يهوذا إلى يوسف ، فخرج إليه يوسف ، فلقيه ، فالتزمه وبكى .

قال : ثم رجع إلى حديث هشام بن إسحاق قال ، فلما دخل يعقوب على فرعون ، فكلمه — وكان يعقوب عليه السلام شيخا كبيرا ، حليما ، حسن الوجه والاحية ، جهر الصوت . فقال له فرعون :

— كم أتى عليك أيها الشيخ ؟

قال : عشرون ومائة .

وكان بمن^(٢) ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام في كتبه ، وأخبر أن خراب مصر وهلاك أهلها يكون على أيديهم ، ووضع البربايات^(٣) وصفات من تخرب مصر على يديه .

فلما رأى يعقوب قام إلى مجلسه ، فكان أول ما سأله عنه أن قال له :

— من تعبد أيها الشيخ ؟

قال له يعقوب :

(١) لا يدل العدد على حقائق تاريخية .

(٢) انظر تاريخ مرجليوث الجزء الأول ص ٢٤٦ ، فقد ذكره باسم بمن .

(٣) في نسخة م و البربايات .

— أعبد الله ، إله كل شيء .

فقال له :

— كيف تعبد مالا ترى ؟

قال له يعقوب :

— إنه أعظم وأجل من أن يراه أحد .

قال يمين :

— ففتح نرى آلهتنا .

قال يعقوب :

— إن آلهتكم من عمل أيدي ابن آدم ، من يموت ويبيلى ، وإن إلهى أعظم وأرفع ، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد .

فنظر يمين إلى فرعون ، فقال :

— هذا الذى يكون هلاك بلادنا على يديه .

قال فرعون :

أفى أيامنا أم فى أيام غيرنا ؟

قال :

— ليس فى أيامك ولا فى أيام بنيك أيها الملك .

قال الملك : هل تجد هذا فيما قضى به إلهكم ؟

قال : نعم .

قال . فكيف نقدر أن نقتل من يريد إلهه هلاك قومه على يديه ؟ فلا تعبأ

بهذا الكلام .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله ، حدثني أبو حفص السكلاعي
عن تَبَيْعٍ عن كعب أن يعقوب عاش في أرض مصر ست عشرة سنة ، فلما
حضرته الوفاة قال ليوسف :

— لا تدفني بمصر ، وإذا مت فاحملوني ، فادفنونني في مغارة جبل
حبرون^(١) :

وحبرون كما حدثنا أسد عن خالد عن السكلي عن أبي صالح مسجد إبراهيم
عليه السلام اليوم ، وبينه وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا .

ثم رجع إلى حديث السكلاعي عن تَبَيْعٍ^(٢) عن كعب قال : فلما مات
لَطَنُوهُ بِمُرٍّ وَصِيرٍ .

قال غير أسد : وجعلوه في تابوت من ساج .

قال أسد في حديثه : فكانوا يفعلون ذلك به أربعين يوما حتى كلم يوسف
فرعون ، وأعلمه أن أباه قد مات ، وأنه سأل أن يقبره في أرض كنعان ، فأذن
له ، وخرج معه أشرف أهل مصر حتى دفنه ، وانصرف .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن ابن خزيمة قال : قَبِرَ يعقوب
بمصر ، فأقام بها نحو من ثلاث سنين ، ثم حمل إلى بيت المقدس ، أوصاهم بذلك
عند موته ؛ والله أعلم .

(١) جبل حبرون : حبرون اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل بالبيت المقدس ،
وقد غلب على اسمها لفظ الخليل .

(٢) هو تميم بن عامر الحميري ابن امرأة كعب الأحبار ، ويكنى أبا عبيدة ، مخضرم ،
وهو عالم بالكتب القديمة .

ذكر

وفاة يوسف

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال : ثم مات الريان بن الوليد ، فماتهم من بعده ابنة دارم بن الريان .

قال غير عثمان : وفي زمانه توفي يوسف صلوات الله عليه ، فلما حضرته الوفاة قال : إنكم ستخرجون من أرض مصر إلى أرض آبائكم ، كما حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله ، حدثني أبو حفص الكلاعي عن تبيع عن كعب ، فاحملوا عظامي معكم .

فمات ، فجعلوه في تابوت ، ودفنوه .

حدثنا محمد بن أسعد ، حدثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب قال : دُفن يوسف صلوات الله عليه في أحد جانبي النيل ، فأخصب الجانب الذي كان فيه ، وأجذب الآخر ، فحولوه إلى الجانب الآخر ، فأخصب الجانب الذي حولوه إليه ، وأجذب الجانب الآخر ؛ فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه ، فجعلوها في صندوق من حديد ، وجعلوا فيه سلسلة ، وأقاموا عموداً على شاطئ النيل ، وجعلوا في أصله سكة من حديد ، وجعلوا السلسلة في السكة ، وألقوا الصندوق في وسط النيل ، فأخصب الجانبان معا ^(١) .

وحدثنا العباس بن طالب ، حدثنا عبد الواحد بن زياد عن بونس عن الحسن ، أن يوسف عليه السلام أُلقي في الجُب وهو ابن سبع عشرة سنة ، ومكث إلى أن لقي يعقوب عليه السلام وأهله ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة ،

(١) مثل هذه الرواية لا تدل على حقائق تاريخية ، وإنما تصور خيال الأساطير في نسبة جريان الخير على يد يوسف بعد موته ، كبريائه في حياته .

فیات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، ويقال : إنه توفى ، وهو ابن ثلاثين ومائة سنة .

ذكر

ملوك مصر بعد زمان يوسف

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره ، قال : ثم إن دراما طغى بعد يوسف عليه السلام وتكبر ، وأظهر عبادة الأصنام ، فركب في النيل في سفينة ، فبعث الله عليه ريحا عاصفا ، فأغرقته ، ومن كان معه فيما بين طرا إلى موضع حلوان .

فلسكهم من بعده كاشم بن معدان ، وكان جبّارا عاتيا .

وحدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن أبي حفص الكلّاعي عن تميم عن كعب قال : لما مات يوسف عليه السلام استعبد أهل مصر بنى إسرائيل .

ثم رجع إلى حديث عثمان قال : ثم هلك كاشم بن معدان ، فليسكهم بعده فرعون موسى .

قال غير عثمان : واسمه طلما ، قبطى من قبط مصر .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا عبد الله بن أبي فاطمة عن مشائمه قال : كان من قرآن بن بلي^(١) ، واسمه الوليد بن مصعب ، وكان قصيرا أبرصا يطا في لحيته .

(١) في نسخة : ابن أبي ليلى ، وفاران بطن من قضاة وهو فاران بن بلي ، وبعضهم .

يقول : فران بكسر الأول وإليه ينسب معدن فران .

حدثنا سعيد بن عفير قال : حدثنا عن هاني بن المنذر أنه كان من العماليق ، وكان يكتبني بأبي مرة .

وحدثنا يزيد بن أبي سلمة عن جرير عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال ابن سبرة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : كان فرعون أترم ، ويقال : بل هو رجل من أخم ، والله أعلم .

فمن زعم أنه من العماليق فقد ذكرنا السبب الذي به ملكت العماليق مصر ، ومن زعم أنه من قران بن بلي فإن سعيد بن عفير قد حدثنا قال : حدثنا عبد الله ابن أبي فاطمة عن مشائخه ، أن ملك مصر توفي ، فتنازع الملك جماعة من أبناء الملك ، ولم يكن الملك عهد ، ولما عظم الخطب بينهم تداعوا إلى الصالح ، فاصطلحوا على أن يحكم بينهم أول من يطلع من الفج ، فج الجبل ، فاطلع فرعون بين عدليتي نظرون ، قبل أقبل بهما ليبيعهما ، وهو رجل من قران بن بلي ، فاستوقفوه ، وقالوا : إنا قد جعلناك حكما بيننا فيما تشاجرنا فيه من الملك ، وآتوه موافقهم على الرضى ، فلما استوثق منهم قال : إني قد رأيت أن أملك نفسي عايكم ، فهو أذهب لضغائنكم وأجمع لأموالكم ، والأمر من بعد إلىكم ، فأنزوه عليهم لنفاسة بعضهم بعضا ، وأقعدوه في دار الملك بمنف ، فأرسل إلى صاحب أمر كل واحد منهم ، فوعده ومناه ، أن يملكه على ملك صاحبه ، ووعدهم ليلة يقتل فيها كل رجل منهم صاحبه ، ففعلوا ، ودان له أولئك بالربوبية ، ولم يكن لهم تكبر الملوكة ، والله أعلم .

فملكهم نحو من خمسمائة سنة^(١) ، وكان من أمره وأمر موسى عليه السلام ما قص الله تبارك وتعالى من خبرهم في القرآن .

(١) كذا في الأصل وليس له سند من تاريخ الأسر الحاكمة في مصر القديمة .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال ، فأقام فرعون ملك مصر خمسمائة سنة حتى أغرقه الله تعالى .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحَكَم ، حدثنا خَلَّاد بن سليمان الحضرمي ، قال : سمعت أبا الأشرس يقول ، مكث فرعون أربعمائة سنة ، الشباب يغمدو عليه ويروح .

حدثنا أبي ، حدثنا خَلَّاد بن سليمان قال : سمعت إبراهيم بن مِقْسَم قال : مكث فرعون أربعمائة سنة لم تُصدع له رأس ، وكان يملك فيما يذكرو ما بين مصر إلى افرريقية .

وكان يقعد على كراسي فرعون ، كما حدثنا أسد عن خالد الكلابي عن أبي صالح عن أبي صالح عن ابن عباس ، مائتان ، عليهم الديباج وأساور الذهب ، وقد كان يستعمل هامان على الناس ، فقال يا هامان (إِنْ لِي صَرْحًا ، لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ ، أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ)^(١) يعني أن من كل سماء إلى سماء سبب .

وشغل الله فرعون بالآيات التي جاء بها موسى عليه السلام ، ولم يبين له هامان الصرح .

ذكر

حمل عظام يوسف إلى الشام

قال : وفي زمانه حملت عظام يوسف عليه السلام من مصر إلى الشام ، وكان سبب حمله فيما حدثنا محمد بن أسعد التتلي عن أبي الأحوص عن سماك بن حرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل وهو قافل من الشام ، ومعه زيد بن حارثة ، فمرّ ببيت شعْر فَرْدٍ ، وقد أمبى ، فدنوا من البيت ، فقال : السلام عليكم . فرد رب البيت .

(١) الآية : ٣٦ من سورة غافر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضيف .

قال : انزل .

فبات في قرى .

فلما أصبح وأراد الرحيل ، قال الشيخ .

— أصيبوا من بقية قراكم .

فأصابوا .

ثم أرتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفتح الله عليه جاء الشيخ على راحلته حتى أناخ بباب المسجد ، ثم دخل ، فجعل يتصفح وجوه الرجال .

فقالوا له :

— هذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— ما حاجتك ؟

قال :

— والله ما أدري إلا أنه نزل بي رجل ، فأكرمت قراء .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— وإنك لفلان .

قال : نعم .

قال : كيف أم فلان ؟

قال : بخير .

قال : فكيف حالكم ؟

قال : بخير

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين ارتحل من عنده : « إذا سمعت بنيّ قد ظهر بهامة فائته ، فإنك تصيب منه خيرا » .
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمنّ ماشئت ، فإنك لن تغمي اليوم شيئا إلا أعطيتك » .

قال : فإني أسألك ضأنا ثمانين :

قال : فضحكك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا عبدالرحمن بن عوف ، قم ، فأوفها إياه .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه ، فقال : ما كان أحوج هذا الشيخ إلى أن يكون مثل عجوز موسى .

قال : قلنا يا رسول الله ، وما عجوز موسى ؟

قال : بنت يوسف ^(١) ، عمرت حتى صارت عجوزا كبيرة ذاهبة البصر ؛ فلما أسرى موسى بنى إسرائيل غشيتهم ضبابية ، حالت بينهم وبين الطريق أن يبصروه ، وقيل لموسى ، لن تعبر إلا ومعك عظام يوسف .

قال : ومن يدرى أين موضعها ؟

قالوا : ابنته عجوز كبيرة ذاهبة البصر ، تركناها في الديار .

قال : فرجع موسى ، فلما سمعت حسة قالت :

— موسى ؟

قال : موسى .

قالت : ما ردك ؟

(١) في نسخة سزيادة : اسمها سارح بفتح السين ابنة آشر بن يعقوب ، إسرائيل الله ابن إبراهيم الخليل ، فهي ابنة أخى يوسف عليه السلام ، وقد دخلت مصر مع يعقوب ، ويقال : لما عاشت بعد موسى عليه السلام ، وأتاف عمرها ثلاثمائة وخمسين سنة .

قال : أمرت أن أحمل عظام يوسف .

قالت : ما كنتم لتعبروا لولا أنا معكم .

قال : دُلّيني على عظام يوسف .

قالت : لا أفعل إلا أن تعطيني ما سألتك .

قال : فَلَكَ ما سألتِ .

قالت : خذ يدي .

فأخذ بيدها ، فانتهت به إلى عمود على شاطئ النيل ، في أصله سكة من حديد مُوتدة فيها سلسلة ، فقالت .

— إنا كنا قد دفناه من ذلك الجانب ، فأخصب ذلك الجانب ، وأجذب ذا الجانب ، فحوّلتاه إلى هذا الجانب ، فأخصب هذا الجانب ، وأجذب ذاك^(١) ، فلما رأينا ذلك جمعنا عظامه ، فجعلناها في صندوق من حديد ، وألقيناه في وسط النيل ، فأخصب الجانبان جميعاً .

قال : فحمل الصندوق على رقبته . وأخذ بيدها ، فألقها بالعسكر ، وقال لها : — سلى ما شئت .

قالت : فإني أسأل أن أكون أنا وأنت في درجة واحدة في الجنة ، ويرد على بصرى وشبابى ، حتى أكون شابة كما كنت .
— قال : فلك ذلك .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن الكاكي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان يوسف عليه السلام قد عهد عند موته أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر ، فتجهّز القوم وخرجوا ، فتجهّزوا ، فقال لهم موسى : إنما نجيئكم

(١) في نسخة ه ذلك الجانب الآخر .

هذا من أجل عظام يوسف ، فمن يدلني عليها ؟ .
فقلت عجوز ، يقال لها سارح ابنة آشر بن يعقوب ، أنا رأيت عني - تعني
يوسف - حين دفن ، فما تجعل لي إن دلتك عليه ؟
قال : حُكُّك .

قال : فدلته عليها ، فأخذ عظام يوسف ، ثم قال : احتكمي
قالت : أكون معك حيث كنت في الجنة .
حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرني ابن لهيعة عن من حدثه قال . قبر يوسف
عليه السلام بمصر ، فأقام بها نحو من ثلاثمائة سنة ، ثم حمل إلى بيت المقدس .
ذكر

مُروِج بنى إسرائيل من مصر

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال . ثم غرق الله فرعون وجنوده
في اليم حين اتبع بنى إسرائيل ، وغرق معه من أشرف أهل مصر وأكابرهم
ووجوههم أكثر من ألفي ألف^(١) .

قال . وكان سبب اتباع فرعون بنى إسرائيل كما حدثنا أسد بن موسى عن
عن خالد بن عبد الله عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، أن الله تبارك
وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام ، أن أمر بهبدي .

قال : وكان بنو إسرائيل استعازوا من قوم فرعون خَلْيًا وَثِيابًا ، وقالوا . إن
لنا عيداً مخرج إليه ، فخرج بهم موسى ليلاً ، وهم ستمائة ألف وثلاثة آلاف
ونيف^(٢) ، ليس فيهم ابن ستين ولا ابن عشرين سنة ، فذلك قول فرعون (إن
هؤلاء لشِرذمة قليلون ، وإنهم لنا لَمَغِظُونَ^(٣)) :

(١) كذا في الأصل ، ولا يدل العدد على التحديد فيما أرى يتدرج يدل على الكثرة .

(٢) ليس في المراجع التاريخية الحديثة ما يؤيد هذا التحديد في العدد .

(٣) الآية ٥٥ من سورة الشعراء ، وفي الأصل وإنا لهم لَمَغِظُونَ .

حدثنا أسد ، حدثنا المسعودي عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة قال . خرجوا من مصر ، وهم ستمائة ألف وسبعون ألف ، فقال فرعون : إن هؤلاء لشردمة قليلون .

قال . ثم رجع إلى حديث أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : وخرج فرعون ومعه خمسمائة ألف سوى المجنبتين والقلب .

قال خالد : وحدثنا أبو سعيد عن عكرمة قال : لم يخرج فرعون من زاد على الأربعين ولا دون العشرين . فذلك قول الله عز وجل : (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ^(١)) ، يعني استخف قومه في طلب موسى .

قال . وكان بنو إسرائيل كما حدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن علي عن أبيه ، أن بني إسرائيل كانوا الربع من آل فرعون .

حدثنا أسد ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال ، خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل ، فلما أصبح فرعون أمر بشاة ، فأتى بها ، فأمر بها تذبح ، ثم قال . لا يُفرَّغ من سلتها حتى يجتمع عندي خمسمائة ألف من القبط ، فاجتمعوا إليه ، فقال لم فرعون : (إن هؤلاء لشردمة قليلون) . وكان أصحاب موسى عليه السلام ستمائة ألف وسبعين ألفاً .

قال : فسلك موسى وأصحابه طريقاً يابساً في البحر ، فلما خرج آخر أصحاب موسى ، وتكامل آخر أصحاب فرعون اضطرار عليهم البحر ، فأرؤى سواد أكثر من يومئذ ، وغرق فرعون ، ففسد على ساحل البحر حتى ينظروا إليه .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا خالد بن عبد الله عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : لما انتهى موسى إلى البحر أقبل يوشع بن نون على فرسه ،

(١) الآية ٦٠ من سورة الشعراء .

فحشي على الماء ، وألحم غيره خيولهم ، فرسبوا في الماء ، وخرج فرعون في طلبهم حين أصبح وبعدما طلعت الشمس ، فذلك قول الله عز وجل : (فَأَنْبَعَوْهُمْ مُشْرِقِينَ ، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجُوعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونٌ ^(١)) .

فدعا موسى عليه السلام ربه عز وجل ، فغشيتهم ضبابة حالت بينهم وبينه ، وقيل له : (اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ) ففعل ، فانفلق (فكان كل فرق كالطود العظيم) يعني الجبل ، فانفلق فيه اثنا عشر طريقاً ، فقالوا : إنا نخاف أن توحل فيه الخيل ، فدعا موسى ربه ، فهبت عليهم الصبا ، فجفت .

فقالوا : إنا نخاف أن يفرق منا ولا نشعر .

فقام بمصاه فقُتِبَ الماء ، فجعل بينهم كُوى ^(٢) حتى يرى بعضهم بعضاً ، ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر ، وأقبل فرعون حتى انتهى إلى الموضع الذي عبر منه موسى ، وطُرِّقَه على حالها .

فقال له أدلاًؤه : إن موسى قد سحر البحر حتى صار كما ترى ، وهو قوله (وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهَوًّا ^(٣)) يعني كما هو .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، قوله رَهَوًّا ، قال : سَمْتًا .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي صخر عن محمد بن كعب القرظي قال : طريقاً مفتوحاً .

حدثنا أبو سهل أحمد بن عبد الرحيم ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا إسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : مفتوحاً .

وحدثنا عن سعيد بن أبي عمرو عن قتادة عن الحسن قال بصحلاً دُمًّا .

(١) الآية ١٦٠ من سورة الأعراف .

(٢) جمع كوة وهي العنقة .

(٣) في نسخة زيادة : إنهم جند مفرقون ، الآية ٢٤ من سورة الدخان .

قال : وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنه هو السهل .

ثم رجع إلى حديث أسد عن خالد بن عبد الله السكلي عن أبي صالح عن ابن عباس ... فخذ هاهنا حتى نلحقهم ، وهو مسيرة ثلاثة أيام في البر ، وكان فرعون يومئذ على حصان ، وأقبل جبريل عليه السلام على فرس أنثى في ثلاثة وثلاثين من الملائكة ، ففرقوا في الناس ، وتقدم جبريل عليه السلام ، فسار بين يدي فرعون ، وتبعه فرعون ، وصاحت الملائكة في الناس ، الحقوا الملك ؛ حتى إذا دخل آخرهم ولم يخرج أولهم التقى البحر عليهم ، ففرقوا .

فسمع بنو إسرائيل وجبة البحر حين التقى ، فقالوا : ما هذا ؟

قال موسى : غرق فرعون وأصحابه .

فرجعوا ينظرون ، فألقاهم البحر على الساحل .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا الحسن بن بلال عن حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن يوسف بن مهران^(١) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما أغرق الله آل فرعون قال فرعون ، آمنتُ بالذي آمنتُ به به إسرائيل ، قال جبريل ، يا محمد ، لو رأيته وأنا آخذ من حال^(٢) البحر فأدُسُّه في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا أبو علي عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن مجاهد قال : كان جبريل بين بني إسرائيل وبين آل فرعون ، فجعل يقول لبني إسرائيل ، لياحق آخركم بأولكم ؛ ويستقبل آل فرعون فيقول ، رؤيديم ليلحقكم آخركم ؛ فقالت بنو إسرائيل : ما رأينا سائقا أحسن سياقا من هذا ؛ وقال آل فرعون : ما رأينا وازعا أحسن زاعة من هذا .

(١) في نسخة د مهران ، وهو يوسف بن مهران البصري ولم يرو عنه إلا ابن جلدان .

(٢) الحال هو الطين .

فلما انتهى موسى وبنو إسرائيل إلى البحر قال مؤمنوا آل فرعون :
يا نبي الله ، أين أمرت ؟ هذا البحر أمامك ، وقد غشنا آل فرعون .
فقال ، أمرت بالبحر .

فأنجم مؤمن من آل فرعون فرسه ، فردّه التيار ، فقال : يا نبي الله ،
أين أمرت ؟
فقال : بالبحر .

قال : فأنجم أيضا فرسه ، فردّه التيار .
فجعل موسى عليه السلام لا يدرى كيف يصنع ، وكان الله عز وجل قد
أوحى إلى البحر أن أطع موسى ، وآية ذلك إذا ضربك بعصاه .
قال : ثم رجع إلى حديث أسد عن خالد عن الكلبي عن أبي صالح عن
ابن عباس قال : وخرج فرعون ، ومقدمته خمسمائة ألف سوى المجنبتين
والقلب ؛ ويقال : إن موسى عليه السلام قتل عوجاً^(١) بمصر .
حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير بن معاوية ، حدثنا أبو إسحاق ،
قال زهير : أراه عن نوف^(٢) .

قال : كان طول سرير^(٣) عوج الذي قتله موسى ثمانمائة ذراع ، وعرضه
أربعمائة ، وكانت عصا موسى عليه السلام عشرة أذرع ، ووثبته حين وثب

(١) كذا في الأصل ، وخبر موسى مع عوج لا سند له في التاريخ ، ومثل هذه الرواية
تختلف عن أقاصيص تعوزها الأدلة .

(٢) في نسخة د زيادة فوق السطر - يعني البسكائي - وفي تقريب التهذيب هو نوف
ابن فضالة البكالي ابن امرأة كعب ، وهو شامي مستور ، وكذب ابن عباس ما رواه عنه
أهل الكتاب ، وقد مات بعد التسعين .

(٣) لم تكشف الآثار الفرعونية من شيء مثل هذا السرير ، والخبر في روايته يمثل
لأساطير المتخلفة في عقول الأجيال ، بعضها عن بعض .

إليه عشرة أذرع ، وطول موسى كذا وكذا ، فضربه ، فأصاب كعبه ، فخره
على نيل مصر ، فحسره للناس عاما ، يمرون على صلبه وأضلاعه .

ذكر

الملكة دلوكة^(١)

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال ، فبقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها
من أشرف أهلها أحد ، ولم يبق بها إلا العبيد والاجراء والنساء ؛ فأعظم أشرف
من بمصر من النساء أن يولن منهم أحدا ، وأجمعن رأيهن أن يولن امرأة منهن ،
يقال لها دلوكة ابنة زبأ ، وكان لها عقل ومعرفة وتجارب ، وكانت في شرف
منهن وموضع ، وهي يومئذ بنت مائة سنة وستين سنة ، فملكوها .

خافت أن يقتلها ملوك الأرض ، فجمعت نساء الأشراف ، فقالت لهن :
إن بلادنا لم يكن فيها مطعم لأحد ، ولا يد عينه إليها ، وقد هلك أكارنا
وأشرافنا ، وتذهب السحرة الذين كنا تقوى بهم ، وقد رأيت أن أبني حصنا
أحذق به جميع بلادنا ، فأضع عليه المحارس من كل ناحية ، فإنه لا نأمن أن
يطعم فينا الناس .

فبنت جداراً أحاطت به على جميع أرض مصر كلها ، المزارع والمدائن والقرى ،
وجعلت دونه خليجاً فيه الماء ، وأقامت القناطر وانترع ، وجعلت فيه محارس
ومسالح ، على كل ثلاثة أميال محرس ومساحة ، وفيما بين ذلك محارس صغار على
كل ميل ، وجعلت في كل محرس رجالاً ، وأجرت عليهم الأرزاق ، وأمرتهم
أن يحرسوا بالأجراس ، فإذا اتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم إلى بعض بالأجراس ،

(١) قصة هذه الملكة لا وجود لها في كتب التاريخ الحديثة ، وقد شاعت عند المؤرخين
القدماء ، الذين لم تتوافر لديهم الكشوف الحديثة .

فأتاهم الخبر من أى وجه كان فى ساعة واحدة فنظروا فى ذلك ، فتمت بذلك مصر ممن أرداها .

قال غير عثمان : وفرغت من بنائه فى ستة أشهر ، وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز^(١) بمصر ، وقد بقيت بالصعيد منه بقايا .

ذكر

عمل البرابى^(٢)

قال عثمان بن صالح فى حديثه : وكان ثمّ عجوز ساحرة يقال لها فدورة ، وكانت السحرة تعظمها وتقدها فى علمهم وسحرم ، فبعثت إليها دلوكة ابنة زبّاء ، إنقاذ احتجنا إلى سحرك ، وفزّ عنا إليك ، ولا نأمن أن يطعم فينا الملوك ، فاعملى لنا شيئاً تغلب به من حولنا ؛ فقد كان فرعون يحتاج إليك^(٣) ، فكيف وقد ذهب أكابرنا ، وبقي أفلنا ؟

فعملت زبّاء من حجارة فى وسط مدينة منف ، وجعلت له أربعة أبواب ،

(١) له الجدار الذى بناه الملك مينا حول عاصمة ملكه (منف) بعد توحيد الإقليمين ليأمن غارة أعدائه .

(٢) البرابى جسم برابى ، وهو الهيكل والبيد ، وكان بناء عظيم من الحجارة على أشكال مختلفة ، فيه مواضع الصحن والسحق والحل والعقد والتطير مما يدل على أن البرابى قد عملت لصناعة السكيمياء ، وفى هذه الابنية نقوش وكتابات لا يدرك ما هى . ومن أشهر هذه البرابى برابى أخميم ، وهو من المعجائب لما كان فيه من الصور ، وبرابى دندرة ، وكان فيه ثمانون ومائة كوة ، تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ، ثم من الثانية حتى تنتهى إلى آخرها ثم تسكر راجعة إلى موضع بدئها .

وكان ذو التون الأخمىمى يقرأ البرابى ، ويرى فيها حكما عظيمة .

(الحطط للمقريظة - القسم الأول من الجزء الأول طبعة لبنان) .

وقال السعوى إن السكاهنة دلوكة قد اتخذت بمصر البرابى ، وجعلت فيها صور من يرد من كل ناحية ، وذكر البيرونى أن هذه البرابى قد استحكت على أشكال الفلك لأعمال الرصد .

(٣) فى نسخة هـ - إلى سحرك .

كل باب منها إلى جهة القبلة والبحر والغرب والشرق ، وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال .

وقالت لهم : علمت لئلكم عملا يهلك به كل من أراكم من جهة تؤتون منها ، برا وبحرا ، وهذا ما يغنيكم عن الحصن ، ويقطع عليكم مئنته ، فمن آتاكم منه أى جهة ، فإنهم إن كانوا فى البحر ، على خيل أو بغال وإبل ، أوفى سفن ، أو رجالة تحركت هذه الصور من جهتهم التى يأتون منها ، فافعلتم بالصور من شىء أصابهم ذلك فى أنفسهم على ما تفعلون بهم .

فلما بلغ الملوك حولم أن أمرهم قد صار إلى ولاية النساء طمعوا فيهم وتوجهوا إليهم ؛ فلما دنوا من عمل مصر تحركت تلك الصور التى فى البربا ، فطفقوا لا يهيجون تلك الصور شىء ، ولا يفعلون بها شيئا إلا أصاب ذلك الجيش الذى أقبل إليهم مثله ، إن كانت خيلا فما فعلوا بتلك الخيل المصورة فى البربا من قطع رؤسها أو سوقها أو فقء أعينها أو بقر بطونها أثر مثل ذلك بالخيل التى أرادتهم ، وإن كانت سفنا أو رجالة فكمثل ذلك .

وكانوا أعلم بالسحر ، وأقوام عليه ؛ وانتشر ذلك ، فتناذروا الناس .

ذكر

ملوك مصر بعد العجوز دلوكة

وكان نساء أهل مصر حين عرق من عرق منهم مع فرعون من أشرافهم ولم يبق إلا المبيد والأجراء لم يصبرن عن الرجال ، فطفقف المرأة تمتعق عبدها وتزوج به ، وتزوج الأخرى أجيدها ، وشرطن على الرجال ألا يفعلوا شيئا إلا بإذنهن ، فأجابوهن إلى ذلك ؛ فكان أمر النساء على الرجال .

قال عثمان : حدثنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن القبط على ذلك

إلى اليوم أتباعا لمن مضى منهم ، لا يبيع أحدهم ولا يشتري إلا قال ، استأمر امرأتى .

فلسكتهم بلوكة ابنة زَبَاء^(١) عشرين سنة ، تدبّر أمرهم بمصر ، حتى بلغ صبي من أبناء أكابرهم وأشرافهم يقال له ، دَرَّ كُون بن بلوطس ، فلما سكوه عليهم ، فلم تزل مصر ممتعة بتدبير تلك العجوز نحو من أربعمائة سنة .

قال : ثم مات دركون بن بلوطس^(١) ، فاستخلف ابنه بُودس بن دركون ، ثم توفى بودس بن دركون ، فاستخلف أخاه لُقاس بن تدارس ، فلم يمكث إلا ثلاث سنين حتى مات ؛ ولم يترك ولدا ، فاستخلف أخاه مَرِينَا بن مَرِينُوس .

قال : ثم توفى مَرِينَا بن مَرِينُوس فاستخلف استمارس بن مَرِينَا ، فظنى وتكبر ، وسفك الدم وأظهر الفاحشة ، فأعظموا ذلك وأجمعوا على خلعهم ، فخلعوه وقتلوه ، وبايعوا رجلا من أشرافهم ، يقال له بَلُوطس بن مَناكيل ، فلما حكمهم أربعين سنة ؛ ثم توفى بلوطس بن مَناكيل ؛ ، فاستخلف ابنه مالوس بن بلوطس ، ثم توفى مالوس بن بلوطس ، فاستخلف أخاه مَناكيل بن بلوطس بن مَناكيل فلما حكمهم زمانا ، ثم توفى ، فاستخلف ابنه بُولَة بن مَناكيل ، فلما حكمهم مائة سنة وعشرين ، وهو الأعرج الذى سبى ملك بيت المقدس ، وقدم به إلى مصر .

وكان بُولَة قد تمكن فى البلاد وبلغ مبلغا لم يبلغه أحد من كان قبله بعد فرعون وطقى ، فقتله الله تعالى ، صرخته دابته ، فدقت عنقه ، فمات .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله^(٢) ، حدثنا الكلاعى عن تميم عن كعب قال : لما مات سليمان بن داود عليه السلام ملك بعده مَرَحِب عم

(١) ليس فى كتب التاريخ المتبعة ما يشير لهذه الأسماء .

(٢) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المزنى ، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وكان مولده سنة عشرين ومائة . وفى النسخ د ، ه ، هـ ، أنه عبد الله بن خالد ، أنظر صحيفة ٢٦٣ من كتاب تقريب التهذيب .

سليمان ، فسار إليه ملك مصر ، فقاتله ، وأصاب الأثرسة الذهب التي عملها سليمان عليه السلام ، فذهب بها .

وأخبرني شيخ من أهل مصر من أهل العلم أن الخلوخ الذي خلعه أهل مصر إنما هو بؤلة ، وذلك أنه دعا الوزراء ، ومن كانت الملوك قبله تجري عليهم الأرزاق والجوائز ، فسكأنه استكثر ذلك . فقال لهم : إني أريد أن أسألكم عن أشياء ، فإن أخبروني بها زدت في أرزاقكم ورفعت من أقداركم ، وإن أنتم لم تخبروني بها ضربت أعناقكم .

فقالوا له : سألنا عما شئت .

فقال لهم : أخبروني ما يفعل الله تعالى كل يوم ؟ وكم عدد نجوم السماء ؟ وكم مقدار ما تستحق الشمس في كل يوم من ابن آدم ؟

فاستأجلوه في ذلك شهرا ، فكانوا يخرجون في كل يوم إلى خارج مدينة منف ، فيقفون في ظل قرموس^(١) يتباحثون^(٢) ما هم فيه ، ثم يرجعون وصاحب القرموس ينظر إليهم .

فأتاهم ذات يوم ، فسألهم عن أمرهم ، فأخبروه ، فقال لهم :

— عندي علم ما تريدون إلا أن لي قرموسا لا أستطيع أن أعطيه ، فليقمه رجل منكم مكانى يعمل فيه ، وأعطوني دابة كدوايتكم ، وألبسوني ثيابا كثيابكم . ففعلوا .

وكان في المدينة ابن لبعض ملوكهم قد ساءت حالته ، فأتاه القرموسى ، فسأله القيام بملك أبيه ، وطلبه .

فقال له : ليس يخرج هذا — يريد الملك — من مدينة منف .

فقال : أنا أخرجه لك .

(١) قرموس : الآتون الذي يعمل فيه الفخار ، وقد جاء في لسان العرب ، القرموس حفرة يحتفرها الرجل يكن فيها من البرد .
(٢) في نسخة يتباحثون .

وجمع له مالا .

ثم أقبل القرموسى حتى دخل على بولة ، فأخبره أن عنده علم ما سأل عنه .

فقال له : أخبرنى كم عدد نجوم السماء ؟

فأخرج القرموسى جراباً من زمل كان معه ، فنشره بين يديه ، وقال له :
— مثل عدد هذا .

قال : وما يدريك ؟

قال : مر من بعده .

قال : فكم مقدار ما تستحق الشمس كل يوم عن ابن آدم ؟

قال : قيرطاً ، لأن العامل يعمل يومه إلى الليل ، فيأخذ ذلك فى أجرته .

قال : فما يفعل الله عز وجل كل يوم ؟

قال له : أريك ذلك غداً .

فخرج من عنده حتى أوقفه على أحد وزرائه الذى أقعده القرموسى مكانه ،
فقال له : يفعل الله عز وجل كل يوم ، أن يُدِلَّ قوماً ويُعِزَّ قوماً ، ويميت قوماً ،
ومن ذلك أن هذازير من وزرائك قاعد يعمل على قرموس ، وأنا صاحب قرموس
على دابة من دواب الملوك ، وعلى لباس من لباسهم ، أو كما قال له .

وأن فلان بن فلان قد أغلق عليك مدينة منف .

فرجع مُبادراً ، فإذا مدينة منف قد أغلقت ، ووثبوا مع الغلام على بولة ،
فخلعوه ، فوَسَّسَ ، فسكان يقعد على باب مدينة منف يوسوس ويهذى ،
فذلك قول القبط إذا كلم أحدهم بما لا يريد قال : شجفك من بولة ، يريد بذلك
الملك لوسوسته ، والله أعلم .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال ، ثم استخلف مريнос بن

بولة ، فملكهم زمانا ، ثم توفي ، واستخلف ابنه قرقشورة بن مريئوس ، فملكهم ستين سنة ، واستخلف أخاه أقاس بن مريئوس .

وكان كلما انهدم من ذلك البربا الذى فيه الصور شئ لم يقدر أحد على إصلاحه إلا تلاح المجوز وولدها وولد ولدها ، وكانوا أهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم .

فانقطع أهل ذلك البيت ، وانهدم من البربا موضع في زمان لقاس بن مريئوس ، فلم يقدر أحد على إصلاحه ومعرفة علمه ، وبقي على حاله ، وانقطع ما كانوا يقهرون به الناس ، وبقوا كغيرهم ، إلا أن الجمع كثير والمال عندهم .

ذكر

دخول بخت نصر مصر

قال : ثم توفي لقاس ، واستخلف ابنه قورمس بن لقاس ، فملكهم دهراً ، فلما قدم بخت نصر بيت المقدس كما حدثنا وثيمة بن موسى وغيره ، وظهر على بنى إسرائيل ، وسباهم ، وخرج بهم إلى أرض بابل ^(١) أقام إرميا بإيلياء ^(٢) ، وهى خراب ، ينوح عليها ، ويبكى .

فاجتمع إلى إرميا بقايا من بنى إسرائيل كانوا متفرقين حين بلغهم مقامه بإيلياء ، فقال لهم إرميا :

— أقيموا بنا فى أرضنا لنستغفر الله ، وننوب إليه ، لعلّه يقرب علينا .

فقالوا : إيماننا نخاف أن يسمع بنا بخت نصر ، فيبعث إلينا ، ونحن شر ذمة قليلون ، ولكننا نذهب إلى مالك مصر ، فنستجير به ، وندخل فى ذمته .

(١) بابل مدينة قديمة مكانها الكوفة ، وكان ينزل بها السككديون فى الزمن الأول ، وابتنوا بها الدنان حتى اتصلت مساكنهم بدجلة والفرات . وكانت إحدى العجائب ،
(٢) إيلياء مدينة بيت المقدس .

فقال لهم إرميا : ذمة الله عز وجل أوفى الذيم لكم ، ولا يسعكم أمان أحد من الأرض إن أخافكم .

فانطلق أولئك الفجر من بني إسرائيل إلى قومس بن لقاس ، واعتصموا به لما يعلمون من منعته ، وشكوا إليه شأهم .

فقال : أنتم في دمتي .

فأرسل إليه بخت نصر ، إن لي قبلك عبيداً أبقوا مني ، فابعث بهم إلي .

فكتب إليه قومس : ما هم بعبيدك ، هم أهل النبوة والكتاب وأبناء الأحرار ، اعتديت عليهم وظلمتهم .

خلف بخت نصر ، لئن لم يردّهم ليفزون بلادهم .

واللحاج جميعاً .

وأوحى الله إلى إرميا ، إنى مُظهر بخت نصر على هذا الملك الذى اتخذه حِرْزاً^(١) : وأنهم لو أطاعوا أمرك ، ثم أطبقت عليهم السماء والأرض لجلت لهم من بينها مخرجاً ، وإنى أقسم بعزتي لأعلمنهم أنه ليس لهم قيص ولا ملجأ إلا طاعتي واتباع أمري .

فلما سمع بذلك إرميا رحمهم وبادر إليهم ، فقال :

— إن لم تطيعوا أمري بخت نصر وقتلكم ، وآية ذلك أنى رأيت موضع سريره الذى يضعه بعدما يظفر بمصر ، ويمسكها ، ثم عهد فدفن أربعة أحجار فى الموضع الذى يضع فيه بخت نصر سريره ، وقال : يقع كل قائمة من سريره على حجر منها .

فليجئوا فى رأيهم .

(١) فى نسخة د جوزا .

فسار بجنت نصر إلى قومس بن لقاس^(١) ملك مصر ، فقاتله سنة ، ثم ظفر بجنت نصر فقتل قومس قوس ، وسبى جميع أهل مصر^(٢) ، وقتل من قتل . فلما أراد قتل من أسر منهم ، ووضع له سريره في الموضع الذي وصف إرميا ، ووقعت كل قائمة من سريره على حجر من تلك الحجارة التي دفن .

فلما أتى بالأسارى أتى معهم إرميا فقال له بجنت نصر :

-- ألا أراك مع أعدائي بعد أن أمتك وأكرمك ؟

فقال له إرميا : إنما جئتهم محذرا ، وأخبرتهم خبرك ، وقد وضعت لهم علامة تحت سريرك ، وأريتهم موضعه .

قال بجنت نصر : وما مصداق ذلك ؟

قال إرميا : ارفع سريرك ، فإن تحت كل قائمة منه حجرا دفنته .

فلما رفع سريره وجد مصداق ذلك ، فقال لإرميا .

— لو أعلم أن فيهم خيرا لو هبهم لك .

فقتلهم ، وأخرب مدائن مصر ، وقراها ، وسبى جميع أهلها ، ولم يترك بها أحدا ، حتى بقيت مصر أربعين سنة خرابا ، ليس فيها ساكن ، يجري نيلها ويذهب لا ينتفع به .

فأقام إرميا بمصر ، واتخذ بها جنيينة وزرعا يعيش به ، فأوحى إليه ، إن لك عن الزرع والمقام بمصر شغلا ، فكيف تسلمك أرض وأنت تعلم سخطى على قومك ، فالحق يا إيليا حتى يبلغ كتابي أجله ؛ فخرج منها إرميا حتى أتى بيت المقدس .

ثم إن بجنت نصر رد أهل مصر إليها بعد أربعين سنة ، فعمروها ، فلم تزل مصر مقهورة من يومئذ .

(١) ليس بين ملوك مصر ملك بهذا الاسم .

(٢) رواية غير معقولة .

وحدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم، وأبو الأسود قالاً : حدثنا ابن لهيعة عن
عبد الرحمن بن غنم الأشعري، أنه قدم من الشام إلى عبد الله بن عمرو بن العاص،
فقال له عبد الله بن عمرو :

— ما أقدمك إلى بلادنا ؟

قال : أنت

قال : لماذا ؟

قال : كنت تحدثنا أن مصر أسرع الأرضين خراباً، ثم أراك قد اتخذت
فيها الرباع، وبقيت فيها القصور، واطمأنت فيها .

فقال : إن مصر قد أوفت خرابها، حطمتها بخت مصر، فلم يدع فيها
إلا السباع والضباع، وقد مضى خرابها، فهي اليوم أطيب الأرضين تراباً، وأبعده
خراباً، ولن تزال فيها بركة مادام في شيء من الأرضين بركة .

وحدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث بن سعد عن أبي قبيل نحوه، قال :
فزع بعض مشايخ أهل مصر، أن الذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها،
أنهم كانوا يُقرّون القرى في أيدي أهلها، كل قرية بكراء معلوم، لا ينقص
عليهم إلا في كل أربع سنين من أجل الظلم أو تنقل اليسار، فإذا مضت أربع سنين
ُنقص ذلك، وعدّل تعديلاً جديداً، فيرفق بين استحقاق الرفق، ويزاد على من
يحتمل الزيادة، ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم، فإذا جُبي الخراج
وجمع كان للملك من ذلك الرُّبع خالصاً لنفسه، يصنع به ما يريد، والربع الثاني
لجنده ومن يقوى به على حربهم وجباية خراجهم ودفع عدوّه، والربع الثالث في
مصلحة الأرض وما يحتاج إليه من جسورها وحفر خلجها وبناء قناطرها، والقوة
للمزارعين على زرعهم وعمارة أرضهم، والربع الرابع يخرج منه رُّبع ما يصيب
كل قرية من خراجها، فيدفن ذلك فيها لنائبة تنزل، أو جائحة بأهل القرية،

فكانوا على ذلك ، وهذا الربيع الذي يدفن في كل قرية من خراجها هي كنوز
 فرعون التي تحدث الناس بها ، أيها يظهر ، فيطلبها الذين يتبعون الكنوز .
 حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لميعة عن أبي قبيل
 قال : خرج ورثان من عند مسلمة بن مخلد ، وهو أمير على مصر ، فر
 على عبد الله بن عمرو مستعجلاً ، فناداه أين تريد ^(١) يا أبا عبيد ؟
 قال : أرسلني الأمير مسلمة ، أن آتي منف ، فأحفر له عن كنز فرعون .
 قال : فارجع إليه ، واقمته متى السلام ، وقل له ، إن كنز فرعون ليس
 لك ولا لأصحابك ، إنما هو للحيثية ، إنهم يأتون في سفنهم يريدون القسطاط ،
 فيسيرون حتى ينزلوا منف ، فيظهر لهم كنز فرعون ، فيأخذون منه ما يشاءون ،
 فيقولون ، ما نبتغي غنيمة أفضل من هذه ، فيرجعون ويخرج المسلمون في
 في آثارهم ، فيدركونهم ، فيقتلون ، قتلهم الحبش ، فيقتلهم المسلمون ،
 ويأسرونهم ، حتى إن الحبشي ليبيع بالكساء ^(٢) .

ذكر

ظهور الروم وفارس على مصر

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره . قال ، ثم ظهرت الروم
 وفارس على سائر الملوك الذين في وسط الأرض ، فقاتلت الروم أهل مصر
 ثلاث سنين ، يحاصرونهم ، وصار روم في القتال في البر والبحر .
 فلما رأى ذلك أهل مصر صالحوا الروم على أن يدفعوا إليهم شيئاً مسعياً
 في كل عام ، على أن يمنعمهم ويكونوا في ذمتهم .

(١) في نسخة هـ ابن يزيد .

(٢) رواية تفتقر لدليل وليس لها سند من التاريخ الصحيح .

ثم ظهرت فارس على الروم ، فلما غلبوهم على الشام رغبوا في مصر ، وعلموا فيها ، فامتنع أهل مصر ، وأعاتهم الروم ، وقامت دينهم ، وألحّت عليهم فارس ، فلما خشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارس على أن يكون ماصالحوا به الروم بين الروم وفارس ؛ فرضيت الروم بذلك حين خافت ظهور فارس عليها ، فكان ذلك الصلح على أهل مصر .

وأقامت مصر بين الروم وفارس نصفين سبع سنين ، ثم استجاشت الروم وتظاهرت على فارس ، وألحّت بالقتال والمدد حتى ظهوروا عليهم ، وخبروا مصانعهم أجمع ، وديارهم التي بالشام ومصر ، وكان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبل وفاته ، وبعد ظهور الإسلام ، فصارت الشام كلها وصالح أهل مصر كله خالصاً للروم ، وليس لفارس في شيء من الشام ومصر شيء^(١) .

وحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد^(٢) عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب قال : كان المشركون يجادلون المسلمين بمكة ، فيقولون : الروم أهل الكتاب ، وقد غلبتهم المَجُوس ، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذي معكم ، الذي أنزل على نبيكم ، فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم ، فأُنزل الله تبارك وتعالى (أَلَمْ ، غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ، فِي بَضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)^(٣) .

قال ابن شهاب ، وأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنه قال ، لما أنزلت هاتان الآيتان ناحب^(٤) أبو بكر بعض المشركين قبل أن

(١) رواية غير دقيقة ، أنظر كتاب مختصر تاريخ الدولة لابن العبري المطبوع سنة

١٦٦٣ ، وراجع كتاب ، فتح العرب لمصر ، للدكتور بتل .

(٢) في نسخة ه زيادة لفظ ابن .

(٣) الآية الأولى من سورة الروم .

(٤) ناحب : حاكم أو قاضي .

يحرّم القيارُ على شيء إن لم تغلب الروم فارس في سبع سنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِمَ قَلَّتْ ؟ فكل ما دون العشر يضع .

فكان ظهور فارس على الروم في سبع سنين ، ثم أظهر الله الروم على فارس زمان الحُدَيْبِيَّة ، ففرح المسلمون بنصر أهل الكتاب .

قال غير عثمان بن صالح عن الأيث بن سعد : وكانت الفرس قد أسست بناء الحصن الذي يقال له بابليون^(١) ، وهو الحصن الذي بفسطاط مصر اليوم ، فلما انكشفت جموع فارس عن الروم ، وأخرجتهم الروم من الشام آتت الروم بناء ذلك الحصن ، وأقامت به ، فلم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين .

وحدثنا سعيد بن تليد عن ابن وهب ، حدثنا أبو لهيعة قال ، يقال فارس والروم قُريش العجم .

ذكر

انكشاف فارس عمه الروم

قال : وكان سبب انكشاف فارس عن الروم كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الهِجَل بن زياد عن معاوية بن يحيى الصدقي ، قال : حدثني الزُهْرِيُّ قال : حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ^(٢) أن ابن عباس أخبره أنه سمع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يسأل الهُرْمُزَانَ عظيم الأهواز^(٣) عن السبب الذي كان سبب انكشاف فارس عنهم .

(١) في الأصل : باب أليون .

(٢) في نسخة هـ هذا حديث صحيح ، رواه القليل في الزهريات ، ويعقوب القسوي في تاريخه .

(٣) الأهواز سيم كور بين البصرة وفارس ، لسكل واحدة منها اسم ، وليس للأهواز واحد من لفظه .

فقال له الهرمزان: كان كسرى^(١) بعث شهر براز^(٢)، وبعث معه جنود فارس قبل الشام ومصر، وخرّب عامة حصون الروم، وطال زمانه بالشام ومصر وتلك الأرض، فطلق كسرى يستبطئه، ويكتب إليه، إنك لو أردت أن تفتح مدينة الروم فتحتها، ولكنك قد رضيت بمكانك وأردت طول الاستيطان.

وكتب إلى عظيم من عظماء فارس مع شهر براز، يأمره أن يقتل شهر براز، ويتولى أمر الجنود، فكتب إليه ذلك العظيم يذكر، أن شهر براز جاهد ناصح، وأنه أبلى بالحرب منه.

قال: فكتب إليه كسرى يعزم عليه ليقبضه، فكتب إليه أيضاً راجعه، ويقول، إنه ليس لك عبد مثل شهر براز، وأنت لو تعلم ما يداری من مكايده الروم لمذرته.

فكتب إليه كسرى يعزم عليه ليقبضه وليتولى أمر الجنود، فكتب إليه أيضاً راجعه، فغضب كسرى، وكتب إلى شهر براز يعزم عليه ليقبضه ذلك العظيم، فأرسل شهر براز إلى ذلك العظيم من فارس، فأقرأه كتاب كسرى، فقال له: راجع في.

قال: علمت أن كسرى لا يرجع، وقد علمت حسن صحابتي إياك ولست أكن جاعلاً مبالاً أستطيع تركه.

فقال له ذلك الرجل: ولا آتي أهلي، فأمر فيهم بأمرى، وأعهد إليهم عهدى؟ قال: بلى، وذلك الذي أملك لك.

فانطلق حتى أتى أهله، فأخذ صحائف كسرى الثلاث التي كتب إليه،

(١) تضيف نسخة ١، ب. ابرويز ابن أنوتروان (راجع الطبري ص ٢٩٢) تحقيق تولدك، طبعة أوربة

(٢) لفظ شهر براز ليس اسماً، بل هو لقب، واسم هذا القائد، خوريام، ويرد في كتب مؤرخي القرون باسم، كراز.

فجعلها في كُتَّه ، ثم جاء حتى دخل على شهر براز ، فدفع إليه الصحيفة الأولى ،
فقرأها شهر براز .

فقال له : أنت خير مني .

ثم دفع إليه الصحيفة الثانية ، فقرأها ، ونزل عن مجلسه . وقال له :

— اجلس عليه .

فأبى أن يفعل .

فدفع إليه الصحيفة الثالثة ، فقرأها ، ولم يفرغ شهر براز من قراءتها حتى قال :
أقسم بالله لأـؤنـ كسرى ، وأجمعـ السكر بكسرى .

وكان هرقل ، فذكر له أن كسرى قد أفسد فارس ، وجهر بعبثها ، وأبتليت
بطول ملكه ، وسأله أن يلقاه بمكان نصف ، يمكن الأمر فيه ، ويتعاهدان فيه ،
ثم يكشف عنه جنود فارس ، ويخلى بينه وبين المسير إلى كسرى :

فلما جاء هرقل كتاب شهر براز دعهما من عطاء الروم ، فقال لهم .

— اجلسوا ، أنا اليوم أحزم الناس ، أو أجزع الناس ، قد أتاني مالا تحسبونه ^(١)
وسأعرضه عليكم ، فأشيروا عليّ فيه .

ثم قرأ عليهم كتاب شهر براز ، فاختلقوا عليه في الرأي ، فقال بعضهم :
هذا مكر من قبل كسرى ، وقال بعضهم : أراد هذا العبد أن يلقاك ، وخاف من
كسرى فيستغيث ، ثم لا يبالي مالقى ..

قال هرقل : إن هذا الرأي ليس حيث ذهبت إليه ، إنه ما طابت نفس كسرى أن
يُشتم هذا الشتم الذي أجد في كتاب شهر براز ، وما كان شهر براز ليكتبه إلى بهذا .

(١) في نسخة - تحسبونه وسأعرض - .

وهو ظاهر على عامة ملوكي إلا من أمر حدث بينه وبين كسرى ، وإنى والله
لألقيته .

فكتب إليه هرقل ، قد بلغنى كتابك ، وفهمت الذى ذكرت ، وإنى لافيك ،
فوعدك بموضع كذا وكذا ، فأخرج معك بأربعة آلاف من أصحابك ، فإنى خارج
بمثلهم ، فإذا بلغت موضع كذا وكذا فضع بمن معك خمسمائة ، فإنى سأضع بمكان
كذا وكذا مثلهم ، ثم ضع بمكان كذا وكذا مثلهم حتى نلتقى أنا وأنت فى
خمسائة وخمسمائة .

وبعث هرقل الرسل من عنده إلى شهر براز ، إن تم له يرسل إليه . وإن أبى
ذلك عجلوا إليه فى كتاب ، فرأى رأيته . ففعل ذلك .

وسار هرقل فى أربعة آلاف التى خرج فيها ، لا يضع منها أحدا حتى التقيا
بالموضع ، ومع هرقل أربعة آلاف ومع شهر براز خمسمائة .

فلما رأهم شهر براز أرسل إلى هرقل ، أغدرت ؟ .

فأرسل إليه ، لم أغدر ، ولستنى خفت الغدر من قبلك .

وأمر هرقل بقبة من ديباج ، فضربت له بين الصقيين ، فنزل هرقل ، فدخلها ،
ودخل بترجمان معه .

وأقبل شهر براز حتى دخل عليه ، فانتجى^(١) بينهما الترجمان حتى أحكما
أمرهما ، واستوثق أحدهما من صاحبه بالعهود والمواثيق حتى فرغا من أمرهما .

فخرج هرقل وأشار إلى شهر براز بأن يقتل الترجمان لى يخفى له السر ،
فقتله شهر براز ، ثم انكشف شهر براز ، فحيش الجيوش ؛ وسار هرقل إلى
كسرى حتى أغار عليه ومن بقى معه ، فكان ذلك أول هلكة كسرى ،

(١) تسار بينهما .

ووفى هرقل لشهر براز بما أعطاه من ترك أرض فارس ، وانكشف حين أفسد أرض فارس على كسرى ، فقتلت فارس كسرى ، ولحق شهرابز بفارس والجنود^(١) .

ذكر

بناء الإسكندرية

قال: فوجه هرقل ملك الروم كما حدثني شيخ من أهل مصر الملقب^(٢) أميراً على مصر ، وجعل إليه حربها وجباية خراجها ، فترك الإسكندرية ، وكان الذي بنى الإسكندرية وأسس بناءها ذو القرنين الرومي ، وأسمه الإسكندر ، وبه سميت الإسكندرية ، وهو أول من عمل الوشى ، وكان أبوه أبو القياصرة .

حدثنا عبد الملك بن هشام قال : اسمه الإسكندر . حدثنا وثيمة بن موسى عن سعيد بن بشير عن قتادة قال : الإسكندر هو ذو القرنين .

حدثنا عبد الملك بن هشام عن زياد عبد الله عن محمد بن أسحان ، حدثني بن يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه ، أنه رجل من أهل مصر ، اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني ، من ولد يونان بن ياقث بن نوح عليه السلام . قال : وحدثني شيخ من أهل مصر قال : كان من أهل لؤبية ، كورة من كورة مصر الغربية ؛ قال ابن لهيعة : وأهلها روم ، ويقال ، بل هو رجل من حمير ، قال تبع [ابن حسان بن أسعد الحميري] .

قد كان ذو القرنين جدّي مسلماً ملكاً تدبّر له الملوك وتحشّد
بلغ المغارب والمشارق يتدبّر أسباب علم من حكيم مرشد

(١) في نسخة هـ : والجند بأرض فارس .

(٢) الملقب لقب الوالي ، وهو لفظ مشتق من اسم قطعة صغيرة من العملة البرونزية ، كانت متداولة أيام الإمبراطور جستنيان ، وقد جاء في كتاب سير البطارقة بالإسكندرية لساورس الأشموني أن اسم الوالي هو « قيس » .
انظر كتاب فتح العرب لمصر تأليف الدكتور بقر ، الملحق الثالث .

فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَأطٍ حَرْمَدٍ^(١)
وبروى قد كان ذر القرنين قبل مسلمان.

وحدثني عثمان بن صالح ، حدثني عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد
ابن أنعم عن سعد بن سعد التَّجِيبِي عن شيخين من قومه قالوا : كنا بالاسكندرية
فأستطلنا يوماً ، فقلنا لو انطلقنا إلى عقبة بن عامر نتحدث عنده ، فانطلقنا إليه ،
فوجدناه جالسا في داره فأخبرناه أننا استطلنا يوماً ، فقال وأنا مثل ذلك ، إنما
خرجت حين استطلته

ثم أقبل علينا فقال ، كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته ،
فإذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب ، فقالوا : استأذن
لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانصرفت إليه ، فأخبرته بمكانهم ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالي ولهم ، يسألوني عما لا أدرى ، إنما أنا عبد
لا علم لي ، إلا ما علمني ربي .

ثم قال : ابلغني وضوءاً ، فتوضأ ، ثم قام إلى مسجد بيته ، فركع ركعتين ،
فلم ينصرف حتى عرفت السرور في وجهه والبشر ، ثم انصرف ، فقال : أَدْخِلْهُمْ ،
ومن وجدت بالباب من أصحابي فادخله .
قال : فأدخلتهم .

فلما دفعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : إن شئتم أخبرتكم عما
أردتم أن تسألوني قبل أن تتكلموا ، وإن أجبتكم تكلمتم وأخبرتكم .
قالوا : بل أخبرنا قبل أن نتكلم .

قال : جئتم تسألوني عن ذى القرنين ، وسأخبركم كما تجدونه مكتوباً
عندكم ، إن أول أمره أنه غلام من الروم ، أعطى ملكاً ، فسار حتى أتى ساحل

(١) الخلب هو الطين الصلب اللزب ، والثأط الحرمد هو الطين الأسود الممتلئ ، وفي

البحر من أرض مصر، فابتنى عنده مدينة، يقال لها الاسكندرية^(١) : فلما فرغ من بنائه أتاه ملك، فخرج به حتى استقله، فرفعه، فقال: انظر ماتحك، فقال: أرى مدينتي وأرى مدائن معها؛ ثم عرج به، فقال: انظر، فقال: قد اختلطت مدينتي مع المدائن فلا أعرفها، ثم زاد، فقال: انظر، فقال: أرى مدينتي وحدها ولا أرى غيرها. قال له الملك: إنما تلك الأوض كلها، والذي ترى يحيط بها هو البحر، وإنما أراد ربك أن يريك الأرض، وقد جعل لك سلطانا فيها، وسوف تعلم الجاهل، وثبتت العالم.

فسار حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس، ثم أتى السدين، وهما جبلان لئنان يُزَلَقُ عنهما كل شيء، فبنى السد، ثم جاز ياجوج وماجوج، فوجد قوما وجوههم وجوه السكالب يقاتلون ياجوج وماجوج، ثم قطعهم فوجد أمة قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه السكالب، ووجد أمة من الغرائيق^(٢) يقاتلون القوم القصار، ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة، ثم أفصى إلى البحر المدير بالأرض.

فقالوا: نشهد أن أمره هكذا كما ذكرت، وإنا نجد هكذا في كتابنا^(٣) وحدثنا عبد الملك بن هشام، حدثنا زياد عن عبد الله البكائي عن ابن اسحاق، حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان السكلاعي: وكان رجلا قد أدرك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين، فقال: ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب.

قال خالد: وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول:

-
- (١) راجع كتاب «دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة» تأليف الدكتور إبراهيم نصحي، طبع مكتبة الأنجلو بالقاهرة سنة ١٩٥٩.
- (٢) واحدة الغرائيق، وهو الشاب الأبيض الجبل، والغرائيق حديث منسوب إلى الرسول، وقد حكم عليه معظم أئمة الحديث بأنه حديث موضوع.
- (٣) نسبة هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مردودة، فسنده الحديث مقطوع وفيه تجهيل بالمصدر الذي روى عنه سعد بن مسعود التيجي.

ياذا القرنين ، فقال عمر : اللهم غفرأ ، أما رضيتم أن تسموا بالأنبياء حتى تسموا بالملائكة ؟

حدثنا وثيمة بن موسى عن من أخبره عن سعد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال : كان ذو القرنين ملكا ، وكان رجلا صالحا ؛ قال : وإنما سمي ذو القرنين كما حدثنا وشيمة .
حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي حنينة عن أبي الطفيل أن عليا رضي الله عنه سئل عن ذي القرنين . فقال :

لم يكن ملكا ولا نبيا ، ولكن كان عبدا صالحا ، أحب الله فأحبه الله ، ونصح الله فنصحه الله ، بعثه الله عز وجل إلى قومه فضر به على قرنه فمات ، فأحياه الله ، ثم بعثه إلى قومه ، فضر به على قرنه فمات ، فيسمى ذا القرنين ^(١) .
ويقال . إنما سمي ذا القرنين لأنه جاوز قرن الشمس من المغرب والمشرق ؛ ويقال إنما سمي ذا القرنين ، لأنه كان له غدیرتان من رأسه من شعريطاً فيهما ، فيما ذكر إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران من خاذم بن حنين عن يونس بن عبيد عن الحسن .

حدثنا عبد العزيز بن منصور اليحصبي عن عاصم بن حكيم عن أبي سريع الطائي عن عبيد بن تعلى قال : كان له قرنان صغيران تواريهما العامة .
حدثنا أحمد بن محمد عن عبد العزيز بن عمران عن سليمان بن أسيد عن ابن شهاب قال : إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها .

قال : وذكر بعض مشايخ أهل مصر عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن من حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : كان أول شأن الاسكندرية

(١) رواية فيها تصوير خيالي ، ليس له من الحقائق سند .

أن فرعون أخذها مصانع ومجالس ، وكان أول من عمرها وبني فيها ، فلم تزل على بنائه ومصانعه ، ثم تداولها الملوك ، ملوك مصر ، بعده ، فهبت دلوكة ابنة زبأ منارة الاسكندرية . ومنارة بوقير بعد فرعون ، فلما ظهر سليمان بن دواد عليه السلام على الأرض . بها مجلسا ، وبني فيها مسجدا .

ثم إن ذا القرنين ملكها ، فهدم ما كان فيها من بناء الملوك والفراعنة وغيرهم إلا بناء سليمان بن داود عليه السلام لم يهدمه ، ولم يغيره ، وأصلح ما كان رثا منه ، وأقر المنارة على حالها ، ثم بنى الاسكندرية من أرضها بناء يشبه بعضه بعضا ، ثم تداولتها الملوك بعده من الروم وغيرهم ، ليس من ملك إلا يكون له بناء يضعه بالاسكندرية ، يعرف به وينسب إليه .

قال : ويقال إن الذي بنى منارة الاسكندرية قَلْبَطَرَة [كليوباترة] الملكة ، وهي التي ساقطت خليجها حتى أدخلته الاسكندرية ، ولم يكن يبانيها الماء ، كان يعهل من قرية ، يقال لها كَسَا^(١) قبالة السِكَرِيُون^(٢) ، فخرته حتى أدخلته الاسكندرية ، وهي التي بلطت قاعته .

قال ابن لهيعة : وبلغني أنه وجد حجر بالاسكندرية مكتوب فيه ، أنا شداد بن عاد ، وأنا الذي نصب العماد ، وحيد الأحياد ، وسد بذراعه الواد بَنِيَتُهُنَّ إذ لا شيب ولا موت ، وأن الحجارة في اللين مثل الطين .
قال ابن لهيعة : والأحياد كالمغار^(٣) .

ويقال إن الذي بنى الاسكندرية شداد بن عاد ، والله أعلم .

(١) لَهَا « كِسِين » وهو حصن « كرسونيسوسي » .

(٢) مدينة قديمة ، واسمها القبطى « كيريوم » وتقع في منتصف المسافة بين الاسكندرية ودمهور .

(٣) في نسخة د كالمغادر ، وفي نسخة ب زياده في الهامش : قال أبو علي الغالى في كتاب الأمالي ، وأنشد ابن الأعرابي وغيره ، تسألني عن البنين كم لي فقلت : لو عمرت عمر الرجل أو عمر نوح زمن القطل ، وسألت أبا بكر بن دريد عن زمن القطل فقال : تزعم العرب أنه يزمان كانت فيه الحجارة رطبة .

حدثنا إدريس بن يحيى الطولاني ، حدثنا عبد الله بن عياش القتباني ^(١) عن أبيه عن تميم قال : خمسة مساجد بالاسكندرية ، مسجد موسى النبي عليه السلام عند المنارة أقربها إلى الكنيسة ، ومسجد سليمان عليه السلام ، ومسجد ذي القرنين أو الخضر عليهما السلام الذي عند اللبخت بالقيصرية ^(٢) ، ومسجد الخضر أو ذي القرنين عند باب المدينة حين تخرج من الباب ، ولكل واحد منهما مسجد ، ولكن لا ندرى أين هو ؛ ومسجد عمرو بن العاص الكبير .

حدثنا هاني بن المتوكل ، حدثنا عبد الرحمن بن شريح عن قيسى بن الحجاج عن تميم ، أن في الإسكندرية مساجد خمسة مقدسة ، منها المسجد في القيسارية التي تباع فيها الوارث ، ومسجد اللبخت ، ومسجد عمرو بن العاص . وكانت الإسكندرية كما حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم ثلاث مدن ، بعضها إلى جنب بعض ، مئة ، وهي موضع المنارة وما وإلاها ، والاسكندرية ، وهي موضع قصبة الاسكندرية اليوم ، وتقطعة . وكان على كل واحدة منهن سور ، وسور من خلف ذلك على الثلاث للندن ^(٣) يحيط بهن جميعاً .

حدثنا هاني بن المتوكل ، حدثنا عبد الله بن طريف الهمداني قال : كان

على الإسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله ، حدثني ابن السدي عن أبيه قال : كان أنف الاسكندر ثلاثة أذرع ^(٤) .

قال خالد وأبو حمزة : أن ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رتخها بالرخام الأبيض ، جدرانها وأرضها ، وكان لباسهم فيها السواد والحمرة ، فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوع بياض الرخام ، ولم يكونوا يسرجون فيها بالليل من بياض

(١) في نسخة م : الشيباني ، وهو القتباني من الثقات ، أبو حفص المصري صدوق يفلط ، وقد أخرج له مسلم في الشواهد ، ومات سنة سبعين (تقريب التهذيب ص ٢٨١) .

(٢) القيسارية : السوق ، واللبخت شجر اللبخ .

(٣) في الأصل مدن

(٤) حديث خرافة .

الرخام ؛ وإذا كان القمر أدخل الرجل الذى يخطئ بالليل فى ضوء القمر فى بياض
الرخام الخيط فى حجر الإبرة .

قال : وإن الاسكندرية فيما ذكر بعض المشائخ ، لقد بنيت الاسكندرية
ثلاثمائة سنة ، وسكنت ثلاثمائة سنة ، وخربت ثلاثمائة سنة ، ولقد مكثت سنة
سبعين سنة ما يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض حصها وبلاطها
وولقد مكثت سبعين سنة ما يستخرج فيها^(١) .

وأخبرنا ابن أبى مريم عن العطاء بن خالد قال : كانت الإسكندرية بيضاء ،
تضيء بالليل والنهار ، وكانوا إذا غربت الشمس لم يخرج أحد منهم من بيته ، ومن
خرج اختطف ، وكان منهم راع يرعى على شاطئ البحر ، فكان يخرج من
البحر شئ فيأخذ من غنمه ، فيمكن له الراعى فى موضع حتى يخرج ، فإذا جارية ،
فتشبت بشعرها . ومانعته نفسها ، فقوى عليها ، فذهب بها إلى منزله ، فأنست
بهم ، فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس ، فسألهم ، فقالوا : من خرج منا
اختطف ، فهيات لهم الطلسمات . فكانت أول من وضع الطلسمات بمصر فى
الإسكندرية^(٢) .

حدثنا أسد بن موسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن هشام بن سعد المدينى
قال : وجد حجر^(٣) بالإسكندرية مكتوب فيه ، ثم ذكر مثل حديث ابن لهيعة
سواء ، وزاد فيه . . . وكنزت فى البحر كنزاً على اثني عشر ذراعاً لن يخرج به أحد
حتى يخرج به أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الله البغدادي عن دواد بن عثمان بن عطاء عن أبيه قال :
كان الرخام قد سخر لهم حتى يسكون من بسكرة إلى نصف النهار بمنزلة المعجين ،
فإذا انتصف النهار اشتد .

(١) كلام فيه خرافة الأساطير (أنظر المقدمة) .

(٢) فى نسخة ح : وجدوا حجرا

قال : وفي زمن شداد بن عاد بنيت الأهرام ، كما ذكر عن بعض الحديثين ، ولم أجد عند أهل المعرفة من أهل مصر في الأهرام خبرا يثبت ، وفي ذلك يقول الشاعر :

حَسَرْتُ عَقُولَ أُولَى النَّهْيِ الْاَهْرَامُ وَاسْتُصْفِرْتُ لِمَظْلِمِهَا الْأَحْلَامُ
مُدْسٌ مُبْتَنًى الْبِنَاءِ شَوَاهِقُ قَصُرَتْ لِفَالٍ دُونَهُنَّ سِهَامُ
لَمْ أَذَرَ حِينَ كَبَا التَّفَكُّرُ دُونَهَا وَاسْتَوْهَمْتُ لَعَجِبِهَا الْأَوْهَامُ
أَقْبُورُ أَمْلَاكِ الْأَعَاجِمِ هُنَّ أَمْ طَلَسْتُ رَمْلٍ كُنَّ أَمْ أَعْلَامُ

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن نوفي نحوه .

ولم يذكر السرير ، فلما أن أغرق الله فرعون وجنوده ، كما حدثنا هاني بن المتوكل عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن تميم ، استأذن الذين كانوا آمنوا من السحرة موسى في الرجوع إلى أهلهم وما لهم بمصر ، فأذن لهم ودعا لهم ، فترهبوا في رؤوس الجبال ، وكانوا أول من ترهب ، وكان يقال لهم الشيعة ، وبقيت طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله عز وجل ، ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدئها بعد ذلك أصحاب المسيح عليه السلام

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (اَلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سَنِينَ ^(١)) قال : غلبتهم فارس ، ثم غلبت الروم فارس في أدنى الأرض ، يقول في طرف الأرض الشام ، وقد اختلف في البضع ما بين الثلاث إلى سبع .

حدثنا أسد حدثنا عبد الله بن خالد عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : بضع سنين ، ما بين خمس إلى سبع . حدثنا أسد حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبي الحويرث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : البضع سنين ما بين خمس إلى سبع .

ويقال البضع ما لم يباغ العدد ما بين الواحد إلى أربع ، ويقال إلى سبع وتسع وعشر ، ويقال البضع ما بين العشرة إلى العشرين ، وكذلك كل عَقْدٍ إلى المائة ، فإذا زاد على المائة انقطع البضع ، وصار نَيْفًا .

ذكر

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس

حدثنا^(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا هشام بن أسحاق وغيره قال : لما كانت سنة مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحبشية^(٢) بعث إلى الملوك .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : حدثني عبد الرحمن بن عبد القاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر . فحمد الله وأثنى عليه ، وتشهد ، ثم قال ، أما بعد ، فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك المعجم فلا تختلفوا على كما اختلف بنوا إسرائيل على عيسى بن مريم ، وذلك أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى عيسى ، أن أبعث إلى ملوك الأرض ، فبعث الخواريين ، فأما القريب مكانا فرضي ، وأما البعيد مكانا فسكره ، وقال ، لأحسن كلام من تبعثنى إليه ؛ فقال عيسى ، اللهم أمرت الخواريين بالذي أمرتني فاختلفوا علي ؛ فأوحى الله إليه ، إني سأكفيك ، فأصبح كل إنسان منهم يتكلم بلسان الذي وُجِّه إليهم .

(١) في نسخة - زيادة - حدثنا أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف الكندي قال حدثنا . .

(٢) الحبشية قرية صغيرة على الطريق بين مكة والمدينة ، وقد سميت بيئر هناك عند مسجد الشجرة التي يابغ رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها .

فقال المهاجرون : يا رسول الله ، والله لا نختلف عليك أبداً في شيء ، ففرنا
وابعثنا ؛ فبعث حاطب بن أبي بلتعجة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية^(١) ،
وشجاع بن وهب الأسدي إلى كسرى ، وبعد دحية بن خليفة إلى قيصر ، وبعث
عمرو بن العاص^(٢) إلى [ابني] الجَلَنْدِي أميري عُمان ، ثم ذكر الحديث .

ثم رجع إلى حديث هشام بن اسحاق وغيره قال : ففضى حاطب بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهى إلى الإسكندرية وجد المقوقس في
مجلس مشرف على البحر ، فركب البحر . فلما حاذى مجلسه أشار بكتاب رسول
الله ﷺ بين إصبعيه ، فلما رآه أمر بالكتاب ، فقبض ، وأمر به ، فأوصل إليه ،
فلما قرأ الكتاب قال : ما منعه إن كان بنياً أن يدعو عليّ فيسلط عليّ ؟
فقال له حاطب : ما منع عيسى بن مريم أن يدعو علي من أبي عليه أن
يفعل به ، ويُفعل ؟

فوجم ساعة ، ثم استعادها ، فأعادها عليه حاطب ، فسكت .
فقال له حاطب : إنه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب الأعلى فانتقم الله به ،
ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك ، وإن لك ديناً لن تدعه إلا لما هو خير
منه ، وهو الإسلام الكافي الله به فقد ما سواه ، وما بشارة موسى بعيسى
إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة
إلى الإنجيل ، ولسنا ننزهك عن دين المسيح ، ولكننا نأمرك به ، ثم قرأ الكتاب :
بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ،
سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، فاسلم تسلم ،

(١) يطلق المؤرخون اسم المقوقس على حاكم مصر في ذلك العصر إطلاقاً خاطئاً ،
والمقصود بالمقوقس هو قيس بطريق الإسكندرية الملكاني الذي جمع له هرقل ولاية الدين
وجباية الحراج بأرض مصر .

(٢) جاء في كتاب الطبري أن إسلام عمرو بن العاص كان في السنة الثامنة من الهجرة ،
وأنبثة عمرو إلى جيفر وعباد ابني نجلندي بزمان كانت في هذه السنة .

واسلم يؤتك الله أجرک مرتین ، یا أهل الكتاب ، تعالوا إلى کلمة سواء بیننا و بینکم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شیئا ، ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ، فإن تولّوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون .

فلما قرأه أخذہ ، فجعله فی حُقّ من عاج ، وختم علیه .

حدثنا عبد الله بن سعید اللذحجی عن ربیعة بن عثمان عن أبان بن صالح قال : أرسل المقوقس إلى حاطب ليلة وليس عنده أحد إلا ترجمان له ، فقال :

— ألا تخبرنی عن أمور أسألك عنها ؟ فإنی أعلم أن صاحبک قد تحيّرك حين بعثک .

قال : لا تسألنی عن شیء إلا صدقتک .

قال : إلى ما يدعو محمد ؟

قال : إلى أن تعبد الله . لا تشرك به شیئا ، وتخلع ما سواه ، ويأمر بالصلاة .

قال : فكم تصلّون ؟

قال : خمس صلوات فی اليوم والليلة ، وصیام شهر رمضان ، وحج البيت ، والوفاء بالعهد ، وينهى عن أكل الميتة والدم .

قال : من أتباعه ؟

قال : الفتیان من قومه وغيرهم .

قال : فهل یقاتل قومه ؟

قال : نعم .

قال : صفه لی .

فوصفته بصفة من صفاته لم آت علیها ، قال :

— قد بقيت أشیاء لم أرك ذکرها ، فی عینیة حمرة قل ما تفارقه ، و بین

كتفيه خاتم النبوة ، يركب الحمار ويلبس الشملة ويجترى بالتمرات واليكر
لا يبالى من لاقى من عم ولا ابن عم .
قلت : هذه صفته .

قال : قد كنت أعلم أن نبيا قد بقى ، وقد كنت أظن أن مخرجه الشام ،
وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد
وبؤس ، والقبط لا تطاوعنى في اتباعه ، ولا أحب أن يعلم أحد بمحاورتى إليك ، وسيظهر
على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما همنا ، وأنا
لا أذكر للقبط من هذا حرفا ، فارجع إلى صاحبك .

ثم رجع إلى حديث هشام بن أسحاق قال : ثم دعا كاتبنا يكتب
بالعربية فكتب :

لحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام ، أما بعد ، فقد قرأت كتابك ،
وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيا قد بقى ، وقد كنت أظن
أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولاك . وبعثت إليك بحاريتين ، لهما مكان
في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني يونس عن يزيد
عن أبي شهاب بن عبد الرحمن بن عبد القارىء قال : لما معنى حاطب بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المقوقس الكتاب وأكرم حاطبا وأحسن
نُزله ، ثم سرحه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له مع حاطب
كسوة وبغلة يسرجها وجاريتين ، أحداهما أم إبراهيم ، ووهب الأخرى لجنهم
ابن قيس العبدري ، فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص
على مصر .

ويقال^(١) : بل وهبها إلى حسان بن ثابت ، فهي أم عبد الرحمن ابن حسان ، ويقال : بل وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة الأنصاري ، ويقال : لدحية بن خليفة السكابي .

حدثنا النضر بن سلمة الشامي عن حاتم بن إسماعيل عن أسامة بن زيد الليثي عن المنذر بن عبيد عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أمه سيرين قالت : حضرت موت إبراهيم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما صحت أنا وأختي ما بينهما ، فلما مات نهانا عن الصياح .

حدثنا عبد الملك بن هشام حدثنا زياد بن عبد الله البطائي عن محمد بن أسحق عن يعقوب بن عتبة أن صفوان بن المعطل ضرب حسان بن ثابت بالسيف قال ابن أسحاق : فحدثني محمد بن إبراهيم التميمي أن ثابت بن قيس بن شماس وثب على صفوان بن المعطل حين ضرب حسان ، فجمع يديه إلى عنقه بجمل ، فاقمعه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف ، والله ما أراه إلا قد قتله .

قال : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لا .

قال : لقد اجتأت ، أطلق الرجل . فأطلقه ، ثم أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك ، فدعا حسان وصفوان بن المعطل ، فقال :

— إذاني يا رسول الله ، وهجاني ، فاحتملني الغضب ، فضر بته .

(١) في نسخة ه زيادة ، ويقال بل حسان بن ثابت حين ضرب صفوان بن المعطل ، والقصة مشهورة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحسن يا حسنة في الذي
تقد أصابك .

قال : هي لك .

فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضاً عنها يَزَحًا وهي قصر بنى حُدَيْلَةَ
اليوم ، كانت مالا لأبي طلحة ، تصدق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأعطاه حسان في ضربته ، وأعطاه سيرين أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن
ابن حسان .

حدثنا هانيء بن المتوكل حدثنا ابن لهيعة قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، أن
المقوقس لما أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه إلى صدره ، وقال :
هذا زمن يخرج فيه النبي الذي نجد نعتَه وصفته في كتاب الله ، وإنا لنجد صفته ،
أنه لا يجمع بين أختين في ملك يمين ولا نكاح ، وأنه يقبل الهدية ولا يقبل
الصدقة ، وأن جلساءه المساكين ، وأن خاتم النبوة بين كتفيه .

ثم دعا رجلاً عاقلاً ، ثم لم يدع بمصر أحسن ولا أجل من مارية وأختها ،
وهما من أهل حَفْنٍ من كورة أنصنا^(١) ، فبعث بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأهدى له بغلة شهباء وحملاً أشهب وثياباً من قباطي^(٢) مصر ، وعسلاً من عمل
بنها ، وبعث إليه بمال صدقة .

وأمر رسوله أن ينظر من جلسائه ، وينظر إلى ظهره ، هل يرى شامة كبيرة^(٣)

ذات شعر ؟

(١) أنصنا : مدينة قديمة من بلاد الصعيد شرق النيل ، وإليها ينسب قوم من أهل
العلم ، ومكانها اليوم الأطلال الواقعة في حوض مدينة النحلة (المحرفة من أنصنا) رقم ١١
بأراضي ناحية الشيخ عبادة الواقعة شرق النيل بمركز ملوى من أعمال محافظة أسيوط .
وحفن قرية من قرأها .

(٢) القباطي : نسيج من الكتان به زخارف استهوت به مصر القديمة ، وهو النسيج
الذي يطلق عليه الأوروبيون اسم Tapestry .

(٣) في نسخة حوادة بين كتفيه .

ففعل ذلك الرسول .

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم الأختين والدابتين والعسل والثياب ، وأعلمه أن ذلك كله هدية ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية . وكان لا يردها من أحد من الناس .

قال : فلما نظر إلى مارية وأختها أعجبتاه ، وكره أن يجمع بينهما ، وكانت إحداها تشبه الأخرى ، فقال : اللهم اختر لنبيك ، فاختر الله مارية .

وذلك أنه قال لهما : قولاً ، نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فبدرت مارية ، فتشهدت ، وآمنت قبل أختها ، ومكنت أختها ساعة . ثم تشهدت وآمنت ، فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها لمحمد بن مسعدة الأنصاري ، وقال بعضهم ، بل وهبها لدرحية بن خليفة السكابي .

قال : فحدثنا هانيء بن المتوكل ، حدثنا عبد الله بن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى ، أحسبه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم إبراهيم أم ولده القبطية ، فوجد عندها نسيباً كان لها ، قدم معها من مصر ، وكان كثيراً ما يدخل عليها ، فوقع في نفسه شيء ، فرجع ، فلقى عمر بن الخطاب ، فعرف ذلك في وجهه ، فسأله ، فأخبره ، فأخذ عمر السيف ، ثم دخل على مارية ، وقربها عندها ، فأهوى إليه بالسيف .

فلما رأى ذلك كشف عن نفسه ، وكان محبوباً ، ليس بين رجله شيء ، فلما رآه عمر رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن جبريل أتاني فأخبرني أن الله قد برأها وقربها ، وأن في بطنها غلاماً مني ، وأنه أشبه الخلق بي ، وأمرني أن أسميه إبراهيم ، وكنتاني بأبي إبراهيم .

وحدثني دُحَيْمٌ عن عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن الزهري عن أنس قال : لما ولدت أمُّ إبراهيم إبراهيم كأنه وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء حتى جاءه جبريل ، فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم .

ويقال إن المقوقس بعث معها بخصي ، فكان يأوى إليها .

حدثنا أحمد بن سعيد القهري ، حدثنا مروان بن يحيى الحاطبي ، حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن أذعج قال ، حدثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده حاطب بن أبي بلتعة قال ، بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك الاسكندرية ، فحُتته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزَلَنِي في منزل ، وأتت عنده ليالي ، ثم بعث إلي ، وقد جمع بطارقه فقال :

— إني سأُكَلِّمُكَ بكلام ، وأحب أن تفهمه عني .

قال : قلت ، هَلَمْ .

قال : أخبرني عن صاحبك ، أليس هو بنِي ؟

قال : قلت ، بلى ، هو رسول الله

قال : فإله حيث كان هكذا لم يدعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده

إلى غيرها ؟

قال : فقلت له ، فعيسى بن مريم تشهد أنه رسول الله ، فإله حيث أخذه

قومه ، فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهاسكهم الله حتى رفعه الله

إليه في السماء الدنيا ؟

فقال : أنت حكيم جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعت بها معك إلى

محمد ، وأرسلُ معك مُبَذَّرَةً^(١) يُبَذِّرُ قُوتَكَ إلى مأمَنِكَ .

(١) البذرة : الخفارة ، لفظ فارسي معرب .

قال : فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار ، منهم أم إبراهيم ،
وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهم بن حذيفة العبدري ،
وواحدة وهبها لحسان بن ثابت ، وأرسل إليه بثياب مع طُرف من طرفهم ،
فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم ، فكان من أحب الناس
إليه حتى مات ، فوجد به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عبد الملك بن مسامة ، حدثنا حفص بن سليمان عن كثير بن شذِيز
عن أبي تضرّة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على
ابنه وكبّر عليه أربعاً .

قال : ورشّ على قبره كما حدثنا ابن بكير ، وحدثنا عبد الملك بن مسامة ،
حدثنا قرُيش بن حَيّان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : دخلنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سَيف ، قَين كان بالمدينة ، وكان ظنر
إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه إبراهيم فشتمه ، ثم دخلنا عليه ،
وهو في الموت ، فذرفت عيناه .

فقال له ابن عوف ، وأنت يا رسول الله ؟

قال : إنها رَحمة ، واتبعها بالأخرى ، تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول
ما لا يُرضي ربنا .

وحدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي عن
عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء ابنة يزيد أنها حدثته ،

قالت : لما توفي إبراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو بكر وعمر : أنت أحق من علم الله حقه .

قال : تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يُسخط الرب ، ولولا أنه وعد

صادق وموعد جامع ، وأن الآخر منا يفتع الأول لوجدنا عليك [يا] إبراهيم أشد
منا وجدنا ، وإنا بك الحزونون .

حدثنا علي بن معبد ، حدثنا عيسى بن يونس عن محمد بن أبي ليلى عن
عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيد عبد الرحمن بن عوف ، فأنطلق به إلى النخل الذي فيه ابنه إبراهيم ، فوجده
يجود بنفسه ، فأخذه ، فوضعه في حجره ، ثم بكى .

فقال له عبد الرحمن : تبكى ، أو لم تكن نهيت عن البكاء ؟ .

قال : لا ، ولكنني نهيت عن صوتين أحقن فاجر بن ، صوت عند مصيبة ،
خش وجوه وشق جيوب ورنه شيطان ، وصوت عند نعمة لهو ومزمار شيطان ؛
وهذه رحمة ، ومن لا يرحم لا يرحم ، ولولا أنه أمر حق ووعد صدق ، وأنها
سبيل مأتية لحزننا عليك حزنا هو أشد من هذا ، وإنا بك يا إبراهيم الحزونون ،
يخزن القلب وتدمع العين ، ولا نقول ما يسخط الرب .

حدثنا النضر بن سلمة ، حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن السلمي ، حدثنا هاشم
ابن إسماعيل ، حدثنا أسامة بن زيد عن المنذر بن عبيد عن عبد الرحمن بن حسان
ابن ثابت عن أمه سير بن أخت مارية قالت :

— رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة في القبر — يعني قبر إبراهيم —
فأمر بها ، فسدت ، فقيل يا رسول الله .

فقال : أما إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكن تُقر بعين الحى ، وإن العبد إذا
عمل عملا أحب الله أن يتقنه .

حدثنا دُحيم ، حدثنا مروان بن معاوية عن إسرائيل عن زياد بن علاقة
عن المغيرة بن شعبه قال : كسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقام رسول الله ، فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ،

لا يكسفن لموت أخذ ولا لحياته ، فإذا رأيتموها فعليكم بالدعاء حتى ينكشفا .
قال : ولما ولدت أم إبراهيم ، كحدثنا القعنبي عن حسين بن عبد الله بن عبيد
الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما ولدت مارية قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : أعتقها ولدُها .

وكان سن إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات كما حدثنا علي
ابن سعيد عن عيسى بن يونس عن الأعمش عن رجل قد سماه عن البراء بن
عازب ستة عشر شهراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له ظئراً^(١) في
الجنة يتم رضاعه .

وحدثنا يزيد بن أبي سلمة عن عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحجاج بن
أرطاة عن أبي بكر بن عمرو عن يزيد بن البراء عن أبيه قال : لما توفي إبراهيم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له مريضاً في الجنة تتم بقية رضاعه .

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبي حبيب قال : وكانت البغلة والحمار أحب
دوايته إليه ، وسمى البغلة دُلْدُل ، وسمى الحمار يَعْقُور ، وأعجبه العسل ، فدعا في
عسل بنّها بالبركة ، وبقيت تلك الثياب حتى كُفِنَ في بعضها صلى الله
عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الجبار حدثنا موسى بن داود عن سلام عن عبد الملك بن
عبد الرحمن عن الحسن العُمرى^(٢) عن أشعث بن طلّيق عن مرة بن المطلب
— أو الطيّب — عن عبد الله بن عمر عن الثقة عن ابن مسعود قال : قلنا يا رسول الله
فيم نكفّنك ؟ قال : في ثيابي هذه ، أو في ثياب مصر .

(١) الظئر : المرضع الماطقة على ولدها .

(٢) في نسخة س العربي ، والصحيح ما ذكر (راجع صحيفة ١١٠ من كتاب
تقريب التهذيب) .

قال محمد بن عبد الجبار في حديثه : أوفى ثياب مصر ، أوفى حلة قال أحدهما ،
أوفى يُمْنَةً .

قال ابن أبي مريم ، قال ابن لهيعة ، وكان اسم أخت مارية قَيْصَرًا ، ويقال
بل كان اسمها سيرين .

وحدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا لهيعة عن الأعرج قال : بعث المقوقس
صاحب الإسكندرية بمارية واختها حنّة ، فأسكنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صدقته في بني قُرَيْظَةَ .

وحدثنا هانيء بن التوكل ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وابن
هيرة أن الحسن بن علي كَلَّمَ معاوية بن أبي سفيان في أن يضع الجزية عن جميع
قرية أم إبراهيم الجُرُمتها ، ففعل ، ووضع الخراج عنهم ، فلم يكن على أحد منهم
خراج ، وكان جميع أهل القرية من أهلها وأقربائها . فانقطعوا إلا بيتا واحدا قد
بقي منهم أناس .

حدثنا عبد الملك بن عباس عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو بقي إبراهيم ما تركت قبطيًا إلا وضعت
عنه الجزية .

وكانت وفاة مارية في المحرم سنة خمس عشرة ، ودفنت بالبقيع ، وصلى
عليها عمر بن الخطاب ، وكان الرسول بها من قبل المقوقس كما حدثنا عبد الملك
بن مسلمة ابن جابر .

- ثم إن أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا
عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح الأَجَمِيِّ
بعث حاطبًا إلى المقوقس بمصر ، فمر على ناحية قرى الشرقية ، فهادهم وأعطوه ،
فلم يزالوا على ذلك حتى دخلها عمرو بن العاص فقاتلوه ، فانتفض ذلك العهد .

قال عبد الملك . وهي أول هدنة كانت بمصر

قال - ابن هشام اسم أبي بلتعة عمرو ، وحاطب لخمى ، وفي ذلك يقول
حسان ابن ثابت كما حدثنا وثيمة بن موسى .

كَلِّمْ رُسُلَ النَّبِيِّ صَاحِحَ إِلَى الدِّنِّ سِ ، شُجَاعَ وَدَحِيَّةَ بْنِ خَلِيفَةَ
وَلَعْمَرِيَّ وَحَاطِبَ وَسَلِيطَ وَلَعْمَرِيَّ ، وَذَلِكَ رَأْسُ الصَّحِيفَةِ
في أيام ذكر فيها رسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك .

ذكر

سبب دخول عمرو بن العاص مصر

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال ، فلما كانت سنة ثمان
عشرة^(١) ، وقدم عمرو الجابية^(٢) خلافة عمرو بن العاص ، فاستأذنه في المسير إلى
مصر ، وكان عمرو قد دخل مصر في الجاهلية ، وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها ،
وكان سبب دخول عمرو إليها كما حدثنا يحيى بن خالد العدوي عن ابن لمية
ويحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد أنه بلغه أن عمراً قدم إلى بيت المقدس لتجارة
في نفر من قريش ، فإذا هم بشماس من شمامسة الروم من أهل الاسكندرية قدم
للمصلاة في بيت المقدس ، فخرج في بعض جبالها يسبح ، وكان عمرو يرى إبله
ولم يلبسها ، وكانت رعية الإبل نوباً بينهم .

فبينما عمرو يرى إبله إذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد في يوم
شديد الحر ، فوقف على عمرو ، فاستقاه ، فسقاه عمرو من قرربة له ، فشرب

(١) توافق سنة ٦٣٠ م وكان العرب لا يزالون على حصار مدينة قيصرية .

(٢) الجابية : قرية من أعمال دمشق قرب مرج الصفر في شمالي حوران ، وفيها
خطب عمر بن الخطاب خطبة مشهورة .

حتى روى ، ونام الشمس مكانه ، وكانت إلى جنب الشمس حيث نام حفرة ،
فخرجت منها حية عظيمة ، فبصر بها عمرو وفزع لها بسهم ، فقتلها .
فلما استيقظ الشمس نظر إلى حية عظيمة قد أنجاه الله منها ، فقال لعمرو :
ما هذه ؟

فأخبره عمرو أنه رماها ، فقتلها .

فأقبل إلى عمرو ، فقبل رأسه ، وقال : قد أحياني الله بك مرتين ، مرة من
شدة العطش ، ومرة من هذه الحية ، فما أقدمك هذه البلاد ؟
قال : قدمت مع أصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا .
فقال له الشمس : وكم تراك ترجو أن تصيب في تجارتك ؟

قال : رجائي أن أصيب ما أشتري به بعيرا ، فإنني لا أملك إلا بعيرين ،
فأملئ أن أصيب بعيرا آخر ، فتكون ثلاثة أبعرة .

فقال له الشمس : أرايت دية أحدكم بينكم كم هي ؟

قال : مائة من الإبل .

قال الشمس : لسنا أصحاب إبل ، إنما نحن أصحاب دنانير .

قال . يكون ألفي دينار .

فقال له الشمس : إني رجل غريب في هذه البلاد ، وإنما قدمت أصلي في
كنيسة بيت المقدس ، وأسيح في هذه الجبال شهرا ، جعلت ذلك نذرا على
نفسى ، وقد قضيت ذلك وأنا أريد الرجوع إلى بلادى ، فهل لك أن تتبعنى
إلى بلادى ؟ . ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين ، لأن الله تعالى أحيانى
بك مرتين .

فقال له عمر : أين بلادك ؟

قال : مصر ، في مدينة يقال لها الإسكندرية .
فقال له عمرو : لا أعرفها ، ولم أدخلها قط .
فقال له الشماس : لو دخلتها اعلمت أنك لم تدخل قط مثلها .
فقال له عمرو : تنى لى بما تقول ، وعليك بذلك العهد والميثاق ؟
فقال له الشماس : نعم لك الله ، على العهد والميثاق أن أوفى لك وأن أردك
إلى أصحابك .

فقال : وم يكون مكثى في ذلك ؟
قال : شهرا ، تنطلق معى ذاهبا عشرا ، وتقيم عندنا عشرا ، وترجع في
عشر ، ولك على أن أحفظك ذاهبا ، وأن أبعث معك من يحفظك راجعا .
فقال له عمرو : انظرنى حتى أشاور أصحابى في ذلك .

فانطلق عمرو إلى أصحابه ، فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس ، وقال لهم :
تقيّدون علىّ حتى أرجع إليكم ، ولكم على العهد أن أعطيكم شطر ذلك ، على
أن يصحبني رجل منكم آنس به .
فقالوا : نعم .

وبعثوا معه رجلا منهم .

فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر حتى انتهى إلى الإسكندرية ،
فراى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الأموال والخير ما أعجبه ، وقال :
ما رأيت مثل مصر قط وكثرة ما فيها من الأموال .

ونظر إلى الإسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من
الأموال فازداد عجباً .

ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما ، ليجتمع فيه ملوكهم

وأشرفهم ، ولم أكرّة من ذهب مُكلّلة يترامى بها ملوكهم ، وهم يتلقونها بأكرامهم ؛ وفيما أخبروا عن تلك الأكرّة على ما وصفها من مضي منهم أنها من وقعت الأكرّة في كمّه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم .

فلما قدم عمرو الاسكندرية أكرمه الشماس الإكرام كله ، وكساه ثوب ديباج ألبسه إياه ، وجلس عمرو والشماس مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالأكرّة ، وهم يتلقونها بأكرامهم ، فرمى بها رجل منهم ، فأقبلت تهوى حتى وقعت في كمّ عمرو ، فعجبوا من ذلك ، وقالوا : ما كذبنا هذه الأكرّة قط إلا هذه المرة ، أترى هذا الإعرابي يملكنا؟ هذا ما لا يكون أبداً .

وأن ذلك الشماس مشى في أهل الإسكندرية ، وأعلمهم أن عمراً أحياء مرتين ، وأنه قد ضمن له ألفي دينار ، وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم ، ففعلوا ، ودفعوها إلى عمر^(١) .

فانطلق عمرو وصاحبه ، وبعث معهما الشماس دليلاً ورسولاً ، وزودهما وأكرمهما حتى رجع وصاحبه إلى أصحابهما ، فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ونخرجها ، ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد وأكثرها مالا .

فلما رجع عمرو إلى أصحابه دفع إليهم فيما بينهم ألف دينار ، وأمسك لنفسه ألفاً .

قال عمرو : فكان أول مال اعتقدته وثألته .

(١) رواية غير صحيحة تاريخياً ، ولا تتخذ سنداً من الأسانيد الصحيحة ، وقد رواها عن ابن عبد الحكم كثير من مؤرخي العرب .

إلى مصر ، وحرّضه عليها ، وقال : إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين^(١) ، وعونا ، لهم ؛ وهى أكثر الأرض أموالا ، وأعجزها من القتال والحرب .

فتخوّف عمرو بن الخطاب على المسلمين ، وكره ذلك ، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمرو بن الخطاب ويخبره بها ، ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر ، فمقد له على أربعة آلاف رجل ، كلهم من عك^(٢) ؛ ويقال : بل ثلاثة آلاف وخمسمائة .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص دخل مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب مثله ، إلا أنه قال : ثلثهم غارق .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان قال : فقال له عمر : سر وأنا مستخير الله في سيرك ، وسيأتيك كتابي سريعا إن شاء الله ، فإن أدركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من أرضها فانصرف ؛ وإن أتيت دخلتها قبل أن يأتيتك كتابي فأمض لوجهك واستغن بالله واستغفره .

فسأر عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس ، واستخار عمر الله ، فكانه تخوف على المسلمين في وجههم ذلك ؛ فكتب إلى عمرو بن العاص ، أن ينصرف بمن معه من المسلمين .

فأدرك الكتاب عمرا وهو برّفتح^(٣) ، فتخوّف عمرو بن العاص إن هو أخذ

(١) يروى الطبرى أن أريطيون حاكم الروم على بيت المقدس ، وكان قد هرب من المدينة قبل تسليم الطريق صفرونيوس مدينة القدس للعرب ، قد لاذ بمصر ، وأنه كان يجمع فيها جنود الدولة الرومانية ، فرأى عمرو بن العاص ، أن على العرب ألا يضيعوا الوقت ، بل يجب عليهم أن يوقعوا به قبل أن يستفحل أمره .

(٢) رفع بلد بالقرب من العريش في الإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة .

(م ٦ — فتوح مصر)

الكتاب وفتح أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه ، وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش^(١) ، فسأل عنها ، ف قيل ، إنها من مصر .

فدعا بالكتاب ، فقرأه على المسلمين وقال عمرو لمن معه .

ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟

قالوا : بلى .

قال : فإن أمير المؤمنين عهد إلى وأمرني ، إن لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع ، ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر ، فسيروا وامضوا على بركة الله .

ويقال : بل كان عمرو بفلسطين ، فتقدم بأصحابه إلى مصر بغير إذن ، فكتب فيه إلى عمر ، فكتب إليه عمر ، وهو دون العريش ، فحبس الكتاب ، فلم يقرأه حتى بلغ العريش ، فقرأه فإذا فيه : (من عمر بن الخطاب إلى العاص ابن العاص ، أما بعد ، فإنك سرت إلى مصر ومن معك ، وبها جموع الروم ، وإنما معك نفر يسير ، ولعمري لو كانوا مُثَكَّلًا أُمِّك ما سرت بهم ، فإن لم تكن بلغت مصر فارجم) .

فقال عمرو : الحمد لله ، آية أرض هذه ؟

قالوا : من مصر .

فتقدم كما هو .

حدثنا ذلك عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب .

(١) العريش : بلد قديم في الطرف الشمالي لشبه جزيرة سيناء تطل على البحر الأبيض المتوسط .

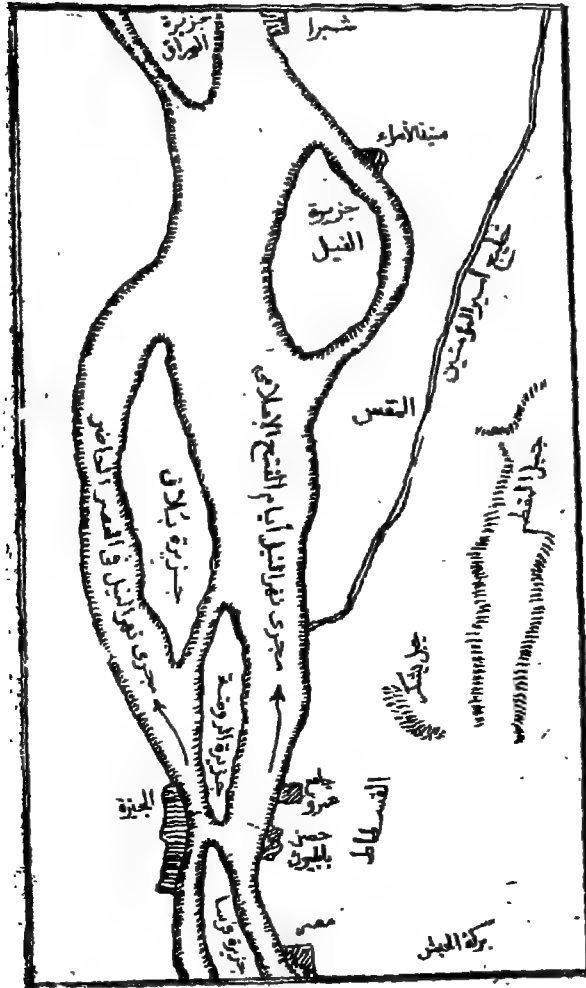
ويقال : بل كان عمرو في جنده على قيسارية مع من كان بها من أجناد المسلمين ، وعمر بن الخطاب إذ ذاك بالجابية ، فكتب سرا ، فاستأذن إلى مصر ، وأمر أصحابه ففتحوا كالقوم الذين يريدون أن يفتحوا من منزل إلى منزل قريب . ثم سار بهم ليلا ، فلما فقدوا أمراء الأجناد استنكروا الذي فعل ، ورأوا أنه قد غرر ؛ فرفعوا ذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : إلى العاص ابن العاص ، أما بعد فإنك قد غررت بمن معك ، فإن أدرك كتابي ولم تدخل مصر فارجع ، وإن أدرك وقد دخلت فامض ، واعلم أني مُمِدِّك .

فيما حدثنا عبد الملك بن مسleme ويحيى بن خالد عن الليث بن سعد قال : ويقال ، إن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص بعدما فتح الشام ، أن أذهب الناس إلى المسير معك إلى مصر ، فن خف معك فسر به . وبعث به مع شريك بن عبد الله ، فذهبهم عمرو ، فأسرعوا إلى الخروج مع عمرو .

ثم إن عثمان بن عفان دخل على عمر بن الخطاب فقال عمر : كتبت إلى عمر ابن العاص ، يسير إلى مصر من الشام . فقال عثمان . يا أمير المؤمنين ، إن عمرأ لمَجْرَأً ، وفيه إقدام ، وحب للامارة ، وأخشى أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة ، فيعرض المسلمين للهلكة . وجاء فرصة لا يدرى تكون أم لا .

فقدم عمر بن الخطاب على كتابه إلى عمرو إشفاقا مما قال عثمان ، فكتب إليه ، إن أدركك كتابي قبل أن تدخل مصر فارجع إلى موضعك ، وإن كنت دخلت فامض لوجهك .

وكانت صفة عمرو بن العاص كما حدثنا سعيد بن عفيرة عن الليث بن سعد ، قصيرا ، عظيم الهامة ، نائيا الجبهة ، واسع الفم ، عظيم اللحية ، عريض ما بين المنكبين ، عظيم السكتين والقدمين .



خريطة لقطاع مصر عند الفتح العربي

قال الأييث : يملأ هذا المسجد .

قال : فلما بلغ المقوقس قدوم عدرو بن العاص إلى مصر توجه إلى القسقاط ، فسكران يجهز على عدرو الجيوش ، وكان على القصر (١) رجل من الروم .

(١) هو قصر الشمه : مكانه الآن الدير المحرق بمصر القديمة ، وقد بقي هذا القصر بعد خراب مصر على يد مجت مصر ، وقد اختلط المؤرخون في الوقت الذي بقي فيه وفيمن أنشأه من الملوك ، وكان الشمه يوقد على هذا القصر في رأس كل شهر ، ليعلم الناس أن الشمس قد انقضت من برج إلى برج .

وكانت الكنيسة المحلقة بمصر القديمة تقع على باب هذا القصر ، ويرى بعض المؤرخين أن قصر الشمه هو حصن نابليون .

يقال له الأَعْرَج^(١) واليا عليه . وكان تحت يدي المفوقس .
وأقبل عمرو حتى إذا كان بجبل الحلال ففرت منه راشدة وقبائل من غلم^(٢) ،
فتوجه عمرو حتى إذا كان بالعريش أدركه النحر^(٣) . فحدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا
ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : فضحى عمرو عن أصحابه يؤمئذ بكبش .
وكان رجل ممن كان خرج مع عمرو بن العاص حين خرج من الشام إلى
مصر ، كما حدثنا هانيء بن المتوكل عن أبي شريح عبد الرحمن بن شريح عن
عبد الكريم بن الحارث أصيب بجمل له . فأتى إلى عمرو يستحمه ، فقال له عمر :
تحمل مع صاحبك حتى تبلغ أوائل العامر ، فلما بلغوا العريش جاء فأمر له يحملين .
ثم قال له : لن تزالوا بخير ما رحتكم أمتكم ، فإذا لم يرحمكمهلكتم وهلكوا .
قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال : فتقدم عمرو بن العاص ،
فكان أول موضع قوتل فيه الفرما^(٤) ، قاتله الروم قتالا شديداً نحواً من شهر ، ثم
فتح الله على يديه .

وكان عبد الله بن سغد كما حدثنا سعيد بن عفير على ميمنة عمرو بن العاص
منفذ توجه من قيسارية إلى أن فرغ من حربه .

(١) هو القائد جورج الروماني .

(٢) كان أكثر جند جيش عمرو من قبيلة عك ، ويذكر الكندي أن تلك الناس
كانوا من غانق ، ويروي ابن دقاق أنه قد كان مع جيش العرب جماعة ممن أسلم من الروم ،
وقد سماهم في كتابه .

(٣) كان هذا في العاشر من شهر ذي الحجة سنة ١٨ هـ ، وهو اليوم الثاني عشر من
شهر ديسمبر سنة ٦٣٩ م .

(٤) الفرما اسم عربي لمدينة بلوز ، وكان القبط يسمونها برمون ، وكانت على مرتفع من
الأرض وعلى نحو ميل ونصف من البحر ، وكان لها مرفأً متصل بها بمخليج يجري من البحر ،
وكان فرع من النيل يسمى البلوزي يهوى إلى البحر بقرنها ، وكانت مدينة قوية الحصون ،
بها كثير من آثار المصريين القدماء ، كما كان بها كنائس وأديرة ، وكانت مفتاح مصر
حين المشرق ، فهي تسيطر على الطريق الصحراوي ، وتغلق ناصية البحر ، ويمر بها فرع
النيل الذي يؤدي إلى مصر السفلى ، وقد ذكر الفرس أسوارها وحصونها وخربوا كنائسها
عند فتحهم لمصر قبل المغزو العربي .

وقال غير ابن عقير من مشايخ أهل مصر ، وكان بالاسكندرية أسقف للقبط
يقال له ، أبو بنيامين^(١) ، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط
يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة ، وأن ملكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتأقبي عمرو .
فيقال إن القبط الذين كانوا بالقرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا .

قال عثمان في حديثه ، ثم توجه عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى نزل
القواصر^(٢) .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عبد الرحمن بن
تريج أنه سمع شراحيل بن يزيد يحدث من أبي الحسين أنه سمع رجلا من نظم
يحديث كريب بن أبرهة قال : كنت أرعى غنما لأهلي بالقواصر ، فنزل عمرو
ومن معه ، فدنوت إلى أقرب منازلهم ، فإذا بنفر من القبط ، كنت قريبا منهم ،
فقال بعضهم لبعض : ألا تعجبون من هؤلاء القوم ؟ يُقَدِّمون على جموع الروم ،
وإنما هم في قلة من الناس .

فأجابه رجل آخر منهم ، فقال : إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد
إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم .
قال : فقمتم إليه ، فأخذت بتلابيبه . فقلت : أنت تقول هذا ؟ انطلق معي
إلى عمرو بن العاص حتى يسمع الذي قلت .

(١) أبو بنيامين ، وهو كبير أساقفة القبط بالاسكندرية ، وقد خاف المغاران مودستوس
وقضى أول سب ولايته مستظلا بحكم الفرس ، وقد كانت ولايته طويلة مليئة بالحوادث .
ويروى حنا النقيوسي ، أن بنيامين قد هرب من الإسكندرية تخلصاً من ظلم الروم ولم يعد إلا
بعد أن كتب له عمرو بن العاص أماناً أقر فيه بعودته .

(٢) القواصر بلدة قديمة من أعمال مركز التل الكبير ، ومكانها الآن القصاصين ،
وقد جاء في معجم البلدان أنها موضع بين القرما والفتياط (أنظر الخريطة) ، ويروى
المؤرخون أن مياه بحيرة المزلة كانت قد طفت على ما حولها بعد استيلاء عمرو بن العاص على
القرما ، وأصبح الطريق الساحلي الذي اعتادت الجيوش الغازية عبوره غير مأوون ، ومسالكه
صعبة على جيش عمرو ، وقد كان كله من الفرسان ، فلزم عمرو طريق الصحراء نحو الجنوب
حتى وصل إلى وادي العظيبلات بالقرب من التل الكبير .

فطاب إلى أصحابه وغيرهم حتى خلصوه ، فرددت الغنم إلى منزلى ، ثم جئت حتى دخلت في القوم .

قال عثمان في حديثه : فيقدم عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس^(١) ، فقاتلوه بها نحو من شهر ، حتى فتحها الله عليه . ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أم دُنين . فقاتلوه بها قتالا شديداً . وأبطأ عليه الفتح ؛ فكتب إلى عمر يستمده ، فأمدّه بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف ، فقاتلهم^(٢) .

ثم رجع إلى حديث ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح عن شراحيل ابن يزيد عن أبي الحسين أنه سمع رجلاً من نخم قال : فجاء رجل إلى عمرو بن العاص ، فقال : أندب معي خيلاً حتى آتى من ورائهم عند القتال .

فأخرج معه خمسمائة فارس . فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بني وائل قبل الصبح .

(١) بلبيس ، قاعة مركز بلبيس من أعمال محاذلة الشرقية ، وكانت بلبيس عاصمة إقليم لى آخر عهد المنكر الجركسى ، وفي سنة ١٨٣٢ م ، نقلت المصالح الأميرية منها إلى الزقازيق ، وكانت بلبيس تسمى قديماً فليس أو فلابيس .
وقد كانت طلائع الروم قد خرجت ترقب قدوم العرب من الصحراء ، فحدث بينهم وبين الجيش العربى قتال ، يقال إن الروم خسروا فيه ألف ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير .
ويذكر الواقدي في تاريخه أن أرماتوسة بنت المفوقس كانت في طريقها إلى قيصرية أنزف إلى قسطنطين بن هرقل ، فلما علمت أن قيصرية قد حاصرها العرب عادت إلى مصر بما كان معها من الخدم والمال ، وما إن وصلت إلى بلبيس حتى جاءت بها جيوش العرب وحاصرتها ، وقيل إن عمراً أكرمها وأعادها إلى أبيها بما كان معها من الجواهر .

(٢) استولى عمرو على قرية أم دين ، وكانت لى الشمال من حصن بابليون ، ويذكر المقرئى أن أم دين كانت ميناء مصر في وقت الفتح العربى ، ويذكر بعض المؤرخين من الغرب أنه لما تأخر المدد على عمرو بن العاص وعجز عن فتح حصن بابليون أخذ من مسلحة أم دين سفناً وعبر النيل بجندة في وجه آخر هو غزو لإقليم القيوم ، وهو المدوة القصوى ، وتعتمد هذه الرواية على ما جاء في ديوان حنا النقيوى ، ولكن مؤرخى العرب يخالفون هنا الرأى ، ويذكرون أن فتح القيوم كان بعد سقوط حصن بابليون .

وكانت الروم قد خندقوا خندقاً ، وجعلوا له أبواباً . وبتوا في أفنيها حُصْكَ الحديد^(١) . فالتقى القوم حين أصبحوا . وخرج اللخمى بمن معه من ورائهم . فانهم رموا حتى دخلوا الحصن .

قال غير ابن وهب : بعث خمسمائة عليهم خارجة بن حُذافة ، قال : فلما كان وجهه الصبح نهض القوم ، فصلوا الصُّبْح ثم ركبوا خيلهم . وغدا عمرو بن العاص على القتال ، فقاتلهم من وجههم ، وحملت الخيل التي كان وجه من ورائهم^(٢) ؛ وأُفْجِمت عليهم ، فانهم رموا ، وكانوا قد خندقوا حول الحصن وجعلوا للخندق أبواباً .

قال ابن وهب في حديثه عن عبد الرحمن بن شريح : فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن . فحاصرهم حتى سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ، ويفتحوا له الحصن ، ففعل ذلك ، ففرض عليهم عمرو لكل رجل من أصحابه دينارا وجُتبه ورُئسا ، عمامة وخفين . وسألوه أن يأذن لهم أن يهيشوا له ولأصحابه صنيعا ، ففعل .

(١) حَك الحديد هو أدوات الحرب وآلات العسكر .

(٢) يشير ابن عبد الحكم بهذه الرواية إلى ما حصل بين الجيش العربي وقوات الروم عند ما أحس قائدهم تيودور من نفسه القوة أن يتجاوزوا العرب وأن يسيروا إليهم بمحوشهم نحو هليوبولس ، عين شمس ، وكانت على مسافة ستة أميال من عسكر العرب ، وعلم عمرو بما يريده الروم ، فأرسل تحت جنح الليل كتيبتين ، إحداهما إلى أم دين ، والأخرى إلى موضع في بنية الجبل بالقرب من القلعة الحامية ، وخرج عمرو بأكثر الجُم من العرب للاقاء الروم وقد طاب من أجند الكتيبتين أن يكمنوا فإذا سنحت لهم الفرصة هبطوا على جانب جيوش الروم ومؤخرته ، وخرج الروم من بين البساتين والأدبرة التي كانت في الشمال المشرق من الحصن ، ولم يكن لهم علم بمكيدة عمرو ، وحدث اللقاء بين الجيشين في مكان وسط بين معسكريهما ولعله مكان العباسية الآن — ولما حى القتال أقبلت الكتيبة العربية من جهة الجبل تحتاح مؤخرة الروم ، فاجبه الروم منهزمين نحو أم دين ، فلقبهم الكتيبة الأخرى بها ، ففر الروم يطلبون النجاة ولكن سيوف المسلمين حصدهم ، فلم ينج منهم غير ثلاثمائة جندي ، نزلوا إلى السفن وعادوا إلى الحصن .

فحدثني أبي عبد الله بن عبد الحكم أن عمرو بن العاص أمر أصحابه .
فهيأوا ولبسوا البرود ، ثم أقبلوا .

قال ابن وهب في حديثه : فلما فرغوا من طعامهم سألهم عمرو ، كم أنفقتم ؟
قالوا : عشرين ألف دينار .

قال عمرو : لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم ، أدوا إلينا عشرين ألف دينار .
فجاءه نفر من القبط فاستأذنه . إلى قراهم وأهليهم ، فقال لهم عمرو : كيف
رأيتم أمرنا ؟

قالوا : لم نر إلا حسنا .

فقال الرجل الذي قال في المرة الأولى ما قال لهم : إنكم لن تزالوا تظهرون
على كل من لقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلا .

فغضب عمرو ، وأمر به ، فطلب إليه أصحابه ، وأخبروه أنه لا يدري ما يقول ،
حتى خلصوه .

فلما بلغ عمرأ قتل عمر بن الخطاب أرسل في طلب ذلك القبطي ، فوجده
قد هلك ، فمجب عمرو من قوله .

قال غير ابن وهب قال : عمرو بن العاص : فلما طعن عمر بن الخطاب قلت :
هو ما قال القبطي ؟ فلما حدثت أنه إنما قتله أبو لؤلؤة ، رجل نصراني قلت :
لم يمين هذا ، إنما عني من قتله المسلمون ؟ فلما قتل عثمان عرفت أن ما قال
الرجل حق

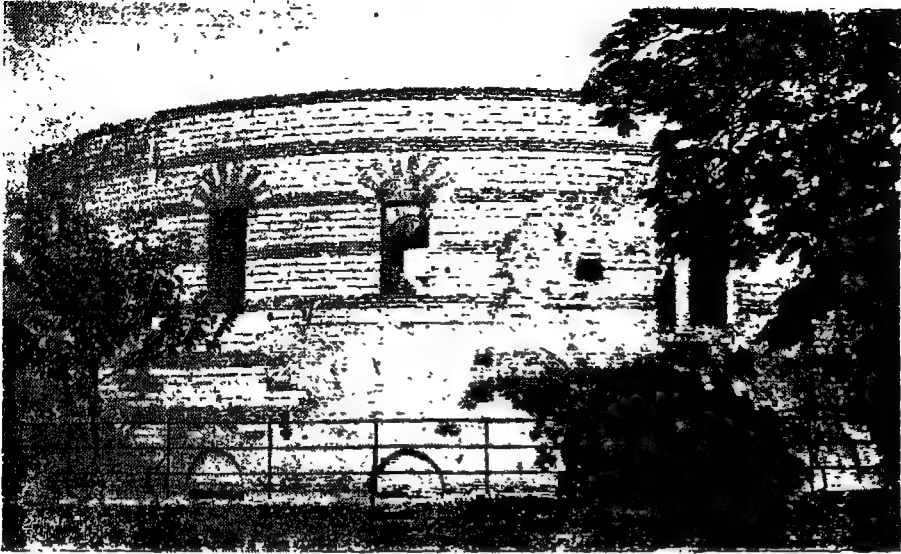
قال أبي في حديثه ، فلما فرغوا من صنيعهم أمر عمرو بن العاص بطعام .

فصْنَعْ لَهُ ، وَأْمُرْهُمْ أَنْ يَحْضُرُوا لِذَلِكَ ، فَصْنَعَ لَهُمُ الثَّرِيدَ وَالْعُرَاقَ ^(١) ، وَأْمَرَ أَصْحَابَهُ
بِلِبَاسِ الْأَكْبِيَةِ وَاشْتَمَالَ الصَّمَاءَ ^(٢) وَالْقَعُودَ عَلَى الرُّكْبِ .

فَلَمَّا حَضَرَتِ الرُّومُ وَضَعُوا كِرَاسِيَّ الدِّيْبَاجِ ، فَجَلَسُوا وَجَلَسَتِ الْعَرَبُ إِلَى
جَوَانِبِهِمْ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَرَبِ يَلْتَقِمُ الْأَقْمَةَ الْعَظِيمَةَ مِنَ الثَّرِيدِ ، وَيَنْهَشُ مِنْ
ذَلِكَ اللَّحْمِ ، فَيَتَطَايَرُ عَلَى مَنْ جَنْبِهِ مِنَ الرُّومِ ، فَبَشَعَتِ الرُّومُ بِذَلِكَ ، وَقَالُوا : أَيْنَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا أَنُوتْنَا قَبْلَ ؟ فَقِيلَ لَهُمْ : أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَشُورَةِ ، وَهُؤُلَاءِ
أَصْحَابُ الْحَرْبِ .

وَقَدْ سَمِعْتَ فِي فَتْحِ الْقَصْرِ وَجْهًا غَيْرَ هَذَا .

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ صَالِحٍ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَمْفَرٍ وَعِمَاشٍ



حصن بابليون من الخارج

-
- (١) الثَّرِيدُ مَا يَهْتَمُّ مِنَ الْخُبْزِ وَيَبِلُ ، وَالْعُرَاقُ : جَمْعُ عَرَقٍ ، وَهُوَ الْقُدْرَةُ مِنَ اللَّحْمِ ؟
وَقِيلَ إِنَّ الْعَرَقَ هُوَ الْعَظْمُ بِالْحَمَةِ ، فَإِذَا أُكِلَ لَحْمُهُ فَعُرَاقٌ ، وَقِيلَ كَلَامًا اسْكَلِمْنَا .
- (٢) اشْتَمَالَ الصَّمَاءَ أَنْ يَتَجَنَّبَ الرَّجُلُ بِثَوْبِهِ وَلَا يَرْفَعُ مِنْهُ جَانِبًا ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا الصَّمَاءُ
لِأَنَّهَا إِذَا اشْتَمَلَ بِهَا سَدَ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ الْمَنَافِذَ ، فَيَكُونُ الْكُوبُ كَالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ .

ابن عباس وغيرهما ، يزيد بعضهم على بعض ، أن عمرو بن العاص حصرهم بالقصر
الذى يقال بابلون حينئذ ، وقاتلهم قتالا شديداً ، يصيحهم ويمسيهم .
فلما أبطأ الفتح عليه كتب إلى عمر بن الخطاب يستمدّه ويعلمه ذلك ،
فأمدّه عمر بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل ، وكتب إليه
عمر بن الخطاب :



حصن بابلون من الداخل

إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف منهم رجل مقام
الألف ، الزبير بن السّوّام ، والمقداد بن عمرو ، وعُبادَة بن الصّامت ، ومسلمة بن
مُخَلَّد - وقال آخرون بل خارجة بن مُخَذَّافَة الرابع ، لا يعدّون مسلمة - وقال
عمر بن الخطاب : إن معك اثني عشر ألفاً ، ولا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة .

قال عثمان ، قال ابن وهب ، فحدثني الليث بن سعد قال : بلغني عن كسرى

أنه كان له رجال ، إذا بعث أحدهم في جيش وضع من عدة الجيش الذي كان معه ألفاً مكانه لإجراء ذلك الرجل في الحرب ، وإذا احتاج إلى أحدهم ، فكان في جيش ، فحبسه لحاجته إليه زاده ألف رجل .

قال الليث : فأزلت الذي صنع عمر بن الخطاب في بعثته بالزبير والمقداد ومن بعث معهم نحو ما كان يصنع كسرى .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : كان عمر بن الخطاب قد أشفق على عمرو ، فأرسل الزبير في إمره في اثني عشر ألفاً ، فشهد معه الفتح .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر بن الخطاب بعث الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً .

وقال غير عثمان : فكانوا قد خندقوا حول حصنهم ، وجعلوا للخندق أبواباً ، وجعلوا حسك الحديد مؤتدة بأفنية الأبواب ، وكان عمرو قد قدم الشام في عدة قليلة ، فكان يفرق أصحابه ليرى العدو أنهم أكثر مما هم .

فلما انتهى إلى الخندق نادوه ، أن قد رأينا ما صنعت ، وإنما معك من أصحابك كذا وكذا ، فلم يخطئوا برجل واحد ؛ فأقام عمرو على ذلك أياماً يغدو في السحر ، فيصنف أصحابه على أفواه الخندق ، عليهم السلاح ؛ فبينما هو على ذلك إذ جاءه خبر الزبير بن العوام .

ثم قدم الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً ، فتلقاه عمرو ، ثم أقبلا يسيران ، ثم لم يلبث الزبير أن ركب ، ثم طاف بالخندق ، ثم فرق الرجال حول الخندق . ثم رجع إلى حديث عثمان عن ابن لهيعة قال ، فلما قدم للدرد على عمرو بن العاص ألح على القصر ، ووضع عليه المنجنيق ، وقال عمرو يومئذ :

يَوْمٌ لِهَٰمَدَانَ وَيَوْمٌ لِلصَّدَفِ وَالْمَنْجَنِيْقُ فِي بَلِيٍّ تَخْتَلِفُ
وَعَمْرُو يُرْقِلُ لِأَقْوَالِ الشَّيْخِ الْخَرْفِ^(١)

وكان عمرو إنما يقف تحت راية بلي فيما يزعمون .

وقد كان عمرو بن العاص كما أخبرني شيخ من أهل مصر قد دخل إلى صاحب
الحصن ، فتنافرا في شيء مما هم فيه ، فقال عمرو : أخرج أستشير أصحابي .
وقد كان صاحب الحصن أوصى الذي على الباب إذا مرَّ به عمرو أن يلتقي
عليه صخرة ، فيقتله .

فمرَّ عمرو ، وهو يريد الخروج ، برجل من العرب ، فقال له : قد دخلت
فانظر كيف تخرج .

فرجع عمرو إلى صاحب الحصن ، فقال له : إني أريد أن آتيك بنفر من
أصحابي حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت .

فقال الملقح^(٢) في نفسه : قتل جماعة أحب إلي من قتل واحد .
وأرسل إلى الذي كان أمره بما أمره من قتل عمرو ، ألا تعريض له رجاء .
أن يأتيه بأصحابه ، فيقتلهم ، وخرج عمرو .
هذا أو معناه .

حدثنا عيسى بن حماد قال : لما حصر المسلمون الحصن كان عبادة بن الصامت
في ناحية يصبى وفرسه عنده ، فرآه قوم من الروم ، فخرجوا إليه ، وعليه حليّة وزرّة .
فلما دنوا منه سلّم من صلاته ، ووثب على فرسه ، ثم حمل عليهم ، فلما رأوه
غير مكذّبين عنهم ولّوا راجعين ، وتبعهم ، فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه
بذلك عن طلبهم ، ولا يلتفت إليهم حتى دخلوا الحصن ؛ ورُمى عبادة من فوق

(١) الإرفال : الإسراع في السير .

(٢) الملقح : الرجل الشديد الخليط ، أو هو الرجل من كفار العجم .

الحصن بالحجارة فرجع ، ولم يعرض لشيء مما كانوا طرحوا من متاعهم حتى رجع إلى موضعه الذي كان به ، فاستقبل الصلاة ؛ وخرج الروم إلى متاعهم يجمعونه .
حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا المفضل بن فضالة أخبرنا عياش بن عباس القتيبي عن شبيب بن بختان عن شيبان بن أمية ، عن رؤيف بن ثابت قال . كان أحدنا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ نضو^(١) أخيه على أن يعطيه النصف مما يغنم ، وله النصف ، حتى إن أحدنا ليطير له النصل^(٢) والريش^(٣) والآخر القدح^(٤) ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من استنجى برجيع دابته أو يعظم فإن محمداً منه برى .
قال عياش بن عباس ، وأخبرني شبيب بن بختان عن أبي سالم الجديشي ، أنه سمع عبد الله بن عمرو وهو مرابط حصن بابل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث .

قال عثمان في حديثه . فلما أبطأ الفتح على عمرو بن العاص قال الزبير : إني أهب نفسي لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوضع سُلماً إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ، ثم صعد ، وأمرهم إذا سمعوا تكبيرة أن يجيبوه جميعاً .

قال غير عثمان : فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف ، وتحامل الناس على السلم حتى نهام عمرو خوفاً من أن ينكسر .
قال : ثم رجع إلى حديث عثمان قال : فلما أفتحم الزبير ، وتبعه من تبعه ، وكثير وكثير من معه ، وأجابهم المسلمون من خارج لم يشك أهل الحصن أن العرب

(١) النضو : الدابة التي هزاتها الأسفار .

(٢) نصل : سيف حديد مالم يكن له مقبض ، فإن كان له مقبض فهو السيف ، وقبل لانه النصل هو السهم العريض يكون قريباً من قتر .

(٣) ريش السهم ريشاً ركَّب عليه الريش ليساعد في دفعه .

(٤) القدح هو السهم الذي يرى به من القوس .

قد أفتحوا جميعاً ، فهربوا ، فعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ، ففتحوه ،
وأفتحهم المسلمون الحصن .

فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه ، فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصالح ،
ودعاه إليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين عن كل رجل منهم ، فأجابته
عمرو إلى ذلك .

حدثنا سعيد بن عفير قال : وصعد مع ابن الزبير الحصن محمد بن مسلمة ،
ومالك بن أبي سلسلة السلمي ، ورجال من بني حرام ؛ وأن شرحبيل بن حبيبة
المُرَادِيّ نصب سُلماً آخر من ناحية الزمارة اليوم ، فصعد عليه ، فكان بين
الزبير وبين شرحبيل شيء على باب أو مدخل ، فكان أن شرحبيل نال من الزبير
بعض ما كره ؛ فبلغ ذلك عمرو بن العاص ، فقال له : استعِدْ منه إن شئت .

فقال الزبير : أَمِنْ نَفَقَةٍ^(١) من نَفَقِ اليمن استعيد يا ابن النابغة ! ؟

وكانت صفة الزبير بن العوام ، كما حدثنا هشام بن اسحاق فيما يزعمون ، أبيض ،
حسن القامة ، ليس بالطويل ، قليل شعر اللحية ، أَهْلَبُ^(٢) ، كثير شعر الجسد .
وكان مكثهم كما حدثنا عثمان بن صالح عن عبد الله بن وهب عن الليث على
باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر ؛ وقد سمعت في فتح القصر وجهاً مخالفاً
للحديثين جميعاً ، والله أعلم .

حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنا خالد بن نجيح عن يحيى بن أيوب وخالد
ابن الحيد قالا : حدثنا خالد بن يزيد عن جماعة من التابعين ، بعضهم يزيد على
بعض ، أن المسلمين لما حاصروا بابليون ، وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط
ورؤسائهم وعليهم المقوقس^(٣) ، فقاتلهم بها شهراً .

(١) النفق : دود يسقط من أنوف الغنم والإبل ، والعرب تقول لكل ذليل وحفير
ما هو إلا نفقة .

(٢) الأهلِبُ : كثير شعر الرأس والجسد .

(٣) في هامش نسخة ١ : يقال إن المقوقس اسمه جريج بن مينا بن قرقب ، وهو
عامل هرقل على مصر ، وكان مقامه بالاسكندرية .

فلما رأى القوم الجِدَّ منهم على فتحه ، والحرص ، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم ، ففتحى المقوقس وجاعة من أكابر القبط ، وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جاعة يقانلون العرب فلاحقوا بالجزيرة^(١) موضع الصناعة اليوم ، وأمروا بقطع الجسر ، وذلك فى جرى النيل .^(٢) وزعم بعض مشائخ أهل مصر أن الأعيرج^(٣) كان تخلف فى الحصن بعد المقوقس ، فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف ، وكانت سفنهم ماصقة بالحصن ، ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص ، أنتم قوم قد ولجتم فى بلادنا وألحجتم على قتالنا ، وطال مقامكم فى أرضنا ، وإنما أنتم عصابة بسيرة وقد أظلتكم الروم ، وجهزوا إليكم ، ومعهم من العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم اسارى فى أيدينا ، فابعثوا إلينا رجالا منكم تسمع من كلامهم ، فلمله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تهيجون ونحب ، ويتقطع عنا وعكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا يبقينا الكلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفا لطلبكم ورجائكم ، فابعث إلينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى به نحن وهم من شئ .

(١) هى جزيرة الروضة .

(٢) لقد أدى صبر العرب وشدة بأسهم فى القتال إلى خور فى هزيمة من بالحصن واختلاف فى ربهيم ، فجمع المقوقس (قيس) من وثق بهم من الخرس ، ودعا معهم الأسقف اللبكي ، واستشارهم سرا فى الأمر ، وبسط لهم رايه ، وكان ذلك فى أوائل شهر أكتوبر سنة ٦٤٠ ، أن يبعدوا العرب عن البلاد بحال يبذلونه لهم ، واستقر رأى المجتمعين على أن يذهب قيس وأنحابة تحت ستار الليل إلى جزيرة الروضة ، وتم الأمر فى كتمان ، ففتح الباب المديدى المفضى إلى النيل ، واستقل الخارجون السفن من هناك ، ونزلوا فى الموضع الذى أنشئت فيه دار الصناعة فيما بعد بجزيرة الروضة .

(٣) فى هامش نسخة ١ : الأعيرج يقال له المندفور القبطى ، كان يدير مصر من قبل المقوقس ، وهو جورج قائد حرس الحصن ، وقد بقى فى الحصن حتى يقضى على ما بشاع من خروج قيس .

فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم منذ يومين وليلتين حتى
خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه : أترون أنهم يقتلون الرسل ، ويحبسونهم ،
ويستحلون ذلك في دينهم ؟

ولما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين .

فرد عليهم عمرو مع رسله ، أنه ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال ،
إما أن دخلتم في الإسلام فسكنتم إخواننا ، وكان لكم ما لنا ، وإن أبيتتم فأعطيتم
الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا
وهو خير الحاكمين .

فلما جاءت رسل المقوقس إليه قال لهم : كيف رأيتموهم ؟

قالوا : رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليه
من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب ،
وأكلهم على رُكبهم وأجيرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضعهم .
ولا السيد منهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ،
يفضلون أطرافهم بالماء ، ويتخشعون في صلاتهم .

فقال عند ذلك المقوقس : والذي يُحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال
لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولئن لم تنقتم صلحتهم اليوم وهم
محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكذتهم الأرض وقبوا على الخروج
من موضعهم .

فرد إليهم المقوقس رسله ، وأن ابعثوا إلينا رسلا منكم ، نعاملهم ونقداعى نحن
وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم .

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر ، أحدهم عبادة بن الصديق .

حدثنا سعيد بن عُفير قال : أدرك الإسلام من العرب عشرة نفر ، طول كل رجل منهم عشرة أشبار ، عبادة بن الصامت أحدهم .

ثم رجع إلى حديث عُبَيْن قال : وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم ، والألا يحيبهم إلى شيء يدعو إليه إلا إحدى هذه الثلاث خصال ، فإن أمير المؤمنين قد تقدم إلى في ذلك ، وأمرني ألا أقبل شيئا سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة بن الصامت أسود .

فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة ، فهابه المقوقس لسواده ، فقال :

نَحْوُ عَنِ هَذَا الْأَسْوَد ، وقدموا غيره يكلمني .

فقالوا جميعا : إن هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلمًا ، وهو سيدنا وخيرنا والمُقَدَّم علينا ، وإنما نرجع جميعا إلى قوله ورأيه . وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به ، وأمرنا بالآل نخالف رأيه وقوله .

قال : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم؟ وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم .

قالوا : كلا ، إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعا ، وأفضلنا ساقا وعقلا ورأيا ، وليس يُنْكَرُ السواد فينا .

فقال المقوقس لعبادة : تقدم يا أسود ، وكلمني برفق ، فإنني أهاب سوادك ، وإن اشتد كلامك على ازددت لذلك هيبة .

فتقدم إليه عبادة ، فقال :

« قد سمعت مقالتك ، وإن فيمن خَلَقْتُ من أصحابي ألف رجل أسود ، كلهم أشد سوادا مني وأفطع منظرا ، ولورأيتهم لسكنت أهيب لهم منك لي ،

وأنا قد وليت وأدبر شباني ، وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلوني جميعا ، وكذلك أصحابي ؛ وذلك أنا إنما رغبنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة دنيا ولا طلبا للاستسكان منها ، إلا أن الله قد أحل ذلك لنا وجعل ما غفمنا من ذلك حلالا ، وما يبالي أحدنا ، أكان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يسد بها جوعته ليلته ونهاره ، وشعلة يلتحفها ، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفق في طاعة الله ، واقتصر على هذا الذي بيده ، ويبلغه ما كان في الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء في الآخرة ، وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستر عورته ، وتكون همته وشغله في رضا ربه وجهاد عدوه .

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هيئت منظره ، وإن قوله لأهيب عندي من منظره ، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض ، ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها .

ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت ، فقال : أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمري ما بلغتم إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ، ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدّة ، ما يبالي أحدكم من لقي ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقذارتكم ، وقد أقمت بين أظهرنا أشهرا ، وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقذارتكم ، وقلة ما بأيديكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل

مئتم دینارین ، ولأمرکم مائة دینار ولخلفیتکم ألف دینار ، فتقبضونها .
وتنصرفون إلى بلادکم قبل أن یغشاکم مالا قوام لکم به .

فقال عبادة بن الصامت : یا هذا ، لا تُقرن نفسك ولا أصحابک ، أما ما
تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وکثرتهم ، وإنا لا نقوى علیهم ، فلعمری
ما هذا بالذى تخوفنا به ، ولا بالذى یکسرنا عما نحن فیه ؛ إن کان ما قلتم حقاً ،
فذلك والله أرغب ما یکون فی قتالهم ، وأشد لحرصنا علیهم ، لأن ذلك أعذر لنا
عند ربنا إذا قدمنا علیه ، إن قتلنا من آخرنا کان أمکن لنا فی رضوانه وجنته ،
وما من شیء أقر لأعیننا ، ولا أحب إلینا من ذلك ، وإنا منکم حینئذ لعلی
إحدى الحسینین ، إما أن تعظم لنا بذلك غنیمة الدنيا إن ظفرنا بکم أو غنیمة
الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنها لأحب الخصلتین إلینا بعد الاجتهاد منا ، والله
عز وجل قال لنا فی کتابه « لَمْ مِنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتْنَةً کَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ،
وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ »^(١) وما مِنّا إلا ویدعور به صباحاً ومساءً أن یرزقه الشهادة ،
والأ یردّه . إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا همٌّ فیمّا
خلقه ، وقد استودع کل واحد منا ربه أهله وولده ، وإنما همّنا ما أمامنا .

وأما قولک أنا فی ضیق وشدة من معاشنا وحالنا ، فنحن فی أوسع السعة ، لو
کانت الدنيا کلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن علیه ، فانظر الذى تريد .
فبیّنه لنا ، فليس بیننا و بینکم خصلة تقبلها منك ولا نجیبک إليها إلا خصلة من
ثلاث ، فاختر أيها شئت ، ولا تطمع نفسك فی الباطل ، بذلك أمر فی الأمير ،
وإها أمره . أمیر المؤمنین ، وهو عهد رسول الله صلى الله علیه وسلم من قبل إلینا ،
إما أجبتم إلى الاسلام الذى هو الدین الذى لا یقبل الله غیره ، وهو دین أنبیائه ورسله .
وملائکته ، أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى یدخل فیه ، فإن .

فعل كان له مالنا وعليه ما علينا ، وكان أخانا في دين الله ، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن قتالكم ، ولم نستحل إذاكم ولا التعرض لكم ، فإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، نعمائكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدا ما بيننا وبينكم ، ونقاتل عنكم من نأواكم ، وعرض لكم في شيء من أرضكم وودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم إذا كنتم في ذمتنا ، وكان لكم به عهد علينا ، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا الحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم ، هذا ديننا الذي ندين الله به ، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، فانظروا لأنفسكم .

فقال له المقوقس : هذا مالا يكون أبدا ، ما تريدون إلا أن تتخذونا نكون لكم عبيدا ما كانت الدنيا .

فقال له عبادة بن الصامت : هو ذاك فاختر ما شئت .

فقال له المقوقس : أفلا تجيبوننا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال ؟

فرفع عبادة يديه فقال : لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ، ورب كل شيء ، ما لكم عندنا خصلة غيرها ، فاختروا لأنفسكم .

فالتفت المقوقس عند ذلك لأصحابه فقال : قد فرع القوم ، فأترون ؟

فقالوا : أو يرضى أحد بهذا الذل ، أمّا ما أرادوا من دخولنا في دينهم ، فهذا مالا يكون أبدا ، أن نترك دين المسيح بن مريم وندخل في دين غيره ، لا نعرفه ، وأمّا ما أرادوا أن يسبونا ويجعلونا عبيدا ظلموت أبسر من ذلك ، لو رضوا منا أن نضع لهم ما أعطيناهم مرارا كان أهون علينا .

فقال المقوقس لعبادة : قد أبى القوم ، فأتري ؟ فراجع صاحبك على أن يعطيك في مروتكم هذه ما تمنيتم وتنتصرون .

فقام عباده وأصحابه .

فقال المقوقس عند ذلك لمن حوله : أطيعوني وأجيئوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث ، فوالله مالكم بهم طاقة ، وأن لم تجيئوا إليها طائعين لتجيبتهم إلى ما هو أعظم كارهين .

فقالوا : وأي خصلة نجيبهم إليها ؟

قال : إذا أخبركم ، أما دخولكم في غير دينكم فلا آمركم به ، وأما قتالهم ، فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصيروا صبرهم . ولا بد من الثالثة .

قالوا : أفنكون لهم عبيداً أبداً ؟

قال : نعم ، تكونون عبيداً مسيطرين في بلادكم ، آمنين على أنفسكم وأموالكم . وذرايكم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيداً تباعوا وتمزقوا في البلاد مستعبدين أبداً ، أنتم وأهلوكم وذرايكم .
قالوا : فاموت أهن علينا .

وأمروا بقطع الجسر من القسطنطينية وبالجيزة وبالقصر من جمع القبط والروم جمع كثير ، فألح عليهم المسلمون عند ذلك بالقتال على من في القصر حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم ، فقتل منهم خلق كثير ، وأسّر من أسّر ، وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة ، وصار المسلمون قد أحرق بهم الماء من كل وجه ، لا يقدر أن ينفذوا نحو الصعيد ولا إلى غير ذلك من المدائن والقرى ، والمقوقس يقول : لأصحابه ألم أعلمكم هذا وأخافه عليكم ؟ ما تنتظرون ؟ فوالله لتجيبتهم إلى ما أرادوا طوعاً أو لتجيبتهم إلى ما هو أعظم منه كرهاً ، فأطيعوني من قبل أن تندموا .

فلما رأوا منهم ما رأوا ، وقال لهم المقوقس ما قال أذعنوا بالجزية ، ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه ، وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص :

إني لم أزل حريصاً على إجابتك إلى خصلة من تلك الخصال التي أرسلت إلى بها ، فأبى ذلك على من حضرني من الروم والقبط ؛ فلم يكن لي أن أفئات عليهم في أموالهم ، وقد عرفوا نصحي ولم وحي صلاحهم ، ورجعوا إلى قولي ، فأعطني أماناً اجتمع أنا وأنت في نفر من أصحابي وأنت في نفر من أصحابك ، فإن استقام الأمر بيننا ثم ذلك لنا جميعاً ، وإن لم يتم رجعنا إلى ما كنا عليه .

فاستشار عمرو أصحابه في ذلك ، فقالوا : لا نجيبهم إلى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا ، وتصير الأرض كلها لنا فتيثاً وغنمة ، كما صار لنا القصر وما فيه .

فقال عمرو : قد علمتم ما عهد إلى أمير المؤمنين في عهده ، فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد إلى فيها أجبتهم إليها ، وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم .

فاجتمعوا على عهد بينهم ، واصطلحوا على أن يُفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس ، شريفهم ووضيعهم ، من بلغ الحلم منهم ، ليس على الشيخ الفاني ، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ، ولا النساء شيء . وعلى أن المسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا ، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم ، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يُعرض لهم في شيء منها .

فشرط هذا كله على القبط خاصة ، وحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض عليه الديناران ، رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة ، فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر ، أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا ورفعوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس ، فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمي قال : لما فتح عمرو بن العاص مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحكم إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي ، فأحصوا بذلك على دينارين ، فبلغت عدتهم ثمانية ألف ألف .

قال : وحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب أن المقوقس صالح عمرو بن العاص على أن يفرض على القبط دينارين على كل رجل منهم .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخاله بن حميد قال : وشرط المقوقس للروم أن يخيروا ، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازماً له مفترضاً عليه ممن أقام بالاسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج ، وعلى المقوقس الخيار في أن الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل^(١) ، فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم ؛ وإلا كانوا جميعاً على ما كانوا عليه .

وكتبوا به كتاباً .

وكتب المقوقس إلى ملك الروم كتاباً يعلمه على وجه الأمر كله ، فكتب إليه ملك الروم يقترح رأيه ويمجّزه ويرد عليه فعله ، ويقول في كتابه :

« إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفاً وبمصر من بها من كثرة عدد القبط مالا يحصى ، فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب ، واختاروهم علينا فإن عندك بمصر من الروم بالإسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف ، معهم العدة والقوة ، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت ، فمعجرت عن

(١) أخذ قيس على نفسه أن يبعث بشروط الصلح إلى هرقل ، وافق الروم والعرب على أن تبقى الجيوش حيث هي إلى أن يأتي رد هرقل .

نقتالهم ، ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم في حال القبط أذلاء ،
ألا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظهر عليهم ؟ فإنهم فيكم
على قدر كبريتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة ، فناهضهم القتال ،
ولا يكون لك رأى غير ذلك .

وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا إلى جماعة الروم .

فقال المقوقس لما أتاه كتاب ملك الروم : والله إسم على قتالهم وضعفهم أقوى
وأشد منا على كبرتنا وقوتنا ، إن الرجل الواحد منهم ليعادل مائة رجل منا ،
وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، يقاتل الرجل منهم وهو مستقيم
يتمنى ألا يرجع إلى أهله ولا بلده ، ويرون أن لهم أجرا عظيما فيمن قتلوا منا ؛
ويقولون إسم إن قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة إلا قدر مبلغه
العيش من الطعام واللباس ، ونحن قوم نكره الموت ومحب الحياة ولذتها ، فكيف
نستقيم نحن وهؤلاء ؟ وكيف صبرنا معهم ؟ واعلموا معشر الروم ، والله إني لأخرج
بما دخلت فيه ولا بما صالحت العرب عليه ، وإني لأعلم أنكم سترجعون غدا إلى رأيي
وقولي ، وتتمنون أن لو كنتم أطعموني ، وذلك أني قد عانيت ورأيت وعرفت
ما لم يعاين الملك ، ولم يره ، ولم يعرفه ؛ ونحكم ، أما يرضى أحدكم أن يكون آمنا
في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة ؟ .

ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص فقال له : إن الملك قد كره ما فعلت
وعجزتني ، وكتب إلى وإلى جماعة الروم ألا يرضى بمصالحتك ، وأمرهم بقتالك
حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ، ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقبتك
عليه ، وإنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني ، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ،
ولم يأت من قبلهم نقض ، وأنا متم لك على نفسي ، والقبط متمون لك الصلح
الذي صالحتهم عليه ، وعاهدتهم ؛ وأما الروم فأنا منهم برىء ، وأنا أطلب إليك
أن تعطيني ثلاث خصال .

قال له عمرو : ما هن ؟

قال : لا تنقض بالقبط ، وأدخلني معهم ، وألزمني ما لزمهم ، وقد اجتمعت كلتي وكلهم على ما عاهدتك عليه ، فهم متمون لك على ما تحب ؛ وأما الثانية إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فينا وعبيداً ، فإنهم أهل ذلك ، لأنني نصحتهم ، فاستغشوني ، ونظرت لهم ، فاتهموني ؛ وأما الثالثة أطلب إليك أن أنابت أن تأمرهم يدفنوني في أبي يُحَنَس بالإسكندرية .

فأنعم له عمرو بن العاص بذلك ، وأجابه إلى ما طلب على أن يضمّنوا له الجسرَين جميعاً ، ويقيموا له الإنزال والضيافة والأسواق والجسور ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية ، ففعلوا .

وقال غير عثمان : وصارت لهم القبط أعوانا كما جاء في الحديث .

ويقال : إن المقوقس إنما صالح عمرو بن العاص على الروم وهو مُحاصر الإسكندرية .

حدثنا يحيى بن خالد العدوي عن الليث بن سعد أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية حاصراً أهلها ثلاثة أشهر ، وألح عليهم ، وخافوه ، وسأله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على أن يستقنظر رأى الملك .

قال : فحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب أن المقوقس الرومي الذي كان ملصكا على مصر صالح عمرو بن العاص على أن يسير من الروم من أراد المسير ، ويقر من أراد الإقامة من الروم على أمر قدسماه ، فيبلغ ذلك هرقل ملك الروم ، فتنسخطه أشد التنسخط ، وأنكره أشد الإنكار ، وبعث الجيوش ، فأغلغوا الإسكندرية وآذنوا عمرو بن العاص بالحرب ، فخرج إليه المقوقس فقال : أسألك ثلاثة ، قال ، ما هن ؟ قال لا تبذل للروم ما بذلت لي ، فإنني قد نصحت لهم ، فاستغشوا

ويقال : بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سُمَيّ في آثارهم ، كما حدثنا
عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب فأدركهم عند
السكوم الذي يقال له كوم شريك ، فقاتلهم شريك ، فهزمهم .

قال غير عبد الملك بن مسلمة ، فلقبهم شريك بكوم شريك ، وكان على
مقدمة عمرو بن العاص ، بترنوط ، فأجأوه إلى السكوم ، فاعتصم به ، وأحاطت
الروم به .

فلما رأى ذلك شريك بن سُمَيّ أمر أبا نائمة ، مالك بن ناعمة الصدقي^(١) .
وهو صاحب الفرس الأشقر الذي يقال له أشقر صدف ، وكان لا يجارى سرعة ،
فانحط عليهم من السكوم ، وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى عمراً ، فأخبره ،
فأقبل عمرو متوجها نحوه وسمعت به الروم ، فأنصرفت .

وبالفرس الأشقر سميت خوخة الأشقر التي بمصر ، وذلك أن الفرس نفق ،
فدفنه صاحبه هنالك ، فسمى المكان به .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حنيد قال : ثم ألتقوا
بسلطيس^(٢) ، فافتتلوا بها قتالا شديدا ، ثم هزمهم الله ، ثم ألتقوا بالكرثيون^(٣)

(١) في نسخة م زيادة على الهامش ، أن يذهب إلى عمرو فيخبره .
(٢) سلطيس ، كذا في الأصل ، وصواب الاسم سنطيس ، قرية كبيرة في نحو منتصف
المسافة بين كوم شريك وكرثيون ، على ستة أميال في جنوب دمنهور ، وكانت الوقعة عندها وقعة
شديدة انهزم فيها الروم ، وتدافعوا نحو الشمال إلى الطريق المؤدية إلى الاسكندرية .
(٣) الكريون مدينة قديمة ، زارها ابن حوقل ، وذكر عنها في كتابه ، أنها كانت
في أيامه مدينة عظيمة جميلة على ضفتي ترعة الاسكندرية ، وكان التجار يركبون منها القوارب
إلى القسطنطين في وقت الصيف إذا علا النيل ، وكان في المدينة حاكم تحت لمرته مسلحة من
الفرسان والمشاة ، وكانت مدينة الكريون آخر حصن من سلسلة الحصون الممتدة للروم بين
حصن بابلون والاسكندرية ، وكان لها شأن عظيم في تجارة القمح ، وخطر كبير في الحرب ،
إذ كانت تشرف على التربة التي تمتد عليها الاسكندرية في طعنها ورشائها ، ولكن
حصونها لم تسكن في المنعة على مثل ما كان عليه حصن بابلون أو حصن تقيوس .

فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما . وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة ، وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو .

فحدثنا طلق بن السمح ويحيى بن عبد الله بن بكير قالا : حدثنا ضمام ابن إسماعيل الماعفرى ، حدثنا أبو قبيل عن عبد الله بن عمرو ، أنه لقي العدو بالكريون ، وكان على المقدمة ، وحامل اللواء وردان مولى عمرو ، فأصاب عبد الله بن عمرو جراحات كثيرة ، فقال : يا وردان ، لو تهمرت قليلا نصيب الروح ؛ فقال وردان : الروح تريد ؟ أملك وليس هو خلفك .

فتقدم عبد الله ، فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه ، فقال عبد الله : أَقُولُ إِذَا مَا جَاشَتِ النَّفْسُ اصْبِرْ فَعَمَّا قَلِيلٍ تُحَمِّدِي أَوْ تُتَلَامِي^(١) فرجع الرسول إلى عمرو ، وأخبره بما قال ، فقال عمرو : هو ابني حقا . حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو ابن العاص صلى يومئذ صلاة الخوف^(٢) .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم والنضر بن عبد الجبار قالا : حدثنا ابن لهيعة عن بكر بن سواده ، أن شيخا حدثهم أنه صلى صلاة الخوف بالاسكندرية مع عمرو بن العاص بكل طائفة ركعة وسجدتين .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : ثم فتح الله المسلمين ، وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة ، واتبعوهم حتى بلغوا الإسكندرية ، فتحصن بها الروم ، وكانت عليهم حصون مبنية لا ترام ، حصن دون حصن ،

(١) ويرى البيت :

أقول لها إذا جشأت وجاشت رويدك تحمدي أو تستريحي
وقال له عمرو بن الإطناية (خطط القوزي) .

(٢) في نسخة د زيادة : قال ، صلى عمرو يومئذ صلاة الخوف بكل طائفة ، ركعة

وسجدتين .

فنزّل المسلمون ما بين حلوة إلى قصر فارس^(١) إلى ما وراء ذلك ومعهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة .

قال : فحدثنا هاني بن المتوكل ، حدثنا ابن لهيعة عن بكر بن عمرو الخولاني ، أن عبد العزيز بن مروان حين قدم الاسكندرية سأل عن فتحها ، فقبل له : لم يبق ممن أدرك فتحها إلا شيخ كبير من الروم ، فأمرهم ، فأثوبه به ، فسأله عما حضر من فتح الاسكندرية .

فقال : كنت غلاما شابا ، وكان لي صاحب ابن بطريق من بطارقة الروم ، فأتاني ، فقال ، ألا تذهب بنا حتى تنظر إلى هؤلاء العرب الذين يقاتلوننا ؟ فلبس ثياب ديباج ، وعصابة ذهب ، وسيفا محلى ، وركب برذونا سمينا كثير اللحم ، وركبت أنا برذونا خفيفا ، فخرجنا من الحصون كلها حتى برزنا على شرف ، فرأينا قوما في خيام ، لهم عند كل خيمة فرس مربوط ورمح مركوز ، ورأينا قوما ضعفاء ، فصعجنا من ضعفهم ، وقلنا كيف بلغ هؤلاء القوم ما بلغوا ؟ فبينما نحن وقوف ننظر إليهم ونعجب إذ خرج رجل منهم من بعض تلك الخيام ، فنظر ، فلما رآنا حل فرسه ، فمعه^(٢) ، ثم مسحه ، ووثب على ظهره وهو عري ، وأخذ الرمح بيده ، وأقبل نحونا ، فقلت لصاحبي ، هذا والله يريدنا .

فلما رأيناه مقبلا إلينا لا يريد غيرنا أدبرنا مولين نحو الحصن ، وأخذ في طلبنا ، فلحق صاحبي لأن برذونه كان ثقيلا كثير اللحم ، فطعنه برمح ، فصرعه ، ثم خضعض الرمح في جوفه حتى قتله .

ثم أقبل في طلبي ، وبادرت ، وكان برذوني خفيف اللحم ، فنجوت منه حتى دخلت الحصن ؛ فلما دخلت الحصن أمنت ، فصعدت على سور الحصن

(١) قصر فارس قلعة كانت في شرق الإسكندرية ، وقد بناها الفرس عند حصارهم لها .

(٢) معه أي دلكه دلكا شديدا .

أنظر إليه ، فإذا هو لما أيس منى رجع ، فلم يبال بصاحبى الذى قتله ، ولم يرغب فى سلبه ، ولم ينزعه عنه ، وقد كان سلبه ثياب الديباج وعصابة من ذهب ولم يطلب دابته ، ولم ياتفت إلى شىء من ذلك ، وانصرف من طريق أخرى ، وأنا أنظر إليه . وأسمعه يتكلم بكلام . ويرفع به صوته . فظننت أنه إنما يقرأ بقرآن العرب ، فعرفت عند ذلك أنهم إنما قووا على ما قووا عليه . وظهروا على البلاد لأنهم لا يطلبون الدنيا ولا يرغبون فى شىء منها . حتى بلغ خيمته ، فنزل عن فرسه . فربطه . وركز رحله . ودخل خيمته . ولم يعلم بذلك أحداً من أصحابه . فقال عبد العزيز : صف لى ذلك الرجل وهيئته وحالته .

فقال نعم . هو قليل دميم . ليس بالتام من الرجال فى قامته ، ولا فى لجه . رقيق آدم كوسج^(١) .

فقال : عبد العزيز عند ذلك : إنه ليصف صفة رجل يمانى .

قال : وحدثنا هانىء بن المتوكل حدثنا محمد بن يحيى الاسكندرانى قال : نزل عمرو بن العاص بحلوة ، فأقام بها شهرين ، ثم تحول إلى المقدس^(٢) فأخرجت عليه الخليل من ناحية البحيرة مستترة بالحصن ، فواقعه ، فقتل من المسلمين المسلمين يومئذ بكفيسة الذهب اثنى عشر رجلاً .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : ورسل ملك الروم تختلف إلى الإسكندرية فى المراكب بمادة الروم ، وكان ملك الروم يقول : لئن ظهرت العرب على الإسكندرية إن ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم ،

(١) الكوسج : الرجل لا شعر على عارضيه ، لفظ معرب .

٢٢ حلوة : موضع كان فى الجهة الشرقية من الاسكندرية .

(٢) المقدس : هى قرية أم دفين على شاطئ النيل تجاه مصر (راجع الحفاظ المقرزية حل ١٢١ ج ٢) ، وتصور هذه الرواية رغبة عمرو فى القبول الى حصن بابلون ليعلم أهل الدلتا بقربه ويشعروهم شوكته بعد أن عز عليه اقتحام أسوار الإسكندرية ، وقد ترك أمامها جيشاً كافياً للرباط .

لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية ، ولما كان عيد الروم
بالإسكندرية حيث غلبت العرب على الشام قال الملك : لئن غلبونا على الإسكندرية
لقد هلك الروم وانقطع ملكهم ، فأمر بجهازه ومصلحته لخروجه إلى الإسكندرية
حتى يباشر قتالها بنفسه إعظاماً لها ، وأمر ألا يتخلف عنه أحد من الروم ، وقال
ما بقاء الروم بعد الإسكندرية .

فلما فرغ من جهازه صرعه الله ، فأماته ، وكفى الله المسلمين مؤنته ، وكان
موته في سنة تسع عشرة ، فكسر الله بموته شوكة الروم ، فرجع جمع كثير ممن
كان قد توجه إلى الإسكندرية .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : مات هرقل
في سنة عشرين^(١) ، وفيما فتحت قيسارية الشام^(٢) .

قال : ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : واستأسدت
العرب عند ذلك ، وألحت بالقتال على أهل الإسكندرية فقاتلهم قتالاً شديداً .

حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب
قال : خرج طرف من الروم من باب حصن الإسكندرية ، فحملوا على الناس
فقتلوا رجلاً من مَهْرَة ، فاحتزوا رأسه ، فجعل المهريون يتغضبون ويقولون :
لا تدفنه أبداً إلا برأسه ؛ فقال عمرو بن العاص : تتغضبون كأنكم تتغضبون
على من يبالي بغضبكم ، احموا على القوم إذا خرجوا ، فاقتلوا منهم رجلاً ، ثم
أرموا برأسه يرموكم برأس صاحبكم ؛ فخرجت الروم إليهم ، فاقتتلوا ، فقتل من
الروم رجل من بطارتهم ، فاحتزوا رأسه ، فرموا إلى الروم ، فرمت الروم ،

(١) كان موت هرقل يوم الأحد ١١ من فبراير سنة ٦٤١ م .

(٢) قيسارية الشام : بلد على ساحل بحر الشام تمتد في أعمال فلسطين . وكانت قديماً
من أمهات المدن .

فخرجت الروم إليهم ، فافتتلوا ، فقتل من الروم رجل من بطارتهم ، فاحتزوا رأسه ، فرموا به إلى الروم ، فرمت الروم برأس المهرى إليهم .

فقال : دونكم الآن ، فادفنوا صاحبكم .

وكان عمرو بن العاص كما حدثنا عبد الملك بن مسleme عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد يقول ، ثلاث قبائل من مصر ، أما مهرة فقوم يقتلون ولا يُقتلون ، وأما غافق فقوم يقتلون ، وأما بلي فأكثرها رجلا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارسا .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ضمام بن اسماعيل ، حدثنا عياش بن عباس أنه قال : لما حاصر المسلمون الاسكندرية قال لهم صاحب المقدمة ، لا تعجلوا حتى آمركم برأى ؛ فلما فتح الباب دخل رجلان ، فقتلا ، فبكى صاحب المقدمة ، فقيل له لم بكيت وهما شهيدان ؟ قال ، ليت أنهما شهيدان ، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل الجنة عاص ، وقد أمرت ألا يدخلوا حتى يأتينهم رأى ، فدخلوا بغير أذن .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا الليث بن سعد عن موسى بن علي أن رجلا قال لعمرو بن العاص : لو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم منه حائطهم ، فقال عمرو . أنستطيع أن تنفي مقامك من الصف ؟

قال الليث : وقيل لعمرو ، إن العدو قد غشوك ، ونحن نخاف على رائطة ، يريدون امرأته .

قال : إذن ^(١) تجدون رباطا كثيرة .

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال ، حدثني خالد بن نجيح قال ،

(١) في الأصل إذا .

أخبرني الثقة أن عمرو بن العاص قاتل الروم بالأسكندرية يوما من الأيام قتالا شديدا ؛ فلما استعجز القتال بينهم بارز رجل من الروم مسلة بن مغلد ، فصرعه الرومي وألقاه عن فرسه ، وهوى إليه ، ليقتله حتى حماه رجل من أصحابه ؛ وكان مسلة لا يقام لسبيله ، ولستها مقادير ، ففرجت بذلك الروم ، وشق ذلك على المسلمين ، وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلة [عظيم] اللحم ، ثقیل البدن . فقال عمرو بن العاص عند ذلك : ما بال الرجل المسته الذي يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم ؟

فغضب من ذلك مسلة ، ولم يراجعه .

ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الإسكندرية ، فقاتلتهم العرب في الحصن ، ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن إلا أربعة نفر . بقوا في الحصن ، وأغلقوا عليهم باب الحصن ، أحدهم عمرو بن العاص ، والآخر مسلة بن مغلد ، ولم تحفظ الآخرين ، وحالوا بينهم وبين أصحابهم ، ولا تدرى الروم من هم ؟ . فلما رأى ذلك عمرو بن العاص وأصحابه التجأوا إلى ديماس من حماماتهم ، فدخلوا فيه ، فاحترزوا به ، فأمروا روميا أن يكلمهم بالعربية ، فقال لهم : إنكم قد صرتم بأبدننا أسارى ، فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم ، فامتنعوا عليهم ؛ ثم قال : إن في أيدي أصحابكم منا رجلا أسروهم ونحن نعطيكم العهود ، نفادى بكم أصحابنا ، ولا تقتلكم ، فأبوا عليهم .

فلما رأى ذلك الرومي منهم قال لهم : هل لكم إلى خصلة ، وهي نصف فيما بيننا وبينكم ، أن تعطونا العهد ونعطيكم مثله على أن يبرز منكم رجل ، ومنارجل ، فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا ، وأمكنتمونا من أنفسكم ، وإن غلب صاحبكم صاحبنا خلتنا سبيلكم إلى أصحابكم ، فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه ، وعمرو ومسلة وصاحباهما في الحصن في الديماس .

فتداعوا إلى البراز ، فبرز رجل من الروم قد وثقت الروم بنجدته وشدته ،
وقالوا : يبرز رجل منكم لصاحبنا .

فأراد عمرو أن يبرز ، فمنعه مسلمة ، وقال : ما هذا ؟ تخطيء مرتين ، تشد من
أصحابك وأنت أمير ، وإنما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك ، لا يدرون ما أمرك ،
ثم لا ترضى حتى تبارز وتعرض للقتل ، فإن قتلت كان ذلك بلاء على أصحابك ،
مكانك ، وأنا أ كفيك إن شاء الله تعالى .

فقال عمرو : دونك ، فرما فرجها الله بك .

فبرز مسلمة والرومي ، فتجاولا ساعة ، ثم أعانه الله عليه ، فقتله ، فكبر مسلمة
وأصحابه ، ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ، ففتحوا لهم باب الحصن ، فخرجوا ،
ولا تدري الروم أن أمير القوم فيهم ، حتى بلغهم بعد ذلك ، فأسفوا على ذلك ،
وأكلوا أيديهم تغنيظاً على ما فاتهم .

فلما خرجوا استعدى عمرو بما كان قال لمسلمة حين غضب ، فقال عمرو
عند ذلك :

— استغفر لي ما كنت قلت لك . .

فاستغفر له .

وقال عمرو : ما أخشيت قط إلا ثلاث مرات ، مرتين في الجاهلية ، وهذه
الثالثة ، وما منهن مرة إلا وقد ندمت واستحييت ، وما استحييت من واحدة
منهن أشد مما استحييت مما قلت لك ، والله إنى لأرجو ألا أعود إلى الرابعة ما بقيت .
قال : ثم رجع إلى حديث عثمان عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال :
أقام عمرو بن العاص محاصراً الاسكندرية أشهراً ، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب
قال : ما أبطأوا في فتحها إلا لما أحدثوا .

حدثنا يحيى بن خالد عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص :
أما بعد ، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، إنكم تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نيّاتهم ، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر ، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف إلا أن يكون غيرهم ما غير غيرهم ، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغهم في الصبر والنيّة ، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس ، وأمر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت الإجابة ، وليعجّ الناس إلى الله ويسألوه النصر على عدوه .

فلما أتى عمر أ الكتاب جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر ، ثم دعا أولئك نفر ، فقدّمهم أمام الناس ، وأمر الناس أن يتطهّروا ويصّلوا ركعتين ، ثم برغبوا إلى الله عز وجل ، ويسألوه النصر . ففعلوا ، ففتح الله عليهم .
ويقال : إن عمرو بن العاص استشار مسleme بن مخنف كما حدثنا عثمان بن صالح عن حدثه قال : أشر على في قتال هؤلاء .

فقال له مسleme : أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقد له على الناس ، فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيك .

قال عمرو : ومن ذلك ؟

قال : عبادة بن الصامت .

قال : فدعا عمرو عبادة ، فأتاه ، وهو راكب على فرسه ؛ فلما دنا منه أراد النزول ، فقال له عمرو :

— عزمت عليك إن نزلت ناولني سنان رُمحك .

فناولوه إياه ، فبرز عمرو عمامته عن رأسه وعقد له وولاه قتال الروم .

فتقدم عبادة مكانه ، فصاف الروم ، وقائلهم ، ففتح الله على يديه الإسكندرية من يومه ذلك .

حدثني أبي عبد الله بن عبد الحكم قال : لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الإسكندرية استلقى على ظهره ، ثم جلس فقال : إني فسكرت في هذا الأمر فإذا هو لا يصلح آخره إلا من أصلح أوله ، يريد الأنصار ؛ فدعا بعبادة بن الصامت ، فعقد له ، ففتح الله على يديه الإسكندرية في يومه ذلك .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخاله بن حميد قال : حاصروا الإسكندرية تسعة أشهر بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلك ، وفتحت يوم الجمعة لمسهل الحرم سنة عشرين^(١) .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن بكير بن عبد الله عن بُسر بن سعيد عن جنادة بن أبي أمية قال : دعاني عبادة بن الصامت يوم الاسكندرية ، وكان على قتالها ، فأغار العدو على طائفة من الناس ولم يأذن لهم

(١) كان فتح الإسكندرية الأول صلحاً ثم بين عمرو بن العاص وقيس بعد عودته من المنفى عقب موت هرقل ، وذلك في يوم ٨ من شهر نوفمبر سنة ٦٤١ ، وقد اختلفت الروايات في ذكر شروط هذا الصلح ، ولكن حنا التقيوشى أوردتها في كتابه ، وهي :

- (أ) أن يدفع الجزية كل من دخل في العقد .
- (ب) أن يبقى العرب في مواضعهم مدة الهدنة ، وأن يكف الروم عن القتال .
- (ج) أن ترحل مملكة الإسكندرية في البحر .
- (د) أن يبيت الروم من قبلهم رهائن (١٥٠ جندياً + ٥٠ مدنياً) ضماناً لإنفاذ العقد .
- (هـ) أن تعقد هدنة لمدة أحد عشر شهراً تنتهي في سبتمبر سنة ٦٤٢ .
- (و) ألا يعود جيش من الروم إلى مصر .
- (ز) أن يباح لليهود الإقامة في الإسكندرية .

بقتالهم ، فسمعنى ، فبعضنى أخرجزُ بينهم ، فأتيتُهم ، فحجرت بينهم ، ثم رجعت
إليه ، فقال : أقتل أحد من الناس هنالك ؟
فقلت : لا .

قال : الحمد لله الذى لم يُقتل أحد منهم عاصيا .
قال : وحدثنا عبد الملك بن مسلمة عن مالك بن أنس ، أن مصر فتحت
سنة عشرين .

قال . فلما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية كما حدثنا عبد الله
ابن صالح عن الليث ، وهرب الروم فى البر والبحر خلف عمرو بن العاص
بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ، ومضى عمرو ومن معه فى طلب من هرب
من الروم فى البحر إلى الاسكندرية ، فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من
هرب منهم .

و بلغ ذلك عمرو بن العاص فكرر راجعا ، ففتحها وأقام بها ، وكتب إلى
عمر بن الخطاب : إن الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة بغير عقد ولا عهد .
فكتب إليه عمر بن الخطاب يفتح رأيه ، ويأسره ألا يجاوزها .
قال ابن لميعة . وهو فتح الاسكندرية الثانى .

وكان سبب فتحها هذا كما حدثنا إبراهيم بن سعيد البلوى أن رجلا يقال
له ابن بَسَّامة كان بوابا ، فسأل عمرو بن العاص أن يؤمنه على نفسه وأرضه وأهل
بيته ، ويفتح له الباب .

فأجابه عمرو إلى ذلك ، ففتح ابن بَسَّامة الباب ، فدخل عمرو ، وكان مدخله
هذا من ناحية القنطرة التى يقال لها قنطرة سليمان ، وكان مدخل عمرو بن العاص
الأول من باب المدينة الذى من ناحية كنيسة الذهب .

وقد بقى لابن بسامة عقب بالإسكندرية إلى اليوم^(١).

حدثنا هانيء بن المتوكل ، حدثنا ضمام بن إسماعيل المعاقرى قال . قُتل من المسلمين من حين كان من أمر الإسكندرية ما كان إلى أن فتحت اثنان وعشرون رجلا ، وبث عمرو بن العاص كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة معاوية بن حُديج وافداً إلى عمر بن الخطاب بشيراً بالفتح ، فقال له معاوية : ألا تسكتب معي ؟ فقال له عمرو : وما أصنع بالكتابة ألت رجلاً عربياً ، تبلغ الرسالة ، وما رأيت وحضرت ؟

فلما قدم على عمر أخبره بفتح الإسكندرية ، فخرّ عمر ساجداً ، وقال : الحمد لله .

وحدثنا عبد الله يزيد المقرئ ، حدثنا موسى بن عُلَيّ عن أبيه أنه سمعه يقول : سمعت معاوية بن حُديج يقول : بعثني عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية ، فقدمت المدينة في الظهيرة ، فأنتخت راحلتى بباب المسجد ، فبينما أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب ، فرأيتني شاحبا على ثياب السفر ، فأتتني ، فقالت :

- من أنت ؟

قال : قلت : أنا معاوية بن حُديج ، رسول عمرو بن العاص .

فانصرفت عني ، ثم أقبلت تشدد ، أسمع خفيف إزارها على ساقها حتى دنت مني فقالت :

- قم فاجب أمير المؤمنين يدعوك .
فنبعتها .

(١) المراد أيام ابن عبد الحكم .

فلما دخلتُ فإذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه بإحدى يديه ، ويشد إزاره
بالأخرى ، فقال :

ما عندك ؟

قلت : خير يا أمير المؤمنين ، ففتح الله الإسكندرية .

فخرج معي إلى المسجد ، فقال للمؤذن :

أذن في الناس ، الصلاة جماعة .

فاجتمع الناس ، ثم قال لي :

... قم فأخبر أصحابك .

فقممت فأخبرتهم .

ثم صلى ، ودخل منزله ، واستقبل القبلة ، فدعا بدعوات ، ثم جلس ، فقال :

— يا جارية ، هل من طعام ؟

فأتت بخزوزيت .

فقال : كل . . .

فأكلت على حياء ؛ ثم قال :

— يا جارية ، هل من تمر ؟

فأتت بتمر في طبق ، فقال : كل .

فأكلت على حياء .

ثم قال : ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد ؟

قال : قلتُ أمير المؤمنين قائل .

قال : بئس ما قلت أوبئس ما ظننت ، لئن نمتُ النهار لأضيّعَ الرعية ، ولئن

نمتُ الليل لأضيّعَ نفسي ، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية ؟

ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك ، كما حدثنا إبراهيم بن سعيد العلوي

إلى عمر بن الخطاب : أما بعد ، فإنني فتحت مدينته لأَصِفُ ما فيها غير أني أصبتُ فيها أربعة آلاف مُنية بأربعة آلاف حَمَام ، وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية ، وأربعائة مَلَكِي للملوك .

قال حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ضمام بن إسماعيل عن أبي قبيل ، أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثني عشر ألف بَقَال ، يبيعون البقل الأخضر .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا ابن مِقْلَاص عن يحيى بن عبد الله ابن داود قال : أراه عن حَيَّوَة بن مُريح ، أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثني عشر ألف بَقَال .

حدثنا هانيء بن المتوكل ، حدثنا محمد بن سعيد الهاشمي قال ، ترحل من الاسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو بن العاص أوفى الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودي .

حدثنا هانيء بن المتوكل عن موسى بن أيوب ورشد بن سعد عن الحسن ابن ثوبان عن حسين بن شَقِيٍّ بن عبيد قال : كان بالأسكندرية فيما أحصى من الحمامات اثنا عشر ديماساً ، أصغر ديماس^(١) منها يسع ألف مجلس ، كل مجلس منها يسع جماعة نفر ، وكان عدة من الاسكندرية من الروم مائتي ألف من الرجال ، فخلق بأرض الروم أهل القوة ، وركبوا السفن ، وكان بها مائة مركب من المراكب السكبار ، فحمل فيها ثلاثون ألفاً مع ما قدزوا عليه من المال والمتاع والأهل ، وبقي من بقي من الأسارى مِمَّنْ بلغ الخراج ، فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان .

فاختلف الناس على عمرو في قسَمهم ، وكان أكثر الناس يريدون قسَمها فقال عمرو :

(١) الديماس هو الحمام .

— لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين .

فكتب إليه يعلمه بفتحها . وشأنها ، ويعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها .
فكتب إليه عمر : لا تقسمها ، وذرم يكون خراجهم فيثا للمسلمين وقوة
لهم على جهاد عدوهم .

فأقرها عمرو ، وأحصى أهلها ، وفرض عليهم الخراج ، فكانت مصر صلح
كلها بفريضة ، دينارين ، دينارين ، على كل رجل ، لا يزداد على أحد منهم في جزية
رأسه أكثر من دينارين ، إلا أنه يُلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع ، إلا
الاسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليتهم ، لأن
الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ، ولم يكن لهم صلح ولا ذمة .

وقد كانت قرية من قرى مصر ، كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد
عن يزيد بن أبي حبيب قاتلت ، فسبوا منها قرية يقال لها بليهب ، وقرية يقال
لها الخليس ، وقرية لها سُلطَيس ، فوقع سبأياهم بالمدينة وغيرها ، فردّهم عمر بن
الخطاب إلى قراهم وصيرهم وجماعة القبط أهل ذمة .

حدثنا عثمان بن صالح أخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر أَسْبَى أَهْلَ
بَلْهَيْب^(١) وَسُلْطَيْسَ وَقَرْطَاسًا^(٢) وَسَخَا ، ففترقوا ، وبلغ أولهم المدينة حين نقضوا .
ثم كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بردّهم ، فردّ من وجد منهم .

حدثنا عبد الملك بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر بن الخطاب
كتب في أهل سلطيس خاصة ، من كان منهم في أيديكم فختيروا بين الإسلام ،
فإن أسلم فهو من المسلمين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، وإن اختار دينه فخلوا بينه

(١) بَلْهَيْب : وردت في معجم البلدان بلهيب ، وفي كتاب المسالك والممالك وفي خطط
المقرئى باسم بلهيت ، وكذلك في قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد ، وهي منية الزناطرة
بالبحيرة ، وعملها اليوم فزارة بمركز المحمودية .

(٢) قَرْطَاسَا : وردت في معجم البلدان أنها من قرى مصر بالحوف الغربى (البحية) .
وقد خربت ولا تزال أطلالها باقية بناحية بسنتاوى بمركز أبي حمس غربى مدينة المحمودية .

ومين قريته ، فكان البلهبي خير يومئذ ، فاختر الإسلام .
ثم رجع إلى حديث عثمان بن يحيى بن أيوب أن أهل سلطيس ومصيل^(١)
وبلهيب ظاهروا الروم على المسلمين في جمع كان لهم ، فلما ظهر عليهم المسلمون .
استحلوم ، وقالوا : هؤلاء لنا فيء مع الاسكندرية .
فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر
ابن الخطاب ، أن تجعل الاسكندرية وهذه ثلاث القريات^(٢) ذمة للمسلمين على
عددهم ، ولا يجعلون فينا ولا عبيدا ؛ ففعلوا ذلك .
ويقال : إنما ردّهم عمر بن الخطاب لمهد كان تقدم لهم .
حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة وابن وهب عن عمرو بن الحارث عن
يزيد بن أبي جبيب عن عوف بن حطان من أنه كان لقريات من مصر ، ومنها^(٣)
أم دنين وبلميب عهد ، وأن عمر لما سمع بذلك كتب إلى عمرو بن العاص يأمره
أن يخبرهم ، فإن دخلوا في الإسلام فذاك ، وإن كرهوا فارددهم إلى قراهم .
قال : وكان من أبناء السُلطيسيات عمران بن عبد الرحمن بن جعفر بن ربيعة
وأم عياض بن عقبة وأبو عبيدة بن عقبة^(٤) ، وأم عون بن خارجة القرشي ، ثم
العدوي ، وأم عبد الرحمن معاوية بن حديج ، وموالى أشراف بعد ذلك وقعوا
عند مروان بن الحكم ، فهم أبان وعنه أبو عياض وعبد الرحمن التباهي .

ذكر من قال إن مصر قد فتحت بصالح

قال ، ثم رجع إلى حديث موسى بن أيوب ، ورشدين بن سعد عن الحسن
ابن ثوبان عن حسين بن شفي أن عمرأ لما فتح الاسكندرية بقي من الأسارى .

(١) وردت في المخطوط القريزية باسم محلة مصيل من أعمال البحيرة ، وهي بالقرب من قرطاسا .

(٢) في الأصل : الثلاث قريات .

(٣) في الأصل : منهم .

(٤) في هامش نسخة ١ واسمه مرة بن عقبة ، قاله ابن يونس ، وهو ابن نافع الفهري .

من الطبقة الثالثة ، وهم التابعون ، مقبول ، وقد مات سنة سبعم ومائة .

بها ممن بلغ الخراج وأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان ، فاختلف الناس على عمرو في قسمهم ، فكان أكثر المسلمين يريدون قسمها ، فقال عمرو : لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين .

فكتب إليه يعلمه بفتحها وشأنها ، وأن المسلمين طلبوا قسمها .

فكتب إليه عمر : لا تقسمها وذّرهم يكون خراجها فينا المسلمين ، وقوة لهم على جهاد عدوهم .

فأقرها عمرو ، وأحصى أهلها ، وفرض عليهم الخراج ، فكانت مصر كلها صلحاً بفریضة ، دينارين على كل رجل لا يزداد على أحد منهم في جزية رأسه أكثر من دينارين إلا أنه يُلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع إلا الاسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يُرى من وليتهم . لأن الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ، ولم يكن لهم صالح ولا ذمة .

حدثنا عثمان ، أخبرنا الليث قال ، كان يزيد بن أبي حبيب يقول : مصر كلها صلح إلا الاسكندرية فإنما فتحت عنوة .

حدثنا عثمان بن صالح عن بكر بن مُضر عن عبيد الله بن أبي جعفر قال : حدثني رجل ممن أدرك عمرو بن العاص قال : للقبط عهد عند فلان ، وعهد عند فلان ، فسَمي ثلاثة نفر .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن أبي جعفر عن شيخ من كبراء الجند أن عهد أهل مصر كان عند كبارهم .

حدثنا هشام بن اسحق العامري عن الليث بن سعد عن عبيد الله بن أبي جعفر قال : سألت شيخاً من القداماء عن فتح مصر فقال :

هاجرنا إلى المدينة أيام عمر بن الخطاب ، وأنا محتمل فشهدت فتح مصر .

قلت له : فإن ناسا يذكرون أنه لم يكن لهم عهد .

فقال : ما يبالي ألا يصلي من قال ، إنه ليس لهم عهد .

فقلت : فهل كان لهم كتاب ؟

فقال : نعم ، كتب ثلاثة ، كتاب عند طائفة صاحب إخنأ^(١) ، وكتاب عند قزمان صاحب رشيد^(٢) ، وكتاب عند يحدس^(٣) صاحب البرلس^(٤) .

قلت : فكيف كان صلحهم ؟

قال : دينارين على كل إنسان جزية ، وأرزاق المسلمين .

قلت : فتعلم ما كان من الشروط ؟

قال : نعم ستة شروط ، لا يُخْرِجُون من ديارهم ، ولا تُنْزَع نساؤهم ، ولا كفورهم ، ولا أرضيهم ، ولا يزداد عليهم .

وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب أنه حدثه عن أبي جُمعة مولى عُقبة قال : كتب عُقبة بن عامر إلى معاوية بن أبي سفيان يسأله أرضاً يسترقق فيها عند قرية عقبة ؛ فكتب له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع ؛ فقال له مولى له كان عنده : أنظر أصلحك الله أرضاً سالحة .

(١) قريه كانت قريبة من البرلس على شاطئ البحر الأبيض ، وقد ذكرها المقرئزي عند الكلام على طرف مما يتعلق بالاسكندرية فقال إن إخنأ حصن على شاطئ البحر الملح .
(٢) رشيد : من البلاد المصرية المشهورة ، وتقع على الضفة الغربية لقرع النيل السمي بها عند مصبه في البحر ، وقد ذكر علماء الأفرنج أنها أخذت في الظهور في خلافة التوكل على الله العباسي سنة ٨٧٠ م ، وقبل حدوثها كان مرسى جميع المراكب مدينة فوة ، ولما تراكمت الرمال في البوغاز تعمس وصول المراكب فوضعت مدينة رشيد .

وقد ذكر العالم دنييل أن مدينة يوليتين القديمة كانت على بعد قليل من رشيد ، ولعل الآثار التي وجدت في رشيد من آثار تلك المدينة الفرعونية التي تكلم عنها استرابون وأنيبي اليرنطلي .

(٣) يوحنا .

(٤) بلدة قديمة على البحر الأبيض تقع على البحيرة المسماة باسمها ، ويذكر مؤرخو الأفرنج أن البرلس كانت خطأ ، وكانت تسمى « بوطو » .

فقال عقبة : ليس لنا ذلك ، إن في عهدهم شروطاً ستة ، ألا يؤخذ من أنفسهم شيء ، ولا من نسائهم ولا من أولادهم ، ولا يزداد عليهم ، ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم ، وأنا شاهد لهم بذلك .

حدثنا عبد الملك بن مسعدة حدثنا ابن وهب عن أبي شريح عن عبيد الله بن أبي جعفر عن أبي جعفر حبيب بن وهب قال : كتب عقبة بن عامر إلى معاوية يسأله ببيعاً في قرية يبنى فيها منازل ومساكن ، فأمر له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع .

فقال له مواله ومن كان عنده : انظر إلى أرض تُعجبك ، فاختر فيها وابتن . فقال : إنه ليس لنا ذلك ، لهم في عهدهم ستة شروط ، منها ألا يؤخذ من أرضهم شيء ، ولا يزداد عليهم ، ولا يكلفوا غير طاقهم ولا يؤخذ ذراتهم ، وأن يقاتل عنهم عدوهم من ورأسهم .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن جعفر عن رجل من كهراء الجند قال : كتب معاوية بن أبي سفيان إلى وردان أن زد على كل رجل منهم قيراطاً .

فكتب وردان إلى معاوية : كيف تزيد عليهم ؟ وفي عهدهم ألا يزداد عليهم شيء .

فعزل معاوية وردان .

ويقال : إن معاوية إنما عزل وردان كما حدثنا سعيد بن عفير أن عتبة بن أبي سفيان وفد إلى معاوية في نفر من أهل مصر ، وكان معاوية ولّى عتبة الحرب ووردان الخراج وحُوَيْث بن زيد الديوان ، فسأل معاوية الوفد عن عتبة ، فقال عبادة بن الصامت المغمفرى : حُوتٌ بحر يا أمير المؤمنين ، وَوَعْلٌ بَرٌّ .

فقال معاوية لعتبة : اسمع ما تقول فيك رعيتك .

فقال : صدقوا يا أمير المؤمنين ، حجبتني عن الخراج ، ولم على حقوق ،
وأكره أن أجلس فأُسأل فلا أفعل ، فأُبخل .
فضم اليه معاوية الخراج .

حدثنا عبد الملك بن مسleme حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وابن
وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن حطان أنه
قال : كان لقريات من مصر ، منها ^(١) أم دُبَيْن وبَلْهَيْب عهد ، وأن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه لما سمع بذلك كتب إلى عمرو بن العاص ، يأمره أن يخرجهم ،
فإن دخلوا في الإسلام فذاك ، وإن كرهوا فارددهم إلى قراهم .

قال : وحدثنا عبد الملك بن مسleme حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب
عن يحيى بن ميمون الحضرمي قال : لما فتح عمر بن العاص مصر صُوِّحَ على
جميع من فيها من الرجال القبط ممن رآه حق الحكم إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم
امرأة ولا صبي ولا شيخ على دينارين دينارين ، فأحصوا لذلك ، فبلغت عدتهم
ثمانية آلاف ألف .

حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب قال . سمعت حَيوة بن شريح قال :
سمعت الحسن بن ثوبان الهمداني يقول ، حدثني هشام بن أبي رُقَيْة اللخمي أن
أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر : إن من كتمني كنزاً عنده
فقدرت عليه قتله .

وأن أَبِطِيًّا من أهل الصميد يقال له بطرس ذكر لعمر بن العاص أنه كنزاً ،
فأرسل إليه ، فسأله فأنكر وجحد ، فحبسه في السجن ، وعمر بن العاص يسأل عنه ، هل
يسمعه . يسأل عن أحد ؟

(١) في الأصل : منهم .

فقالوا : لا ، إنما سمعناه يسأل عن راهب في الطور .
فأرسل عمرو إلى بطرس ، فنزع خاتمه من يده ، ثم كتب إلى ذلك
الراهب ، أن أبعث إلى بما عندك ، وختمه بخاتمه .
فجاءه رسوله بقلعة شامية ، مختومة بالرصاص ، ففتحها عمرو ، فوجد فيها
صحيفة مكتوب فيها ، ما لستم تحت الفسقية الكبيرة .
فأرسل عمرو إلى الفسقية ، فحبس عنها الماء ، ثم قلع البلاط الذي تحتها ، فوجد
فيها اثنين وخمسين إردبا^(١) ذهباً ، مضروبة ، فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد .
فذكر ابن ربيعة أن القبط أخرجوا كنوزهم شفقاً أن يُبغى على أحد منهم ،
فقتلوا كما قُتل بطرس .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن
العاص استحل مال قبطي من قبط مصر ، لأنه استقر عنده أنه يظهر الروم على
عورات المسلمين ، ويكتب إليهم بذلك ، فاستخرج منه بضعة وخمسين إردباً دنانير .
قال : ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : ففتح الله
أرض مصر كلها بصلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهرت الروم على
المسلمين ، فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها ، وقالوا : هؤلاء لنا في الاسكندرية .

فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمرو . ان
تجعل الاسكندرية وهذه ثلاث القريات^(٢) ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ،
ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين ، لا يجعلون فينا ولا عبيداً .
ففعلا ذلك إلى اليوم .

(١) كذا في الأصل ، والرواية غير معقولة .

(٢) وهؤلاء الثلاث قريات كذا في الأصل .

ذكر

من قال فتحت مصر عنوة

وقال آخرون . بل فتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد .

حدثنا عبد الملك بن سلمة وعثمان بن صالح قالا : حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سمع عبيد الله بن المغيرة بن أبي بُردة يقول : سمعت سفيان بن وهب الخولاني يقول : إنا لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوام فقال : أقسمها يا عمرو بن العاص . فقال عمرو : والله لا أقسمها .

فقال الزبير : والله لتقسمنّها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عمرو : والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين .

فكتب إليه عمر : أقرّها حتى يغزو منها حبلُ الحبلّة .

قال ابن لهيعة ، وحدثني يحيى بن ميمون عن عبيد الله بن المغيرة عن سفيان بن وهب بهذا إلا أنه قال : فقال عمرو : لم أكن لأحدث فيها شيئاً حتى أكتب إلى عمر بن الخطاب .

فكتب إليه .

فكتب إليه بهذا .

قال عبد الملك في حديثه : وإن الزبير صوّل على شيء أرضى به .

حدثنا عبد الملك بن سلمة وعثمان بن صالح قالا : حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هُبيرة أن مصر فتحت عنوة .

حدثنا عبد الملك ، حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم .

قال : سمعت أشياخنا يقولون ، إن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

قال ابن أنعم ، منهم أبي يحدثنا عن أبيه ، وكان ممن شهد فتح مصر .

(٩٠ - فتوح مصر)

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن وهب عن ابن أنعم قال : سمعت أشياعنا يقولون ، فتحت مصر عنوة بغير عهد ولا عقد .
حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ، أن مصر فتحت عنوة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قنان أيوب بن أبي العالية عن أبيه ، وأخبرنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهب عن داود بن عبد الله الحضرمي أن أبا قنان حدثه عن أبيه أنه سمع عمرو بن العاص يقول : لقد قدمت مقعدى هذا وما لأحد من قبض مصر على عهد ولا عقد إلا أهل أنطايا^(١) .
فإن لم عهدا يؤفَى لهم به .

قال ابن لهيعة في حديثه : إن شئت قتل ، وإن شئت خست ، وإن شئت [ربت] .

حدثنا عبد الملك بن المسلمة ، حدثنا ابن وهب عن عياض بن عبد الله الفهري عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عقد ولا عهد ، وأن عمر بن الخطاب حبس درّها وصرّها أن يُخرج منه شيء نظراً للإسلام وأهله .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح عن يعقوب ابن مجاهد عن زيد بن أسلم قال : كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد من عاهده ، فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد .
قال عبد الرحمن بن شريح : فلا أدري أعن زيد حدث أم شيء قاله ؛ فن أسلم منهم فائمة^(٢) ، ومن أقام منهم فذمة .

(١) أنطايا أو بنطابولس : وهو الإقليم الذى يلى مصر غرباً من بلاد الدولة الرومانية ويشمل مدناً وقرى بين الإسكندرية وبرقة .

(٢) أى من أمة المسلمين ، وقد جاء فى لسان العرب « قوله فى الحديث أن يهود بنى عوف أمة من المؤمنين يريد أنهم بالصلح الذى وقع بينهم وبين المؤمنين بكجاعة منهم ، كلمتهم وأيديهم واحدة . »

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار وعبد الله بن مسleme قالوا : حدثنا ابن لهيعة عن عبد الملك بن جندة كاتب حيان سُريج ، من أهل مصر من موالى قريش ، قال : كتب حيان إلى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائها .

فسأل عمر عراك بن مالك ، فقال عراك : ما سمعت لهم بعهد ولا عقد ، وإنما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد .

فكتب عمر إلى حيان بن سُريج ، أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم . قال ، سمعت يحيى بن بكير يقول ، خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الإسكندرية في سفينة ، فأحتاج إلى رجل يقدف به ، فسخر رجلا من القبط ، فسكلم في ذلك ، فقال : إنهم بمنزلة العبيد إن احتجنا إليهم .

حدثنا عبد الملك بن سلمة عن ابن لهيعة عن الصلت بن أبي عامر ، أنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن سُريج ، أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن سُريج عن عبيد الله بن أبي جعفر أن كاتب حيان حدثه ، أنه احتجج إلى خشب لصناعة الجزيرة ، فكتب حيان إلى عمر يذكر له ذلك ، وأنه وجد خشباً عند بعض أهل الذمة ، وأنه كره أن يأخذ منهم حتى يعلمه . فكتب إليه عمر : خذها منهم بقيمة عدل ، فإنى لم أجد لأهل مصر عهداً أفي لهم به .

حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا عبد الملك بن مسleme قال ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن سُريج ، أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا يحيى بن أيوب عن عبد الرحمن بن كعب
ابن أبي كلابة أن عمر بن عبد العزيز قال لسالم بن عبد الله : أنت تقول ليس
لأهل مصر عهد ؟ قال : نعم .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن
جده ، أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب في رهبان يترهبون بمصر
فيموت أحدهم وليس له وارث ؛ فكتب إليه عمر ، أن من كان منهم له عقب
فادفع ميراثه إلى عقبه ، ومن لم يكن له عقب فأجعل ماله في بيت مال المسلمين ،
فإن ولاءه للمسلمين .

حدثنا يحيى بن خالد عن رشدين بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن
شهاب أنه قال : كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة ، فجعلها عمر بن
الخطاب رضى الله عنه جميعاً ذمة ، وحملهم على ذلك ؛ فضى ذلك فيهم إلى اليوم .

ذكر

الخطوط (١)

قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الحكم ، حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا
ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية
ورأى بيوتها وبناؤها مفروغا منهاهم أن يسكنها ، وقال : مساكن قد كُفيناها .
فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك ، فسأل عمر الرسول ، هل
يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، إذا جرى النيل .
فكتب عمر إلى عمرو ، إنى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء
بينى وبينهم في شتاء ولا صيف .

(١) جم خلة بمعنى محلة أو بلد .

فتحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى القسطنطينية .

وحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب ،
وحدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب أن
عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمداين كسرى ، وإلى
عامله بالبصرة ، وإلى عمرو بن العاص ، وهو نازل بالإسكندرية ، ألا تجعلوا
بينى وبينكم ماء ، متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قد مت .
فتحول سعد بن أبي وقاص من مداين كسرى إلى الكوفة ؛ وتحول صاحب
البصرة من المكان الذى كان فيه ، فنزل البصرة ؛ وتحول عمرو بن العاص من
الإسكندرية إلى القسطنطينية .

قال : وإنما سميت القسطنطينية كما حدثنا أبو عبد الله بن عبد الحكم وسعيد
ابن غفير ، أن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من
الروم أمر بنزع قسطنطينية فإذا فيه يمام قد فرّخ .

فقال عمرو بن العاص : لقد تحرم منا بتمحرم ، فأمر به ، فأقر كما هو ، وأوصى
به صاحب القصر ؛ فلما قتل المسلمون من الإسكندرية ، فقالوا : أين ننزل ؟
قالوا : القسطنطينية ، لقسطنطينة عمرو الذى كان خلفه ، وكان مضروباً فى موضع الدار
التي تعرف اليوم بدار الحصى ، عند دار عمرو الصغيرة اليوم .

وبنى عمرو بن العاص المسجد كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن الليث
ابن سعد ، وكان ما حوله حدائق وأغنياً ، فنصبوا الجبال حتى استقام لهم ،
ووضعوا أيديهم ، فلم يزل عمرو قائماً حتى وضعوا القبلة ، وأن عمراً وأصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذين وضعوها ؛ واتخذ فيه منبراً ، كما حدثنا عبد الملك بن
مسلمة عن ابن لهيعة عن أبي تميم الجيشاني .

قال : فكتب إليه عمر بن الخطاب ، أما بعد ، فإنه بلغنى أنك اتخذت

منبراً ترقى به على المسلمين ، أو ما يحسبك أن تقوم قائماً ، والمسلمون تحت عقيبك ؟ فعزمت عليك لما كسرتة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير ، أن أبا مسلم الغافقي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤذن لعمر بن العاص ، فرأيت يبيح المسجد .

قال : واختط الناس .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، أخبرنا ابن وهب عن يحيى بن أزهر عن الحجاج بن شداد عن أبي صالح الغفاري قال : كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، إننا قد اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع .

فكتب إليه عمر ، أتى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر ؟ وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين .

قال ابن لميعة : هي دار البركة ؛ فجعلت سوقاً ، فكان يباع فيها الرقيق . هكذا قال ابن لميعة .

قال : وأما الليث بن سعد ، فإن عبد الملك حدثنا عنه أنه دار البركة خطه لعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فسأله إياها عبد العزيز بن مروان ، فوهبها له ، فلم يثبت منها شيئاً .

حدثنا أحمد بن عمرو ، حدثنا ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله قال : شهد عبد الله بن عمر فتح مصر ، واختط فيها دار البركة ، بركة الرقيق . قال ، فوهبها لمعاوية رجاء أن يثيبني منها ، فلم يثيبني منها حتى مات ، فهو في حل^(١) .

(١) في نسخة ١ ، ح : زيادة : قال علي بن الحسن بن قديد ، وحدثناه أحمد بن عمرو .

وكان مَنْ حَفِظَ. من الذين شهدوا فتح مصر من أصحاب^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم من قریش وغيرهم ومن لم يكن له برسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة، كإحدى عبد الملك بن مسلمة، وغير عبد الملك قد ذكر بعض ذلك أيضاً، الزبير ابن العوام، وسعد بن أبي وقاص^(٢)، وعمر بن العاص وهو كان أمير القوم، وعبد الله ابن عمرو، وخارجة بن حذافة العدوي، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وقيس ابن أبي العاص السهمي، والمقداد بن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، ونافع بن عبد القيس القهري^(٣)، وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن عبدة، وعبد الرحمن، وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة، ووردان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص؛ وقد اختلف في سعد ابن أبي وقاص، فقيل إنما دخلها بعد الفتح.

حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن الليث بن سعد أن سعد بن أبي وقاص قدم مصر، وشهد الفتح من الأنصار، عبادة بن الصامت، وقد شهد بدرا وبيعة العقبة؛ ومحمد بن مسلمة الأنصاري وقد شهد بدرا، وهو الذي كان بعثه عمر بن الخطاب إلى مصر، فقام عمرو بن العاص ماله، وهو أحد من صعد الحصن مع الزبير بن العوام، ومسلمة بن مخلد الأنصاري، يقال له صحبة.

(١) الضحاوي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقبه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يفر، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويرى بعض العلماء أنه لا يعد صحابياً إلا من وصف بأحد أوصاف أربعة: من طالت مجالسته، أو حفظت روايته، أو ضبط أنه غزا معه، أو استشهد بين يديه، وكذلك اشترط في صحة الصحبة بلوغ الحلم أو المجالسة ولو قصرت.

(٢) هو سعد بن مالك بن أبي وقاص أحد الذين شهد لهم الرسول بالجنة وأحد العشرة سادات الصحابة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وقد جمع ابن عبد الحكم في هذه الرواية الصحابة وغيرهم.

(٣) كان نافع أخا العاص بن وائل لأمه.

حدثونا عن وكيع ، حدثنا موسى بن عُلَيٍّ عن أبيه قال : سمعت مسلمة بن مخلد يقول : ولدت حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر ، وكان قد ولي البلد في أيام معاوية . وصَدْرَ أَمِنْ خلافة يزيد ، وتوفي مسلمة بمصر سنة اثنتين وستين .

وأبو أيوب الأنصاري ، واسمه خالد بن زيد ، وقد شهد بدرًا وتوفي بالقسطنطينية في سنة خمسين ، وأبو الرداء ، واسمه عُوَيْرٌ ، قال ابن هشام : عُوَيْرٌ بن عامر ويقال عُوَيْرٌ بن زيد .

ومن أفناء القبائل ، أبو بَصْرَةَ الغفاري ، واسمه جَحِيلٌ بن بصرة ، وأبو ذر الغفاري ، واسمه جندب بن جُنَادَةَ ، ويقال بُرَيْرٌ .

قال ابن هشام : سمعت غير واحد من العلماء يقول : أبوذرٌ جندب بن جُنَادَةَ . حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : وكان أبو ذرٍّ ممن شهد الفتح مع عمرو بن العاص .

وهُيَيْبٌ بن مُغْفَلٍ ، ولهم عنه حديث واحد ، وهو حديث ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن أسلم أبا عمران أخبره عن هيب بن مُغْفَلٍ أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من جُرَّه خَيْلَاءٌ — يعني إزاره — وَطِئَهُ فِي النَّارِ » . وإليه ينسب وادي هيب الذي بالمغرب .

وعبد الله بن الحارث بن جزء الزُّبَيْدِيُّ ، وكان اسمه العاص ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

حدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن عبد الله بن بكير قالا : حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزُّبَيْدِيِّ قال : توفي رجل من قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو عند القبر : ما اسمك ؟ فقلت : العاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« العاص ، أنتم عبُد الله ، انزلوا . »

قال : فوارينا صاحبنا ، ثم خرجنا من القبر ، وقد بدلت أسماؤنا .
وكعب بن ضَمَّة العبسي ، ويقال : كعب بن يسار بن ضَمَّة ، وعقبة بن عامر
الْجَهَنِّي ، يَكْنَى أبا حماد ، وهو كان رسول عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص
حين كتب إليه يأمره أن يرجع إن لم يكن قد دخل مصر .

وأبوزَمَّة البلوي ، وِزْح بن حُسْكُل ، وكان ممن قدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مَهْرَة ، وشهد الفتح مع عمرو ، واختط ، هكذا قال ابن عُقَيْر ،
وِزْح بن حُسْكُل ، والمهريُّون يقولون ، وِزْح بن حُسْكُل .

وجنادة بن أبي أمية الأزدي ، وسفيان بن وهب الخولاني ، وله صحبة .

حدثنا عمرو بن سواد ، حدثنا ابن وهب ، حدثني عبد الرحمن بن شريح
قال : سمعت سعيد بن أبي شمر السبائي يقول : سمعت سفيان بن وهب الخولاني
يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تأتي المائة وعلى ظهرها
أحد باقٍ . »

قال : فحدثت بها ابن حُجَّيرة فقام ، فدخل على عبد العزيز بن مروان ، فحُمِلَ -
سفيان وهو شيخ كبير ، حتى أدخل على عبد العزيز بن مروان ، فسأله عن الحديث
فحدثه ، فقال عبد العزيز ، فلمله يعني ، لا يبق أحد ممن كان معه إلى رأس المائة .
فقال سفيان : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .

ومعاوية بن حُذَيج الكندي ، وهو كان رسول عمرو بن العاص إلى عمر بن
الخطاب بفتح الاسكندرية .

وقد اختلف في معاوية بن حُذَيج فقال قوم : له صحبة ، واحتجوا في ذلك

بحديث حدثناه أبي عبد الله عبد الحكم وشعيب بن الليث وعبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية بن حديج، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوماً، فسلم، ثم انصرف، وقد بقي من الصلاة ركعة، فأدركه رجل، فقال: قد بقيت من الصلاة ركعة؛ فرجع، فدخل المسجد، فصلى بالناس ركعة، فأخبرت بذلك الناس، فقالوا: أتعرف الرجل؟ قلت: لا، إلا أن أراه.

وقال آخرون: ليست له صحبة، واحتجوا بحديث حدثناه يوسف بن عدي عن عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علقم بن رباح قال: سمعت معاوية بن حديج يقول: هاجرنا على عهد أبي بكر رحمه الله، فبينما نحن عنده إذ طلع المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه قدِم علينا برأس يئناق البطريق، ولم يكن لنا به حاجة، إنما هذه سنة العجم، ثم قال: يا عقبة، فقام رجل يقال له عقبة، فقال: إني لا أريدك، إنما أريد عقبة بن عامر، فقام رجل فصيح قارىء، فافتتح سورة البقرة، ثم ذكر قتالهم، ومافتح الله لهم، فلم أزل أحيته من يومئذ. وعامر مولى جمل الذي يقال له عامر جمل، شهد الفتح وهو مملوك، وإنما قيل له عامر جمل، أنه كان مع عمرو بن العاص عند معاوية بن أبي سفيان، فقال عامر لعمر: تكلم، فإني من ورائك؛ فقال له معاوية: ومن أنت؟ قال، أنا عامر مولى جمل. فقال له معاوية: بل أنت عامر جمل. فقيل له: عامر جمل لقول معاوية ذلك.

منهم من أهل بذر ستة نفر، الزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، ولقداد بن الأسود، وعبيدة بن الصامت، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة.

وقد كان عمار بن ياسر دخل مصر، ولكن دخل بعد الفتح في أيام عثمان.

حدثنا عبد الحميد بن الوليد ، حدثنا أبو عبد الرحمن عن مجالد^(١) عن الشعبي ، أن عمار بن ياسر دخل مصر في أيام عثمان بن عفان ، وجهه إليها في بعض أموره ، ولهم عنه حديث واحد .

حدثنا أبو الأسود انفضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي عُشانة قال : سمعت أبا اليقظان عمار بن ياسر يقول : أبشروا ، فوالله لأنتم أشد حُبًّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عامة من قد رآه .

قال : منهم من اختط بالبلد ، فذكرنا خطقه ، ومنهم من لم يُذكر له خطه ، فالله أعلم كيف كان الأمر في ذلك .

قال : فاخط عمرو بن العاص داره التي هي له اليوم عند باب المسجد ، بينهما الطريق ، وداره الأخرى اللامعة إلى جنبها (وفيها دفن عبد الله بن عمرو بن العاص . فيما زعم بعض مشايخ البلد لحدث كان يومئذ في البلد ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال : توفي عبد الله بن عمرو بن العاص بأرضه بالسَّيِّع من فلسطين ، ويقال ، بل مات بمكة ، والله أعلم ، ويكنى أبا محمد ، وكان وفاته سنة ثلاث وسبعين ، ولأهل مصر عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قريب من مائة حديث ، والحمام الذي يقال له حمام الفار (وإنما قيل له حمام الفار ، أن حمامات الروم كانت ديماسات كبار ، فلما بُني هذا الحمام ورأوا صغره قالوا ، من يدخل هذا ؟ هذا حمام الفار .) ودار عمرو التي هنالك ، ويقال : بل اختط عمرو لنفسه في الموضع الذي فيه دار ابن أبي الرزّام .

واخط عبد الله ابنه هذه الدار الكبيرة التي عند المسجد الجامع ، وهو الذي بناها هذا البناء ، وبني فيها قصرًا على تريعم السكبة الأولى ، واحتج من زعم

(١) هو مجالد بن سميد بن عمير الهمداني يسكنون للميم ، أبو عمرو الكوفي ، وهو ليس بالقوى ، وقد تغير في آخر عمره ، من صغار الطبقة السادسة (راجع صحيفة ٤٨٢ من كتاب تقريب التهذيب) .

أن هذه الدار الكبيرة التي عند المسجد هي خطة عمرو نفسه، بحديث ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني، أنه سمع عمرو بن العاص يقول: أخبرني رجل من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم قال: إن الله قد زادكم صلاة، فصلّوها فيما بين صلاة العشاء إلى صلاة الصبح، الوتر الوتر، ألا إنه أبو بصرة الغفاري.

قال أبو تميم الجيشاني، وكنت أنا وأبو ذر قاعدتين، فأخذ أبو ذر بيدي فأنطلقنا إلى أبي بصرة، فوجدناه عند الباب الذي إلى دار عمرو؛ فقال أبو ذر: يا أبا بصرة، أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله قد زادكم صلاة، فصلّوها فيما بين العشاء إلى الصبح، الوتر الوتر»؟

قال: نعم.

قال: أنت سمعته؟

قال: نعم.

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن ابن هبيرة، وحدثنا عمرو بن سواد عن ابن وهب عن ابن لهيعة، وقد حدثني طائفة ابن السّمح عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني ببعضه.

ولهم عن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث عدة، منها حديث موسى بن عُلَيّ عن أبيه عن أبي قبيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فصلّ ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر.

حدثناه أبي عن الليث عن موسى بن عُلَيّ، وحدثناه عبد الله بن صالح عن موسى عن نفسه، ومنها حديث نافع بن يزيد عن الحارث بن سعيد الملقب عن عبد الله بن مُثَنَّى عن ابن عبد كلال عن عمرو بن العاص قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن خمس عشرة سجدة، منها في المَفْصَل ثلاث، وفي سورة الحج سجدتان. حدثناه سعيد بن أبي مريم.

ذكر

من اختط مول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص

واختط حول عمرو والمسجد قریش والأنصار وأسلم وغفار ، وجُهينة ، ومن كان في الراية ممن لم يكن لعشيرته في الفتح عدد مع عمرو .

فاختطَ وَرْوان مولى عمرو القصر الذى يُعرف بقصر عمر بن مروان ، وإنما نسب إلى عمر بن مروان ، أن أنْتَناس صاحب الجند وخراج مسلمة سأل معاوية أن يجعل له منزلاً قرب الديوان ، فكتب معاوية إلى مسلمة أن يُخلد بأمره أن يشتري له منزل وَرْدان ويخطَّ لوردان حيث شاء ، ففعل ، فأخذ أنْتَناس المنزل ، وبعث مسلمة مع وردان السمط مولى مسلمة وأمره أن يُقطعه غلوة نَشابة ، فخرج معه حتى وقفا على موضع مفاخ الإبل ، وكان ذلك فناءً يتوسع فيه المسلمون فيما بينهم وبين البحر ، فقال السمط لوردان : لنعلمن اليوم فضل غلاء فارس على الروم . وكان السمط فارسيًا ووردان روميًا ، فمَغَط السمط في قوسه ، ونزع له بُنْشابه ، فاخطها وردان ، فلما مات انتناس أَقِطَ عمر بن مروان ، ويكنى وردان بأبي عبيد .

ويقال : إن قصر عمر بن مروان من خِطة الأزد ، فابتاع ذلك عبد العزيز ابن مروان ، فوهبه لأخيه عمر بن مروان ، وذلك أن ذلك الزقاق من قصر عمر بن مروان إلى الاصطبل ، والاصطبل من خِطة الأزد .

واختط قيس بن سعد بن عبادة في قبلة المسجد الجامع دارَ الفيلق ، وكانت فضاءً ، فبناها لما ولي البلد ، ولآه إياها على بن أبي طالب ، ثم عزله ، فكان الناس يقولون : إنها له ، حتى ذكر له ذلك ، فقال ، وأى دار لى بمصر ؟ فذكروها له ، فقال : إنما تلك بنيةُها من مال المسلمين لا حق لى فيها .

وينقال ، إن قيس بن سعد أوصى حين حضرته الوفاة ، فقال : إني كنت بنيت دارا بمصر ، وأنا واليها ، واستعفت فيها بمعونة المسلمين ، فهي للمسلمين ينزلها ولائهم .

ولهم عن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثان ، أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ربُّ الدابة أحق بصدر دابته .

حدثنا أبو الأسود حدثنا ابن لهيعة عن عبد العزيز بن عبد الملك بن مَيْمُون عن عبد الرحمن بن أبي أمية^(١) عن قيس بن سعد ، ويقال ، بل كانت دار الفلفل . ودار الزلاية التي إلى جنبها لنافع بن عبد القيس الفهرى ، ويقال ، بل هو عقبة بن نافع ، فأخذها قيس بن سعد منه وعوضه عنها دار الفهريين التي في زقاق القناديل ، ويقال ، بل كانت تلك الدار خطة عقبة بن نافع .

ويقال ، بل كانت دار الفلفل لسعد بن أبي وقاص ، فتصدق بها على المسلمين ، واقتصر على داره التي بالموقف ، والله أعلم .

ويقال : إن داره التي بالموقف التي تعرف بالفندق ليس هو خطة لسعد ، وإنما كان مولى سعد ، فمات ، فورثها عنه آل سعد ؛ وإنما سميت دار الفلفل لأن أسامة بن زيد التَّنُوخِيَّ إذ كان واليا على خراج مصر ابتاع من موسى بن وَرْدَانَ فَلَافِلًا بعشرين ألف دينار كان كتب فيه الوليد بن عبد الملك ، أراد أن يُهْدِيَهُ إلى صاحب الروم ، فَخَزَنَهُ فيها ، فشكا ذلك موسى بن وردان إلى عمر ابن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، فكتب إليه أن يدفع له .

حدثنا طَلْق بن السَّمْح ، حدثنا ضِيَام بن اسماعيل حدثني موسى بن وَرْدَانَ قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فحدثته بأحاديث عمر أدركتها من أصحاب

(١) قيسه السابق : عبد الرحمن بن أبي أمية في أصله ، وفي تاريخ ابن يونس عبد الرحمن ابن أبي أمية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنت عنده بمنزله، أدخل إذا شئت وأخرج إذا شئت، فكنت أحدثه عن أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله الكتاب إلى حيان بن سريح في عشرين ألف دينار، استوفى منها من ثمن فلفل، ليكتب إليه يدفعها إلى؛ فقال لي: ولئن العشرون الألف الدينار؟ قلت: هي لي. قال: ومن أين هي لك؟ قلت له: كنت تاجرا. فضرب بمخصرته، ثم قال: التاجر فاجر، والفاجر في النار، ثم قال اكتبوا إلى حيان بن سريح، فلم أدخل عليه بعدها، وأمر حاجبه ألا يدخلني عليه، وصارت دار الزلاية للحكم بن أبي بكر، ويقال: بل دار الزلاية خطة عبدة بن عبدة.

واختط مسلمة بن مخلد دار الرمل، واختط مع مسلمة فيها أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختط معهم عقبة بن عامر الجهني، فلما ولي مسلمة بن مخلد سألها معاوية داره، فأعطاه إياها، وخط له في الفضاء داره ذات الحمام التي بسوق وردان، ثم صارت إلى بني أبي بكر بن عبد العزيز، فحازها بنو العباس مع ما حيز من أموال بني مروان، فامتدح ابن شافع صالح بن علي، فأقطعه إياها.

ولما صارت لبني أبي بكر بن عبد العزيز، أن مسلمة بن مخلد توفي ولم يترك ذكراً، فورثته ابنته أم سهل ابنة مسلمة، وإليها تنسب مثنية أم سهل، مع زوجتيه وعصبته بني أبي دجانة، فزوج عبد العزيز امرأته مسلمة بعد وفاته، وقضى عنه عشرين ألف دينار كانت عليه، وتزوج أبو بكر بن عبد العزيز ابنته، أم سهل ابنة مسلمة.

وكان الذي صار إليهم من ربيع مسلمة بالميراث الذي ورثوا عن نساءهم؛ فكانت دار مسلمة من رحا السكرعك إلى حمام سوق وردان مما صار لعبد العزيز ولأبي بكر بن عبد العزيز، وكان لأبي بكر من مثنية أم سهل ما روثه عن امرأته

أم سهل ؛ وما كان في أيدي الناس غيرهم من ذلك مما كان لابن الأشتر الصدقي ولبنى وردان ، ولحمادة ابنة محمد ، ولموسى بن علي ، فمن حقوق عصبية مسلمة مما ياعه يحيى بن سعيد الانصارى ، وكان العصبية قد وكلوه بذلك ، وبهذا السبب قدم يحيى بن سعيد مصر ، وكانت الدار المعروفة بدار المغازل بالحرارة مما باع يحيى ابن سعيد أيضاً ، فاشتراها منه ابن وردان وابن مسكين .

وكان مسلمة بن مخلد كما حدثنا سعيد بن غفير بن أبي لهيعة أحسبه أيام عمرو على الطواحين .

واشترى معاوية أيضاً دار عقبة بن عامر ، وخط له في القضاء قبالة الطريق إلى دار مخفوط بن سليمان ، وكانت من الخط الأعظم إلى البحر ، ويقال : بل مسلمة ابن مخلد أقطعها عقبة ، فحبسها عقبة على ابنته أم كلثوم ابنة عقبة ، وقد يجوز أن يكون مسلمة إنما أقطعها لعقبة بأمر معاوية عوضاً من الذي أخذ منه من داره .

وكانت دار أبي رافع قد صارت إلى مولاه السائب مولى أبي رافع ، فاشتراها منه معاوية ، وأقطع السائب الفائض عند حيز الوز ، ويقال : بل اختط المقداد ابن الأسود دارا كانت إلى جانب دار الرمل ، وكانت إلى جنبها دار لعقبة بن عامر ، وهى خطته : فابتاع عقبة دار المقداد بن الأسود ، فهدمها وهدم داره فبناها جميعاً داراً لرملة ابنة معاوية ، فكتب إليه معاوية ، لا حاجة لنا بها ، فاجعلها للمسلمين ؛ ورملة سميت دار الرمل ، لما ينقل إليها من الرمل لدار الضرب .

سمعت يحيى بن عبد الله بن بكير فيما أحسب يقوله ، ولا أعلمنى سمعت ذلك من غيره ، يكنى المقداد ، أبا معبد .

حدثنا يعقوب بن إسحق بن أبي عباد ، حدثنا حماد بن شعيب عن منصور عن هلال بن كيسان قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية

فلما رجع قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف رأيت الإمارة أبا معبد ؟ قال : خرجت يارسول الله وما أرى أن لى فضلاً على أحد من القوم ، فما رجعت إلا وكأنهم عبيد لى . قال « كذلك الإمارة أبا معبد إلا من وقاه الله شرُّها » قال : والذى بعثك بالحق لا أعمل على عمل أبدا .

قال : ويقال : بل كتب معاوية حين استخلف إلى عتبة بن عامر يسأله أن يسلمها ليزيد لقرَّبها من المسجد ويُعطيه ما هو خير منها . ففعل ، فأقطعه معاوية داره التى بسوق وردان ، وبنائها له ، وبنى سُفْلَ دار الرمل ليزيد ، وأقطع معاوية أيضا يزيد قرية من قرى التَّيْمِمْ ، فأعظم الناس ذلك ، وتكلموا فيه .

فلما بلغ ذلك معاوية كرهه قاله الناس ، فردَّ تلك القرية إلى الخراج كما كانت للمسلمين ، وجعل دار الرمل للمسلمين تنزلها ولأئمتهم ، ولم يكن بنى منها إلا سُفْلَهَا حتى بنى عُلوها القاسم بن عبيد الله بن الحُبَّاح .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قَبِيل عن فضالة بن عبيد قال : كنّا عند معاوية يوما ، وعنده معاوية بن حُذَيج ، وكان معاوية كالجل الطَّيِّ ، يقدّم رجلا ويؤخّر أخرى ، يرمى بالكلمة ، فإن ذلت العرب أمضاها وإن أنكرها لم يُمنّضها ، فقال ذات يوم : ما أدري فى أى كتاب الله تجدون هذا الرزق والعطاء ؟ فلو أنا حبسناه ، فضرب معاوية بن حديج بين كتفيه مرارا حتى ظننا أنه يمجد ألم ذلك ؛ ثم قال : كلا والذى نفسى بيده يا ابن أبى سفيان ، أولنا أخذنا بنصوّلها ثم لتقفن على أنادرها ، ثم لا يخلص منها إلى دينار ولا درهم ، فسكت معاوية . ويكنّى معاوية بن أبى سفيان بأبى عبد الرحمن ، ومعاوية بن حديج بأبى نعيم .

وكان الديوان كما حدثنا سعيد بن عفير عن ابن لهيعة فى زمان معاوية أربعين ألفا ، وكان منهم أربعة آلاف فى مائتين مائتين ، حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن رزّين بن عبد الله مثله وزاد ، فكان إنما يُجعل إلى معاوية ستمائة ألف فضل أعطيات الجند .

حدثنا هانيء ، حدثنا ضمام عن أبي قبيل قال : كان معاوية بن أبي سفيان قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب رجلا ، فكان على المعافر رجل يقال له : الحسن ، يصبح كل يوم فيدور على المجالس ، فيقول : هل وُلِدَ الليلة فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل ؟ فيقال : ولد لفلان غلام ولفلان جارية ؛ فيقول : سموهم ، فيكتب . ويقال : نزل بها رجل من أهل اليمن بعياله ، فيستوونه وعياله ، فإذا فرغ من القبائل كلها أتى الديوان ، وكان الديوان كما حدثنا سعيد بن عفير عن ابن لهيعة في زمان معاوية أربعين ألفا ، وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين .

قال ابن عفير في حديثه عن ابن لهيعة قال : فأعطى مسلمة بن مخلد أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالهم وأرزاقهم ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق السكتية وحلجان القمح إلى الحجاز ، وبعث إلى معاوية بستمائة ألف دينار فضلا .

قال ابن عفير : فهضت الإبل ، فلقينهم برح بن حنكل ، فقال : ما هذا ! ما بال مالنا يخرج من بلادنا ؟ ردوه . فردوه حتى وقف على المسجد ، فقال : أخذتم عطاءكم وأرزاقكم وعطاء عيالاتكم ونوائبكم ؟ قالوا : نعم . فقال : لا بارك الله لهم . قال : وخطة برح بن حنكل عند دار رُنَيْن في الزقاق الذي يعرف بخلف القمّاح .

واختط قيس بن أبي العاص السهمي داره التي عند دار ابن رُمّانة وكانت دار ابن رمانة بينهما وبين المسجد ، ودخل بعضها في المسجد حين زاد في عرضه عبد الله بن طاهر ، وقد كان عمرو بن العاص ولده القضاء .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا ابن لهيعة قال : كان قيس بن أبي العاص بمصر ، ولده عمرو بن العاص القضاء .

واختط إلى جانب قيس بن العاص عبد الله بن جزء الزبيدي مما يلي

زقاق البَلاط دار ابن رُمّانة وما يليها ، فاشترى ذلك عبد العزيز بن مروان ، فوهب لابن رُمّانة خين قدم عليه مابني ، وكان ما بقى للاصبغ بن عبد العزيز . وكانت دار عبد الله تلى المسجد ، وقبلى بابها اليوم مرحاض بيت المال ، وكان ابن رُمّانة مع عبد العزيز بن مروان في السكتاب ، وكان عبد العزيز قد وهب لابن رُمّانة خاتما كان له ، فلما صار عبد العزيز إلى ماصار إليه قدم عليه ابن رُمّانة من الحجاز على بعير ليس عليه إلا قرّوة له ، فقال للحاجب : استأذن لي على الأمير . فكان الحاجب تناقل عنه ، فقال له ابن رُمّانة : استأذن لي اليوم استأذن لك غدا ، فدخل الحاجب على عبد العزيز فأخبره بقوله ، فقال : أدخِله . فلما دخل عليه ابن رُمّانة وكلمة أخرج الخاتم لعبد العزيز فعرّقه ، فبرز عبد العزيز خاتم نفسه ، فدفعه إلى ابن رُمّانة ، وبني له داره ، وغرس له نخلهم الذي لهم اليوم بناحية حلوان .

وعبد العزيز أيضا الذي غرس لعمير بن مدرك نخله الذي بالجزيرة الذي يعرف بجنان عمير ، وكان سبب ذلك كما حدثنا أنى عبد الله بن عبد الحكم أن عمير ابن مدرك كان غرسه أصنافا من الفاكهة ، فلما أدرك سأل عبد العزيز أن يخرج إليه ، فخرج معه عبد العزيز إليه ، فلما رآه قال له عبد العزيز : هَبْ لي فوهبه له . فأرسل عبد العزيز إلى صاحب الجزيرة ، فقال له : لئن أنت عليه الجمعة وفيه شجرة قائمة لأقطعن يدك ؛ وكان بالجزيرة خمسمائة فاعل ، غداة لحرق إن كان في البلاد أو هديم ، فأتى بهم صاحب الجزيرة ، فكانوا يقطعون الشجرة تحمّلها ، وعمير يرى حسرات ، فلما فرغ من ذلك أمر ، فنقل إليه لودي من حلوان وغرسه نخلا ، فلما أدرك خرج إليه عبد العزيز وخرج بعمير معه ، فقال له : أين هذا من الذي كان ؟ فقال عمير : وأين أبلغ أنا ما بلغ الأمير ؟ قال : فهو لك ، وحبيسه على ولدك . فهو لهم إلى اليوم .

واختط إلى جنب عبد الله بن الحارث ثوبان مولى رسول صلى الله عليه وسلم ،

ويقال بل هو عَجَلَان مولى قيس بن أبي العاص ، وهى الدار التى زادها فى المسجد سلمة مولى صالح بن على .

واختط عبادة بن الصامت إلى جانب ابن رُمَانة ، وأنت تريد إلى سوق الحمّام ، وهى الدار التى كان يسكنها جُوجُو المؤذن ، ودار إلى جنبها ، فابتاع إحداها عبدالعزیز بن مروان ، فكانت له ، وصارت الأخرى لبني مسكين .
واختط خارجة بن حذافة غَرَبِي المسجد بينه وبين دار ثوبان قبالة البَيْضَاء القديمة إلى أصحاب الحِمْيَر إلى أصحاب السويق بينه وبين المسجد الطريق .

وكان الربيع بن خازجة يتيا فى حجر عبد العزيز ، فلما بلغ اشترى منه داره بعشرة آلاف دينار للإصمغ بن عبد العزيز ، فلما ولى عمر بن العزيز ركب إليه وأخرج له كتاب حُبس الدار ، فردّها عليه بعد أن يدفع إليه الثمن ، فسأله أن يُعطى كِرَاءَهَا ، فقال : أما الكراء فلا ، الكراء بالضمان ، فردّها عليه ، ولم يأمر له بالكراء .

قال الليث بن سعد : فرأيت الربيع فيها وأنا إذ ذاك غلام ، ثم خاصم فيها الإصمغ إليه ، وابن شهاب قاضيه يومئذ ، فقضى ابن شهاب لابن خازجة بالدار ، وقَبَضَهَا ، أنه لا يجوز اشتراء الولي من يلى أمره ؛ ثم خاصم إلى يزيد بن عبد الملك بعد عُمر ، فقضى له بالكراء ، فسلمها له بنو الإصمغ حتى مات يزيد ، ثم رفعوا إلى هشام بن عبد الملك ، فقضى الأكراء عليهم ، فردّ الكراء إلى بنى الإصمغ .

وخازجة بن حذافة كما حدثنا شعيب بن الليث وعبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب أول من بنى غُرْفَةً بمصر ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فكتب إلى عمرو بن العاص :

« أما بعد فإنه بلغنى أن خازجة بن حذافة بنى غُرْفَةً ، ولقد أراد خازجة أن يطلع على عوارث جيرانه ، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدمها إن شاء الله والسلام . »

ولأهل مصر عن خارجة بن حذافة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد ليس لهم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم غيره ، وهو حديث الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن راشد الزوفى عن عبد الله بن أبى مرة الزوفى عن خارجة بن حذافة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله قد أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم ، الوتر ، جعله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر .

حدثناه أبى وشعيب بن الليث وعبد الله بن صالح عن الليث بن سعد .
ولهم عنه حكايات في نفسه ، وكان خارجة بن حذافة على شرط عمرو بن العاص أيام عمر وأيام معاوية حتى قتله الخارجي ، وذلك أن عمرو بن العاص كان أصابه في بطنه شيء ، فتخلف في منزله ، وكان خارجة يعشي الناس . فضربه الحرورى ، وهو يظن أنه عمرو ، فلما علم أنه ليس عمرأ قال : أردت عمرأ وأراد الله خارجة . فكان عمرو يقول ، ما نفعى بطنى قط إلا ذلك اليوم .

حدثنا معاوية بن صالح حدثنا يحيى بن معين عن وهب بن جرير عن أبيه ، قال : ذهب حرورى ليقول عمرو بن العاص بمصر ، فلما قدمها إذا رجل جالس يغذى قد ولى شرطة عمرو ، فظن أنه عمرو ، فوثب عليه ، فقتله ، فلما أدخل على عمرو قال : أما والله ما أردت غيرك . قال : لكن الله لم ير دنى . فقتل الرجل .

وقد قيل إن خارجة إنما قتل بالشام ، والله أعلم .

حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الهقل بن زياد عن معاوية بن يحيى الصدقى حدثنى الزهرى قال : تعاقد ثلاثة نفر من أهل العراق عند الكعبة على قتل معاوية وعمرو بن العاص وحبيب بن مسامة ، فأقبلوا بعد ما بويع معاوية على الخلافة حتى قدموا إيلياء ، فصالحوا من السحر في المسجد ما قُدر لهم ، ثم انصرفوا ، فسألوا بعض من حضر المسجد من أهل الشام ، أى ساعة يوافقون فيها خلوة أئير

المؤمنين ، فإننا رهط من أهل العراق أصابنا غُرمٌ في أعطياتنا ، ونريد أن نكلمه وهو لنا فارغ . فقال لهم : أمهلوا حتى إذا ركب دابته فاعترضوا له ، فكلّموه ، فإنه سيقف عليكم حتى تفرغوا من كلامه .

فتمعجلوا ذلك ؛ فلما خرج معاوية لصلاة الفجر كبر ، فلما سجد السجدة الأولى انبطح أحدهم على ظهر الحرسى الساجد بينهم وبينه حتى طعن معاوية في مأكنته ، يريد فخذه ، بخنجر ، فانصرف معاوية ، وقال للناس : آتموا صلاتكم ، وأخذ الرجل ، فأوثق ، ودعى لمعاوية الطبيب ، فقال الطبيب : إن هذا الخنجر إلاّ يكون مسموماً فإنه ليس عليك بأس ، فأعدّ الطبيب العقاقير التي تُشرب إن كان مسموماً ، ثم أمر بعض من يعرفها من تّباعه أن يسقيه إن عُقل لسانه حتى يالحس الخنجر ، ثم لحسه ، فلم يجده مسموماً ، فكبر وكبر من عنده من الناس ، ثم خرج خارجة بن حذافة ، وهو أحد بني عدى بن كعب من عنده معاوية إلى الناس ، فقال : هذا أمر عظيم ليس بأمر المؤمنين بأس بحمد الله ، وأخذ يذكّر الناس ، وشد عليه أحد الحرويين الباقيين بحسبه عمرو بن العاص ، فضربه بالسيف على الذابة فقتله ، فرماه الناس بالثياب وتعاونوا عليه حتى أخذوه وأوثقوه ، واستقل الثالث السيف ، فشد على أهل السجدة ، وصبر له سعيد بن مالك بن شهاب ، وعليه ممطر تحته السيف مُشرج على قائمه ، فأهوى بيده ، فأدخلها الممطر على شرج السيف ، فلم يحلها حتى غشيه الحرورى ، ففتحاً ، لمنكبّه ، فضربه ضربة خالطت سحره ، ثم استل سعيد السيف فاختلف هو والحرورى ضربتين ، فضرب الحرورى ضربة العين أذهب عينه اليسرى ، وضربه سعيد فطرح يمينه بالسيف ، وعلاه بالسيف حتى قتله ، ونزف سعيد ، فاحتمل نزيفاً ، فلم يلبث أن توفى ، فقال ، وهو يُخبر من يدخل عليه : أما والله لو شئت لنجوت مع الناس ، ولكنى تهرجت أن أوليه ظهري ومعى السيف .

ودخل رجل من كلب فقال . هذا طعن معاوية ؟ قالوا : نعم . فامتلخ

السيف ، فضرب عنقه ، فأخذ الكلبيّ ، فسُجِن ، وقيل له : قد اتهمت بنفسك ، فقال : إنما قتلتك غضباً لله ، فلما سئل عنه وُجِدَ بريئاً ، فأُرسِل ، ودفع قاتل خارجة إلى أوليائه من بني عدى بن كعب ، ففقطعوا يديه ورجليه ، ثم حملوه حتى جاءوا به العراق ، فعاش كذلك حيناً ، ثم تزوج امرأة فولدت له غلاماً ، فسمّوا أنه ولد له غلام ، فقالوا ، لقد عجزنا حين نترك قاتل خارجة يوئدله الغلمان^(١) ، فكلّموا معاوية ، فأذن لهم بقتله ، فقتلوه .

وقال الحروريّ الذي قتل خارجة : أما والله ما أردت إلا عمرو بن العاص ، فقال عمرو حين بلغه : ولكن الله أراد خارجة ، فلما قتل خارجة ولّى عمرو بن العاص شُرطه السائب بن هشام بن عمرو أحد بني مالك بن حِسل ، وهشام بن عمرو هو الذي كان قام في نقض الصحيفة التي كان كتبت قريش على بني هاشم : ألا ينالكوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يتاعوا منهم شيئاً حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه يقول حسان بن ثابت :

هَلْ تُوفِينَ بَنُو أُمَيَّةَ ذِمَّةً عَهْدًا ، كَمَا أَوْفَى جَوَارُ هِشَامٍ
مِنْ مَعْشَرٍ لَا يَغْدِرُونَ بِجَارِهِمْ لِلْحَارِثِ بْنِ حُبَيْبٍ بِنِ سَخَامٍ
وَإِذَا بَنُو حِيسِلٍ أَجَارُوا ذِمَّةً أَوْفَوْا وَأَدَّوْا جَارَهُمْ بِسَلَامٍ
قال ابن هشام ، سخام ، وخالف ابن هشام غيره من أهل العلم بالشعر ، فقال : إنما هي سِخَامُ .

وقد كان خارجة بن حذافة القرشيّ ، ثم بني عدى بن كعب قد بني عُرقه في عهد عمر بن الخطاب فأشرفت ، فشكت جيرانه إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إلى عمرو بن العاص ، أن انصبُ سريراً في الناحية التي مُسَكِّيت ، ثم أقم عليه

(١) في نسخة هـ : فسم أولياء خارجة بذلك .

رجالاً لا جسيماً ولا قصيراً ، فإن أشرفت فسُدّها . فسئل يزيد من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال مشأخ الجند .

قال : واختط عبد الرحمن بن عُدَيْس البلوّى الدار البيضاء ، ويقال ، بل كانت الدار البيضاء صَحْفًا بين يدي المسجد ، ودار عمرو بن العاص ، مَوْقِفًا لخيل المسلمين على باب المسجد حتى قدم مروان بن الحكم مصر في سنة خمس وستين ، فابقناها لنفسه دارا ، وقال : ما ينبغي للخليفة أن يكون يبذل لا يكون له بها دار ، فبُنيَتْ له في شهرين ^(١) .

وابن عُدَيْس ممن باع تحت الشجرة ، ولأهل مصر عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد ، ليس لهم عنه غيره . عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماس : أن رجلاً حدثه عن عبد الرحمن بن عُدَيْس أنه قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج ناس يَمْرُقُونَ من الدين كما يَمْرُق السهم من الرمية ، يقتلهم الله في جبل لبنان والجليل ، أو الجليل وجبل لبنان .

واختط عبد الله بن عويس أخو عبد الرحمن بن عويس عند القبة دار المعافى .

وكانت دار بني جُمَحْ بركة يجتمع فيها الماء ، فقال عمرو بن العاص : اختطوا لابن عمي إلى جانبي ، يريد وهب بن عُيمَر الجُمَحِي ، وهو من شهد الفتح ، فردمت ، وخطت له .

(١) في نسخة ١ زيادة : قال أبو القاسم بن فريد ، وأخبرني عبد الله بن سعيد بن عقير قال : حدثنا أبي قال : قال البناءون لمروان : بُني لك بناء لا يقيم أكثر من مائة سنة ، وكان قال لهم : أريد أن تبنيوها أطول ما يكون من البناء ، قال : فبُنيَتْ له ، قال : فأخبرني أبي ، قال : إنني لأراهم إلى المسجد في أيام المهدي لتمام مائة سنة ، فلما صرت في أول زقاق القناديل إذا الناس راجعون فقلت ما لهم ؟ فقالوا : وقعت دار البيضاء كلها في مرة واحدة ، وكانت بُنيَتْ له في أربعين يوماً .

ويقال بل عمير بن وهب بن عمير ، ويقال : بل هي قطعة من معاوية .
وكان عمير قد قدم مصر في أيام معاوية بن أبي سفيان ، فكتب أن يُبنى
له دار ، وكان ما هنالك فضاء ليس لأحد فيه دار ، وكانت مفيضاً الماء ،
وهذا مما يحتج به على أن ما حول المسجد كان فضاء لموقف خيل المسلمين ، كما
فعل عمرو بن العاص حين قدم عليه من بني سَهْم من لم يكن شهد الفتح ، فبنى
لهم دار السلسلة التي في غربي المسجد .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : كان وهب بن عمير أمير
أهل مصر في غزوة ثَمُورِيَّة سنة ثلاث وعشرين ، وأمير أهل الشام أبو الأعور
السُّلَمي .

واختط ابن الحويرث السَّهْمِيّ إلى جانب دار بني جُحج وقبلى دار زكرياء
ابن الجهم العبدري .

واختطت ثقيف في ركن المسجد الشرقي إلى السَّراجين ، وكانت دار أبي
عَرَّابه خُطَّة حبيب بن أوس الثقفي الذي كان نزل عليه يوسف بن الحكم بن
أبي عقيل ومعه ابنه الججاج بن يوسف مَتَدَم مروان بن الحكم مصر ، ثم لثقيف
ما كان متصلاً بدار أبي عَرَّابه إلى الدرب الذي يخرجك إلى دار فَرَج .

واختط زكرياء بن جَهم العبدري داره التي في زقاق القناديل ، وهي دار
عباس بن شَرْحَبِيل اليوم ذات الحَنِيَّة .

واختط عبد الرحمن وربيعة ابنا شرحبيل بن حَسَنَة دار عباس بن شرحبيل
الأخرى التي إلى جانبها ، ودار سَلَمَة بن عبد الملك الطحاوي ، حدثنا سعيد بن
عُفَيْر ، حدثنا ابن لهيعة قال : كان ربيعة بن شرحبيل بن حَسَنَة على المَكْس .

قال : واختط أبو ذرّ الفِقَارِيّ دار المُمَد ذات الحَمَام التي أخذ بركة بن
منصور السكائب يَبْرُها ، بابها في زقاق القناديل ، وبابها الآخر مما يلي دار بركة ،

ومن هنالك راجعاً إلى سوق بَرِّ بَرٍّ إلى قصر ابن جبر قبلك خطة غفار، وكان ابن جبر قد والى غفار، وابن جبر هذا كان رسول المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية وأختها وبما أهدى معهما، ونزع القبط أن رجلاً منهم قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يريدون ابن جبر؛ وأبو ذر الذي كان عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصر ما عهد.

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم حدثنا رشدين بن سعد، وحدثنا عبد الملك ابن مسلمة، حدثنا ابن وهب عن حرملة بن عمران عن عبد الرحمن بن شماس المهرى قال: سمعت أبا ذر يقول، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً، فإذا رأيتم أخوين يقتتلان في موضع كلبنة فاخرج، فمرّ بعبد الرحمن وربيعة ابني شرحبيل بن حسنة، وهما يتنازعا في موضع لبنة فخرج منها.

قال ابن وهب: سمعت الليث يقول لا أرى النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك، إلا للذي كان من أمر أهل مصر في عمان.

واختط إياس بن عبد الله القاري غربي دار بني شرحبيل بن حسنة.

واختط رويغ بن ثابت وعقبة بن كريمة الأنصاريان مع ربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل بن مسلمة.

واختط رويغ بن ثابت الأنصاري أيضاً الدار التي صارت لبني الصمة، وتوفي رويغ بن ثابت ببرقة، وكان قد وليها.

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال: ولي رويغ بن ثابت أنطابلس سنة ثلاث وأربعين.

واختط أبو فاطمة الأزدي داراً لدؤمي والدار التي فيها أصحاب الحائل اليوم، ولهم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد، وهو ابن لهيعة عن الحارث

ابن يزيد، حدثني كثير الأعرج الصدقي قال: وهو معنا بذى الصواري يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا فاطمة أكثر من السجود، فإنه ليس مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة، حدثناه أبو الأسود وسعيد بن أبي مريم عن ابن لهيعة، وقد رواه عنه غير أهل مصر.

قال: والدار التي كان يسكنها عمرو بن خالد خطة لرجل من بني تميم، وأصحاب السويق أيضاً خطة لرجل من بني تميم كان شهد الفتح، ثم اشترى ذلك عمرو بن سهيل من بعده.

واختط عبد الله بن سعد بن أبي سرح داره اللاصقة بقصر الروم، يقال لها دار الحنية، والدار التي يقال لها دار الموز، وليس قصره هذا الكبير الذي يعرف بقصر الجنب خطة، وإنما بناه بعد ذلك في خلافة عثمان بن عفان، أمر بينائه حين خرج إلى المغرب لغزو إفريقية.

حدثنا عبد الملك بن مسleme، حدثنا ابن لهيعة أنه سمع يزيد بن أبي حبيب يذكر أن المقداد كان غزا مع عبد الله بن سعد إفريقية، فلما رجعوا قال عبد الله للمقداد في دار بناها، كيف ترى بنيان هذه الدار؟ فقال له المقداد: إن كان مال الله فقد أشرفت، وإن كان من مالك فقد أفسدت. فقال عبد الله بن سعد: لولا أن يقول قائل أفسد مرتين لهدمتها.

وكان عبد الله يكنى بأبي يحيى، ولهم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد، ليس لهم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم غيره، وهو حديث ابن لهيعة عن عياش بن عباس القتيبي عن الهيثم بن شفي أبي الحصين عن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشرة من أصحابه معه، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وغيرهم على جبل إذ تحرك بهم الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسكن حراء، فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. ولهم عنه حكايات في نفسه، لم يرو عنه غير أهل مصر.

واختلط كعب بن ضئمة ، ويقال كعب بن يسار بن ضئمة العبيسي الدار التي في
حرف زقاق القناديل مما يلي سوق بربر ، تعرف بدار النخلة ، وكعب هو ابن بنت
خالد بن سنان العبيسي أو ابن أخته ، قال عبد الرحمن : أنا أشك .

وخالد بن سنان الذي تزعم فيه قيس أنه كان تنبأ في الفترة فيما بين النبي
وعيسى صلوات الله عليهما .

وخالد بن سنان حديث فيه طول ، حدثنا للقرئء عيد الله بن يزيد ، حدثنا
حيوة بن شريح . حدثنا الضحاك بن شرحبيل النافقي عن عمار بن سعد التميمي ،
أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص أن يجعل كعب بن ضئمة على
القضاء ، فأرسل إليه عمرو ، فأقرأه كتاب أمير المؤمنين ، فقال كعب : لا والله
لا ينجيه الله من الجاهلية وما كان فيها من الهلكة ثم يعود فيها بعد إذ نجاه الله
منها ، فأبى أن يقبل القضاء ، فتركه عمرو .

قال ابن عفير . وكان كعب بن ضئمة حكيما في الجاهلية .

ولقيس أيضا الدار التي تعرف بدار الزير ، وهي اليوم لبني وردان ، وكان يقال
لزقاق القناديل زقاق الأشراف ، لأن عمراً كان على طرفه مما يلي المسجد الجامع ،
وكعب بن ضئمة على طرفه الآخر مما يلي سوق بربر ، وفيما بين ذلك دار عياض بن
جرينة السكبي ؛ وهبها له عبد العزيز بن مروان ، ودار بن مذيلفة السكبي ،
ودار أبي فرائس الكندي ، ودار نافع بن عبد القيس الفهري ، ويقال بل هو عقبه
ابن نافع ، ودار محمد بن عبد الرحمن الكناني ، ودار أبي ذر الغفاري ، ودور
ربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل بن حسنة ، وإياهم يتولى بكر بن مضر ، ودار
زكرياء بن الجهم العبدي ، ودار إلياس بن عبد الله القاري ، ودار أبي حكيم
مولى عتبة بن أبي سفيان ، بناها له معاوية بن أبي سفيان .

واختلط ابن عبدة داره التي في السراحين وفيها العقابين اليوم ، وصارت

لبنى مسكين ، وكانت دار نصر لرجل من قريش ، فأتت ، فاشتراها عبد العزيز بن مروان ، فوهبها للإصمغ .

ودار سهل التي فيها السراجين وحمام سهل كان ذلك لعبد الله بن عمرو بن العاص اشتراها ، فوهبها لابنته أم عبد الله ابنة عبد الله بن عمرو فتزوجها عبد العزيز ابن مروان ، فأولدها سهلاً وسُهَيْلاً ، فورثاها من أمهما .

والقصر الذي يقال له قصر مارية كان خُطّة لابن رفاعة الفهمي ، فوهبه لعبد العزيز بن مروان فبنّاها لأمّ ولد له رومية ، يقال لها مارية ، فَنُسِبَ إليها ، ويقال : إنه عَوْضه من ذلك موضعه بالخرّاء ، ويقال : بل ذلك خِطّهم ، ثم هدمه عيسى ابن يزيد الجلوديّ ، مَدَّخَلَهُ مصر مع عبد الله بن طاهر فبنّاها سجنًا ، وهو السجن الذي عند محرس بُنّاته عند منزل عمرو بن سَوّاد السَّرْجِيّ ، وبُنّاته كانت حاضنة لبعض بني مروان أو ظنّواهم ، فنُسِبَ المحرس إليها . ومارية أم محمد بن عبد العزيز ، ولم يعقب .

وقد كان عمرو بن العاص كما حدثنا سعيد بن عفير عن ابن لهيعة عن ابن هُبيرة قد دعا خالد بن ثابت الفهمي جدّ بني رِفاعَة ليُجعله على المكس ، فاستعفاه ، فقال عمرو : ما تكره منه ؟ قال : إن كُتِبَ قال ، لا تقرّب المكس ، فإن صاحبه في النار .

واختطّ جهم بن الصلت المطلبيّ ممالي أصحاب الزيت الدار التي تقابل حمام بُسْر .

واختطّ ابن مُلْجَم بالراية في أصحاب الزيت الدار المبنّى وجهها بالحجارة .

واختطّ إياس بن البكير وابنه تميم بن إياس الدار التي عند دار ابن أبرهة ، الدار التي فيها أصحاب الأوتاد النافذة إلى السوق ، وهو إياس بن البكير بن عبد يارليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حُكفاء بني عدى بن كعب .

واختط مجاهد بن جبر مولى بنت غزوان داره التي في النخاسين التي
صارت لصالح صاحب السوق .

واختط أبو شمير بن أُرْهَة إلى جنب دار شُبَيْم اللبثي .

واختط ابن وُعلة إلى جنبه ، فأخذوا ومن معهم إلى سوق الحمام والدور التي
كانت لبني مروان ؛ وأخبرني حميد بن هشام الجُمَيْرِيّ قال ليس لابن أبرهة خُطّة
بفسطاط مصر ، وإنما خُطّتهم بالجيزة ، وإنما صارت المنازل التي لهم بالفسطاط
وارثة ، ورثوها من الوُعَلِيّة ، لأنهم كانوا صاهروا إلى ابن وُعلة ، فصارت المنازل
لهم بالميراث . وكان بنو أبرهة أربعة ، كريب بن أبرهة أبو رشدين ، وأبو شمير بن
أبرهة ، ومعدى كرب بن أبرهة ، وَيَكْسُوم بن أبرهة .

حدثنا سعيد بن عُفَيْر ، حدثنا ابن لهيعة قال : هاجر كريب بن أبرهة
وأخوه أبو شمير بن أبرهة في خلافة عمر بن الخطاب ، حدثنا هرون بن عبد الله
الزُّهْرِيّ ، حدثنا محمد بن عمر ، أخبرني عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن أبي
حبيب أن عبد العزيز بن مروان سأل كريب بن أبرهة بن الصباح عن خُطبة عمر بن
الخطاب بالجابية أشهدتها؟ فقال : شهدتها وأنا غلام على إزار ، أسمعها ولا أعيها ،
ولكن أدلك على من سمعها وهو رجل ، قال : من ؟ قال : سفيان بن وهب
الخلولانيّ ، فأرسل إليه ، فسأله ، فقال : أشهدت عمر بالجابية ؟ قال : نعم . ثم
ذكر الحديث .

حدثنا سعيد بن عُفَيْر ، حدثنا ميمون بن يحيى عن نَخْرَمَة بن بُكَيْر عن
يعقوب بن عبد الله بن الأشجّ قال ، قدمت مصر في أيام عبد العزيز بن مروان
فأريت كريب بن أبرهة يخرج من عند عبد العزيز وإن تحت ركابه خمسمائة
رجل من خَيْر .

واختط كعب بن عدى العبّادِيّ في القيسارية ، فلما أراد عبد العزيز بناءها
اشتراها منهم وخط لهم دارهم في بني وائل .

والحمال الذي يعرف اليوم بحمام أبي مرة كان خطاة لرجل من تنوخ ، هو جد ابن عاقمة أو أبوه ، فسأله أياه عبد العزيز بن مروان ، فوهبه له ، فبناه حماماً لزبان بن عبد العزيز ، وبزبان كان يعرف ، وفيه يقول الشاعر :

مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ لِلْبَيْضِ مَنَزَلَةٌ فَلْيَأْتِ أَيْبُضَ فِي حَمَامِ زَبَانَ
لَا رُوحَ فِيهِ وَلَا شَفَرٌ يُقَلِّبُهُ لِكِنَّهُ صَنَمٌ فِي خَلْقِ إِنْسَانٍ
فِي آيَاتِ لَهُ .

وكان فيه صنم من رخام على خلقة المرأة ، عجب من العجب حتى كُسرت في السنة التي أمر يزيد بن عبد الملك فيها بكسر الأصنام ، وكان أمر بكسرها في سنة اثنتين ومائة ، وغرس له عبد العزيز نخلة التي بالجيزة اليوم التي تعرف بجنان كعب عوضاً من ذلك .

واختط الزبير بن العوام داره التي بسوق وردان اليوم ، والخطة لبلى ، وفيها السلم الذي كان الزبير نصبه وصعد عليه الحصن ، وفيها كان عبد الله بن الزبير ينزل إذا قدم مصر فيما ذكر بعض المشائخ ، وقد كان عبد الملك بن مروان اصطفاها ، فردّها عليهم هشام بن عبد الملك ، ثم أخذها منهم يزيد بن الوليد ، فلم تزل في أيديهم حتى كانت ولاية أمير المؤمنين أبي جعفر ، فكلمه فيها هشام ابن عروة ، وكانت لهشام ناحية من أبي جعفر ، فأمر بردّها عليهم ، وقال : مامثل أبي عبد الله — يريد الزبير — يؤخذ له شيء .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب أن الزبير ابن العوام اختط بالقسطاط .

واختط أبو بصرة الغفاريّ عند دار الزبير بن العوام ، وأقر عمرو بن العاص القصر لم يقسمه وأوقفه ؛ ولأهل مصر عن أبي بصرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث منها ، حدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن يزيد بن أبي

حبيب عن أبي الخير عن أبي بصرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنا راكبون غدا إلى يهود ، فإذا سلموا عليكم فقولوا : عليكم .

ومنها حديث الليث بن سعد عن خير بن نعيم عن عبد الله بن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني عن أبي بصرة الغفاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة بالمخمس وادياً من أوديتهم ، ثم انصرف ، فقال : إن هذه الصلاة قد عرضت على من كان قبلكم فتوانوا عنها ، وتركوها ، فنصلاها منكم كتب الله له أجرها ضعفين ؛ ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد .

حدثناه عبد الله بن صالح وحدثناه إدريس بن يحيى الخولاني عن ابن عياش .
القتباني عن ابن هبيرة .

ومنها حديث الليث أيضا عن يزيد بن أبي حبيب عن كليب بن دهل الحضرمي عن عبيد بن جبر أنه سافر مع أبي بصرة الغفاري في رمضان ، فلما دفعوا من الفسطاط دعا بطعام ونحن ننظر إلى الفسطاط ، فقلت له : نأكل ، ولو نريد أن ننظر إلى الفسطاط ننظرنا ؛ فقال : أرغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟ فأفطرنا .

ومنها حديث ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي الهيثم عن أبي بصرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل في مِعى واحد . حدثناه سعيد بن عفير

قال : واختطت أسلم مما يلي دار أبي ذر ، ومن خططها دار الصباح ، والزقاق الذي فيه دار ابن بلادة ، الشرق منه لأسلم ، ولم أيضا من قصر ابن جبر إلى الحجاج بن الذين بسوق بربر ؛ ويزعم بعض مشايخ أهل مصر قال : ولزامة داران ، الدار التي تُنسب إلى ابن ريزك ، كانت لرجل منهم ، يقال له الحارث بن فلان ، أو فلان بن الحارث ، والدار التي جانبها تليها القضاة .

واختطف الأيتيمون الذين كانوا مع عمرو بن العاص ، وهم آل عُرْوَة بن شَكِيم
عند أصحاب القراطيس ، واختطف خلفهم يُسْر بن أبي أرطاة .

ولبنى مُعَاذ بن مُذَلْج داران ، أحدهما في زقاق عبد الملك بن مسلمة ، كانت
لأشهب الفقيه ، والأخرى في عَقَبَة سوق بربر في الزقاق الذي فيه دار
مُصَنَّب الزهرى .

ولعَنَزَة من ربيعة دور بمجتمعة ، نحو من عشر ، ومسجد في أصل العَقَبَة التي
عند دار ابن صامت .

واختطت بِلَى خَلْفَ خارجة بن خُذَافَة ، ثم مضوا يَحْطِطُهم من دار عمرو بن
يزيد إلى دار سلمة ودار واضح حتى جازوا دار مُجَاهِد بن جبر إلى درب الزجاج ،
ثم مضوا حتى شرعوا في أصحاب الزيت ، ثم مضوا يشرعون في قِبَلَة سوق وردان
حتى بلغوا مسجد القُرون ، ثم داخل الزقاق إلى مسجد بنى عَوْف من بِلَى ،
وهو المسجد الذي في الزقاق ، ودار ابن يَبُولَة التي يسوق وردان جزاء إلى المعاصير .
وكانت بِلَى إنما يقفون عن عَيْن راية عمرو بن العاص لأن أم العاص بن
وائل بِلَوِيَة .

حدثنا عبد الملك بن هشام ، حدثنا زياد بن عبد الله عن محمد بن اسحق أن
أم العاص بن وائل امرأة من بِلَى بمصر كما حدثنا العباس بن طالب عن عبد الواحد
ابن زياد عن عاصم الأحول عن أبي عثمان التَّهْدِي قال : نادى رجل من بِلَى .
- وهو حَتَّى من قضاة - بالشام ، يا آل قضاة . فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ،
فكتب إلى عامل الشام أن تُسَيِّر ثَلث قضاة إلى مصر ، فإذا بِلَى ثَلث قضاة ،
فُسَيِّرُوا إلى مصر .

قال : ثم اختطت بنو بَحْر عما بِلَى ، وهم قوم من الأزدي نخم ، ثم شرعوا
إلى البحر .

ثم اختطت بعدم الحراء ، وسأذكر حديثهم في موضعه إن شاء الله .
ثم شرعت طائفة من سلامان البحر ، ثم شرعت من بعدم طائفة من فہم
وكفانة فہم ، ثم الحراء أيضا إلى القنطرة .

وكان أول القبائل بليُّ أهل الراية مما يلي بلي بن عمرو ، والراية قريش ومن
معا ، وإنما سُميت الراية لراية عمرو بن العاص ، حدثنا عبد الملك بن مسleme ،
حدثنا ابن لهيعة قال : الراية قريش ، كانت معهم راية عمرو بن العاص ، ويقال
إنما سُميت الراية ، أن قوما من أقباء القبائل من العرب كانوا قد شهدوا مع عمرو
ابن العاص الفتح ، ولم يكن من قومهم عدد ، فيقفوا مع قومهم تحت رايتهم ،
وكرهوا أن يقفوا تحت راية غيرهم فقال لهم عمرو : أنا أجعل راية لا أنسبها إلى
أحد أكثر من الراية ، تقفون تحتي ، فرضوا بذلك ، فكان كل من لم يكن
لقومه عدد وقف تحتي ، فقليل الراية من أجل ذلك ، والله أعلم .

والحجر من الأزدي فسجد العتيمة حتى تبلغ زقاق السمي ، ثم يرقا ، ثم
شجاعة ، ثم نراد ، ثم لقيتها هذيل وقومهم ، ثم قطعت هذيل بينهم وبين سلامان
حتى انتهت هذيل إلى سويقة عدوان ، وهي السويقة التي عند زقاق المكي ،
فدار سيرة والزقاق الذي كان ينزله بن الأغلب إلى هذه السويقة لهذيل ، والزقاق
من كتاب إسماعيل إلى منزل بئانة لفهم ؛ ومسجد الصيتم بقاء الحكم بن أبي بكر
ابن عبد العزيز بن مروان ، فهو من الاصطبل ، وكان الاصطبل للأزد فاشتراه
منهم الحكم ، فبناه ؛ وكان يجري على الذي يقرأ في المصحف الذي وضعوه في
المسجد الذي يقال له مصحف أسماء من كراه في كل شهر ثلاثة دنانير .

فلما حيزت أموالهم وضمت إلى مال الله ، وحيز الاصطبل فيما حيز كتب
جائز المصحف إلى أمير المؤمنين أبي العباس ، فكتب أن أقرروا مصحفهم في
مسجدهم على حاله ، وأجروا على الذي يقرأ فيه ثلاثة دنانير من مال الله في كل شهر .

وكان سبب المصحف فيما حدثنا يحيى بن بكير وغيره ، يزيد بعضهم على بعض ، أن الحجاج بن يوسف كتب بمصاحف ، وبعث بها إلى الأمصار ، ووجه بمصحف منها إلى مصر ، فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك ، وقال : يُبَيِّعُ إلى جند أنابه بمصحف . فأمر فكتب له هذا المصحف الذي في المسجد الجامع اليوم ؛ فلما فرغ منه ، قال : مَنْ وجد فيه حرفاً خطأً فله رأس أحر^(١) وثلاثون ديناراً ؛ فتداوله القراء ، فأتى رجل من أهل الحمراء ، فنظر فيه ، ثم جاء إلى عبد العزيز ، فقال : قد وجدت في المصحف حرفاً خطأً . قال : مصحفى ؟ قال : نعم ، فنظروا فإذا فيه « إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْةً » فإذا هي مكتوبة « نَجْةً » قد قدمت الجيم قبل العين ، فأمر بالمصحف ، فأصلح ما كان فيه ، ثم أمر له بثلاثين ديناراً ورأس أحر .

ثم توفي عبد العزيز فاشتراه في ميراثه أبو بكر بن عبد العزيز بألف دينار ، ثم توفي أبو بكر ، فبيع في ميراثه فاشترته أسماء ابنة أبي بكر بن عبد العزيز بسبعائة دينار فأمكنه منه الناس ، وشهرته ، فذهب إليها ؛ ثم توفيت أسماء فاشتراه الحكم بن أبي بكر ، فجعله في المسجد وأجرى على الذي يقرأ فيه ثلاثة دنانير في كل شهر من ركراء الاصطبل ، والحكم بن أبي بكر الذي بنى المسجد المعروف اليوم بقبة سوق ورْدان .

قال : ثم عدّوا حتى انتهى إلى السوق ، ثم لقيتهم سلامان ، فدار ابن أبي الكنود شارعة في سويقة عدّوان ، وزقاق المسكى خطّة دارس ، ونفر من يرفا ، ثم مضت سلامان حتى شرعوا في البحر إلى جنان حوى ، ثم اعترضتهم كنانة من قفهم ، فليهم من زقاق ابن رفاعة حتى يشرعوا في البحر ، ثم تلقى سلامان من تلقاء جنان حوى بنو يشكر من نلّم فجنان حوى ، وسفح الجبل الغربي

(١) عبد حبشى .

ليشكر بن جَزِيلَةَ من نلَم ، وثُمَّ خَطَّةُ عَلِيَّ بن رَبَاحٍ اللَّخْمِيَّ بالحِمْراءِ عند جنان حَوِيٍّ على يسارك وأنت ذاهب تريد القنطرة .

قال : واختطت مَهْرَةَ أول ما دخلت بدار الخليل وما والاها على سَفْحِ الجبل الذى يقال له جبل يَشْكُرُ مما يلي الخندق إلى شرقي العسكر إلى جنان بنى مسكين اليوم .

وكان مسجد مهرة هنا لك ، قُبَّة سوداء حتى أدخله طَريف الخادم فى دور الخليل حين بناها .

وكانت جنان بنى مسكين اليوم خَطَّةً لرجل من مهرة يقال له الجراح ، فأتى ولم يترك حقبا ، فقدم شَرِيح بن ميمون المهرى فورثه وتزوج امرأته ، وعقد له على البحر ، فلم يكن يُعْلَم مَدَدِيٌّ نال من الشرف فى زمانه ما نال إلا ثَوْبَةُ بن تَمِر الحضرمى ، كان مَدَدِيًّا ، فولى القضاء .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال : قدمت سَعْنُ إفريقية سنة ثمان وتسعين ، عليهم ابن أبى بُرْثَةَ ، فغزواهم وأهل مضر ، عليهم شَرِيح بن ميمون ، فشتوهم ، والسفن الأولى عمر بن هبيرة وأبو عبيدة على أهل المدينة بالبُنْطُس . وكانت منازل مهرة قبلى الراية مما يلي منازل ابن سعد بن أبى سرح حَوْزًا حازوه ، وكانوا إذا أتوا الجُمَّة ربطوا خيولهم ، ثم نقلهم عمرو بن العاص بعد ذلك وضمهم إليه ، وعطّلوا منازلهم هنالك ، فذهبت مهرة بخطها حتى لقيت غَافِقًا فى السوق ، ولقوا الصدف ، ولقوا غَنَّثًا مما بلى الغرب .

واختطت نلَم ، فاخطت قبلى ثقيف مما يلي السَّرَاجِين فالدار التى صارت لعيّاش بن عُقْبَةَ لهم ودار الزَّلَابِيَّة ، ومضوا بخطهم إلى عَقْبَةَ مَهْرَةَ إلى زقاق أبى حكيم ، ومعهم نقر من جُذَام ، ثم انحدروا فى زقاق وردان ، مولى ابن أبى سَرَح . وثُمَّ خَطَّةُ أبى رُقِيَّة اللَّخْمِيَّ ، ومنزله هنالك قائم بحاله لم يفتّر ، يقابل المسجد

الذى عند دور بنى وردان، ثم انحدروا إلى مسجد عبد الله، فما كان عن يمينك وأنت تريد المسجد الجامع في الطريق إلى دور الوردانيين من مسجد عبد الله فهو للخم، وما كان عن يسارك فلغافق، ثم جازت لخم بخطتها إلى دور مَطَر التي بسوق بربر، فإن الأزرد تلقاهم بدور أبي مريم، وبقي خطتها فإن ذلك لحجر وحاء.

ومسجد حاء المسجد الذى عند دار اسحق بن متوكل ذو المنارة، والمسجد الذى على الطريق وأنت تريد إلى نخرس ابن أبي حبيب مجلس كان لهم، يجلسون فيه فاذا أقيمت الصلاة خرجوا من خَوَاحَات لهم ثلاث شوارع إلى الطريق، فاذا صلوا رجعوا إلى مجلسهم، ثم يلقون حُثِمًا ومازنا من الأزرد مما يلي دار ابن فُلَيْج ثم يلقون تَفُوحًا مما يلي دار البراء بن عثمان بن حَنَيف، ثم يلقون غَنَمًا من الأزرد مما يلي دار ابن بَرَمَك التي كانت الوكلاء تنزلها، فذلك الزقاق والرحبة وما شرع في مسجد عبد الله من دار ابن الهيثم الأيلي وما بينهما، فَلَقْنَتْ من الأزرد إلى منزل أشهب، وإذا سلكت زقاق أشهب فما كان عن يمينك وأنت تريد المَوْقف فهو لغافق، وما كان عن يسارك فهو للأزرد حتى تنتهي إلى الموقف، والموقف كان لابنة مَسْلَمَةَ بن مخلد، فتصدقته به على المسلمين، ودار أبي قدامة أيضا كانت تصدقت به، ودار إبراهيم بن صالح، وهي دار بنى عبد الجبار من غافق.

ثم مضت الأزرد حتى أخذت ما شرع في السويقة قبالة دار سعيد بن عُمَيْر، وزقاق الرواسين حتى تنتهي إلى دار حُوَيّ ودار عبد الرحمن بن هاشم، ثم تَلَقَى مما يلي السويقة العَتَاء، وهم قليل، ومسجد العَتَاء هنالك مشهور؛ والعتقاء من دار زياد الحاجب حتى تهبط إلى بَيْطَار بلال إلى السوق.

وكان زهير بن الحارث الحَجَرِي حَجَرِ حَمِير، كان عداؤه في العتقاء، وكان عريفهم، وكان سعيد بن الجهم يقول لعبد الرحمن بن القاسم: أنت منا، فيضيق لذلك — يعنى أن زييد بن الحارث من حَجَر، وأنه مولى لهم — وكان عبد الرحمن ابن القاسم يتولى العتقاء.

فإذا جئت من السويقة وأنت تريد المسجد الجامع فما كان عن يمينك فللازد»
وما كان عن يسارك مما يلي تحرس أبي حبيب فلهم ، ثم تلقاهم شجاعة بسقيفة
الغزل ، وتلقاهم فهم عند كتاب اسماعيل ، وتلقاهم بنو شيبابة الأزدي عند دار حوى ،
فما كان على الخط الأعظم إذا انتهيت إلى درب دار حوى وتركته ، وأمامت
العسكر فهو لفهم حتى تبلغ العسكر ، وتلك خطة بني شيبابة من فهم ، ولبنى شيبابة
أيضا المسجد الذى له المنارة التى تخرجك إلى سقيفة تركى . ولهم أيضا المسجد الذى
فى رجة الشوسى ، وإذا هبطت من درب حوى البحرى وقعت فى هذيل ، فما
كان عن يمينك وأنت تريد الخندق فلهذيل وما كان عن يسارك فلهذهمة من
الأزد حتى تلقى يشكر من لحم فى جبل يشكر .

ثم اختطت غافق بين مهرة ونلم ، ثم مضوا بخطهم حتى برزوا إلى الصحراء
مما يلي الموقف ، ولقوا من وجه مهب الشمال نخا وغنثا ، ولقوا مما يلي القبلة
الصدف ومهرة ، واختطت فاتسعت خطها لكثرتهم .

وكانت غافق كما حدثنا عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ثلث الناس
مدخل عمرو بن العاص مصر ، ولغافق من درب السراجين إلى دور بنى وردان ،
فما كان عن يمينك فلغافق حتى تنتهى إلى مسجد فهم الجمرات ، ثم جرى إلى
الصفاء إلى مسجدى حذران ، وحذران بطن من غافق ، إلى مسجد أحذبو إلى
مسجد الزمام فى موضع مسجد الزمام دفن محمد بن أبى بكر الصديق فيما يزعمون ؛
ثم ارجع إلى حمام سهل فما كان عن يسارك وأنت تريد مهرة فلغافق ، وسم
زقاق محمد من غافق الذى قبالة حمام سهل الذى للنساء ، وفيه مسجد أبى موسى
الغافقى ليس فى الزقاق مسجد غيره ، ولأبى موسى صحبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، واسم أبى موسى عبد الله بن مالك ، ولهم عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حديثان .

حدثنا محمد بن يحيى الصدّقي ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمرو بن الحارث ،
أن يحيى بن ميمون الخضرى حدثه عن وداعة الحمّدى ، حدثه ، أنه سمع
أبا موسى الغافقى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من افترى على
كذبا فليتبوأ بيّتا - أو مَقْعَدًا - من النار .

حدثنا أسد بن موسى وسعيد بن عفير قالا ، حدثنا ابن لميعة عن عبد الله
ابن سليمان عن ثعلبة أبي السكوند عن عبد الله بن مالك ، أنه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : إذا توضأت وأنا جنب أكلت وشربت ، ولا أصلى ولا
أفرا حتى أغتسل .

ثم جرى إلى زقاق الموزة ، فإذا جاوزت زقاق الموزة إلى مسجد سيّبان ،
وهو المسجد ذى القبة الذى عند دار خالد بن عبد السلام الصدقى (وسيّبان
من مهرة) فما كان عن يسارك وأنت تريد إلى سقيفة جواد فلغافقى ، وما كان عن
يمينك فلصدّق إلى مسجد أحذب إلى ما فوق ذلك إلى الدرب الذى يخرجك
إلى الصحراء ، غير أن دار ابن سابور ، وهى الدار التى صارت لإسماعيل بن
أسباط خِطّة رجل من خيبر .

وللربانيّين أيضاً من غافقى من دار مَطَر ما كان عن يمينك وأنت تريد إلى
مسجد عبد الله ، وعبد الله الذى يُنسب إليه المسجد هو عبد الله بن عبد الملك
ابن مروان ، وكان عبد الملك ولّاه مصر بعد موت عبد العزيز بن مروان ، وكانت
ولايته فى جمادى سنة ست وثمانين كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن
سعد ، وكان حدّثنا ، وكان أهل مصر يسمونه مَكِّيَّسًا ، وهو أول من نقل
الدواوين إلى العربية ، وإنما كانت بالعجميّة ، وهو أول من نهى الناس عن
لباس البرانس ، ثم إلى دار ابن هُجالة الغافقى ، فإذا بلغت دار ابن هُجالة فلغافقى ،
ما كان عن يمينك وعن شمالك .

وفي دار ابن هجالة كان تقيّ محمد بن أبي بكر حين دخل عمرو بن العاص
حصر عام المُسنّة ، وكانت المُسنّة كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد
في صفر سنة ثمان وثلاثين .

وكانت للفاقى أخت ضعيفة ، فلما أقبل معاوية بن حُديج ومن معه في طلب
قتلة عُمان قالت أخت الفاقى : من تطلبون ؟ محمد بن أبي بكر ؟ أنا أدلكم عليه
. ولا تقتلوا أخى ، فدلّتهم عليه ، فلما أخذ قال : أحفظوا في أبي بكر . فقال معاوية
بن حُديج : قتلنا سبعين من قومي بعمان وأتركك وأنت قاتله ؟ فقتله .

وهي الدار الملاصقة بمسجد الزنج . تعمل على بابها النعال السِنْدِيّة وفي
داخلها الأرحاء . ولفاق من مسجد بادى إلى دار إبراهيم بن صالح إلى مسجد
القرّاط . وتلك دِهْنَة غافق . ولفاق من الخطة أكثر مما ذكرنا غير أن
هذه جُمْلُها .

واختطت الصّدِف قبلَ مرّة ، فمضوا بخطهم حتى برزوا بطرف منها ، فلقوا
حضر موت دون الصحراء ، ولقوا ما يلي القبلة بنى سعد من تُجيب ، ولقوا آل
أَيْدَعان بن سعد ، ولقوا بطرف منها سِنْدَهُما من مُراد ، ثم لقوا حضر موت ، حالوا
بينهم وبين الصحراء ، وكانت راية الأجدوم مدخلَ عمرو مع حَيّان — أَوْحَبان —
بن يوسف ، فلما استقرت الصّدِف عُرِفَ عليهم عمران بن ربيعة ، فأقام عريفا
سنتين ، ثم عُرِف ابنه ، ولم يزل بالبلد منهم قوم لهم شرف وسخاء ، كان منهم ابن
سُلَيْك الصّدِف .

واختطت حضر موت و بطن من يَحْصُب فيهم في موضعهم اليوم ، في زمان عُمان
ابن عفان إلا عبد الله بن التَّهْلَل ، ودخل مع عمرو بن العاص الفسطاط من حضر موت
عبد الله بن كليب من الأشباء خَطَّتْهُ في آل أَيْدَعان عند دار ابن الرّواغ ؛
ومالك بن عمرو بن الأجدع من الحارث ، ودازه دار هبيرة بن أبيض ، والمُلامس

ابن جَدِيْمَة بن سَرِيْع ، وخطته عند الصفا عند دار الفَرَج بن جعفر ؛ وَبَر بن زُرْعَة بن يَمْر بن شَا جِي البَسْتِي ، والأَعْيَن بن مالك بن سَرِيْع ، وأبو العالية مولى لهم ، وهو جد أبي قَنان ؛ وكانوا مع أخوالهم في تُجيب ، ثم قدمت مادتُهم في أيام عثمان فاخطوا شرقى سِلَهم والبَصْدَف حتى أضحروا ، فتحول إليهم من أراد التحول ممن كان منهم بِتُجيب .

واخط بمكانهم عبد الله بن كليب من الأشياء خطته في بني أيدعان عند دار ابن الرواغ ، وكان أخوه قيس بن كليب في حُجَاب عمرو بن العاص أيام معاوية ، وهو فتى شاب جميل ، فرآه معاوية مع عمرو فقال : من هذا الفتى ؟ فقال عمرو : أحد حُجَابِي . فقال معاوية : ما يُعَان من حجبته مثل هذا . ثم حجب بعد ذلك عبد العزيز بن مروان .

وفي قيس بن كليب يقول أبو المصعب البَلَوِي في قصيدته التي هجا فيها أشراف مصر .

وَضِلْتُ أَنَادِي الْأَكْمَاءَ قَيْسًا	لِتُدْخِلَنِي وَقَدْ حَضَرَ الْقَدَاهُ
وَلَيْسَ بِمَاجِدِ اجْدَاتِ قَيْسٍ	وَلَكِنْ حَضَرَمِيَّاتِ قَيْسٍ
وَأَغْرَضَ نَفْحَهُ الْبَرْبُوعُ عَنِّي	يَزِيدُ بَعْدَ مَارُفَعِ الْأَوَاهِ (١)
أَشَارَ بِكُفِّهِ الْيَمْنَى وَكَانَتْ	شِمَالًا لَا يَجُوزُ لَهَا عَطَاهُ
أَكْلُمُ عَائِدًا وَيَصُدُّ عَنِّي	وَيَمْنَعُهُ السَّلَامَ الْكِبْرِيَاءُ
وَجُرْفٌ قَدْ تَهْدَمَ جَانِبَاهُ	كُرَيْبٌ ذَاكُمُ الْبَرْمُ الْقِيَاءُ
وَأَمَّا الْقَحْزَمِيُّ فَذَاكَ بَقْلٌ	أَضْرَبَ بِهِ مَعَ الدَّبْرِ الْخَفَاءُ (٢)
وَهَذَاكَ الْقَصِيرُ مِنْ تُجِيبٍ	وَلَوْ يَسْتَطِيعُ مَا نَفَضَ الْخِلَاءُ

(١) البربوع : نوع من القيران .

(٢) فحزم الرجل : حرقه عن قصده .

وتروى : أضرَّ به مع الدبر الخِصاء .

قال : وكان معاوية إذا قدم عليه أحد من أهل مصر سألَه ، هل تروى قصيدَ أبي المصعب ؟ ، وهذه الأبيات في قصيدة له ، يريد بيزيد يزيد بن شُرَحْبِيل بن حَسَنَة ، وقيس قيس بن كليب الحاجب ، وعائذ بن ثعلبة البلوى ، وقتل عائذ بالبرَّس^(١) في سنة ثلاث وخمسين مع وردان مولى عمرو بن العاص وأبي رُقَيْة الخثمي ، وسأ ذكر حديثهم في موضعه إن شاء الله ؛ والقَخرَحي عمرو ابن قَخرَم وكريب بن أبرهة ، والقصير من تُجيب زياد بن حُناطة التجيبي ، ثم الخلاوي ، وهو صاحب قصر ابن حناطة الذي بتُجيب .

ولم يزل الملامس بن جذيمة عريفَ حضرموت ، يدْعُون له الأشياء والحارث حتى كان زمان معاوية بن أبي سفيان فإنه وقع بين مسلمة بن مُحَلَّد وبين الملامس كلام ، فاستأذن الملامس معاوية في النقلة إلى فِلَسْطِين بحضرموت ، فأذن له ، وكتب له بذلك إلى مسلمة ، فكره مسلمة ذلك ، فقال له رجل من حضرموت يقال له فلان بن مسلم : أنا أمشي بينهم فأُكرِّهُ إليهم الخروج . ففعل . فلما تَنَجَّز الملامس ذلك من مسلمة قال له : إن رضى قومك .

ثم جمعهم ، فذكر لهم ما قال الملامس ، فقال رجل منهم : ما نفارق بلادنا .

فقال له : من أنت ؟

فقال . أنا ابن أُمَيَّة .

قال : فمن قومك ؟

قال : بنو عوف .

(١) الدرس : بليدة قرب البحر الأبيض المتوسط من جهة الإسكندرية ، يشتغل أهلها بصيد السمك ، ويقصدها الناس في الصيف للتمتع بجوها ، وقد ذكر أبو بكر الهروي أن بالبرلس أثنى عشر رجلاً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينسب إليها جماعة من أهل العلم ، وهي من أعمال محافظة كفر الشيخ .

ثم تتابعوا على مثل قوله فكتبهم وعرفهم .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن عتبة بن أبي حكيم عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حضرموت خير من بنى الحارث .

حدثنا أبو الأسود ، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى مسلمة بن مخلد ، وهو على مصر ، لا تَوَلَّ عَمَّاك إِلَّا أَزْرِيَّ أَوْ حَضْرَمِيَّ ، فإيهام أهل الأمانة .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ثُبَيْع قال : لَا يُدْرِكُ أَحَدٌ مِنْ حَضْرَمَوْتِ الدَّجَالِ .

قال ثم اختطت تُجَيْبَ ، فأخذت بنو عامر شرق الحصن قبلي منزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ثم مضوا بخطهم حتى لقوا مهرة والصدف من مهب الشمال ، ولقوا سِلْهَمًا مما يلي الشرق ، ولقوا وعلان من مُراد وطرفاً من خَوْلان من مهب الجنوب ، ثم لقوا بني غُطَيْف وقبائل من مراد ، وحالت سِلْهَمٌ بينهم وبين الصحراء . فخطت كنانة بن بشر بن سلمان الأيْدَعِي دار هَيْبَةَ ، وثم مسجده ثم صارت بعد ذلك لعنان بن يونس ، أبي السمح جد ابن دهقان لأمه .

وكان لكنانة سيف يقال له المقلد ، صار إلى سعيد بن عبيد ، فكان سعيد يقول : إِنَّمَا لَتُجَيْبِ سَيْفَانِ ، عَرِيضُ بَنِي حُدَيْجٍ ، وَالْمُقَلَّدُ ، فَقَدْ صَارَ الْمُقَلَّدُ إِلَى . قال : واختطت خَوْلان الشرق قبلي الحصن ، ومهب الجنوب ، ثم مضوا بخطهم حتى لقوا وائل والنزارستين في السهل ، ولقوا تُجَيْبَ ورُعَيْنَا في الجبل ، ولقوا بني غُطَيْف وبني وعلان من مراد في الشرق ، وتجب من مهب الشمال ، فجاوزهم غطيف ، فتحول بينهم وبين خطهم ، وكان رَأِيْمُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْخَوْلَانِي مِنْ الْحَيَاوِيَّةِ ، يقال ، إنه رجل من كنانة معروف النسب ، فيهم وفيه يقول ابن جَذَل الطَّمَان :

مَنْ مُبْلَغٌ خَوْلَانٌ عَنِّي رِسَالَةً يُرِيضُهَا ابْنَا فِرَاسٍ بِنِ مَالِكٍ
يَأْتِ أَخَانَا رَائِمَ الْخَلِيرِ فِيكُمْ مُقِيمٌ بِلَا ذَنْبٍ بِأَزْلِ الْمَهَالِكِ
إِلَى مَالِكٍ يَنْمَى إِذَا عُدَّ أَصْلُهُ كِفَانَةُ أَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ الْمَوَالِكِ
فَأَجَابَهُ رَجُلٌ مِنْ خَوْلَانٍ فَقَالَ .

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي فِرَاسًا رِسَالَةً فَتَحَنُّ خَوْلَانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ
إِلَى سَبَا الْأَمْثَلِكِ أَصْلِي وَمَنْبِيتِي يُحَدِّثُنِي جَدِّي بِهِ غَيْرَ هَالِكٍ
قَالَ : وَاخْتَطَّتْ مَذْحِجٌ بَيْنَ خَوْلَانٍ وَتَجِيبٍ ؛ وَاخْتَطَّتْ وَعَلَانُ مِمَّا يَلِي
الْقَصْرَ ، ثُمَّ مَضُوا يَنْزِلُونَ خَوْلَانَ وَتَجِيبَ ، هُمُ وَبَنُو غُطَيْفٍ ، ثُمَّ مَضَتْ مُرَادُ
بِحُطَّتْهَا حَتَّى لَقُوا قِبَائِلَ نَافِعٍ وَرُعَيْنَ ، وَفِيهِمْ بَنُو عَبْسٍ بِنِ زَوْفٍ ، ثُمَّ مَضُوا
بِحُطَّتْهُمْ حَتَّى لَقُوا بَنِي مَوْهَبٍ مِنَ الْمَعَاظِرِ ، وَلَقُوا السُّكْفَ وَسَبَا ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ الصَّحْرَاءِ .

وَقَدْ غَلَطَ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَنِي عَبْسٍ بِنِ زَوْفٍ وَالزَّفَاقُ الْمَنْسُوبُ إِلَى بَنِي
عَبْسٍ ، فَقَالَ : هُمُ عَبْسُ قَيْسٍ ، وَلَيْسَ كَمَا قَالَ .
حَدَّثَنَا أَبُو الْأَسَدِ النَّضْرُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، حَدَّثَنَا ابْنُ لُحَيْعَةَ عَنْ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي
حَكِيمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ . أَكْثَرُ الْقِبَائِلِ فِي الْجَنَّةِ مَذْحِجٌ .
وَاخْتَطَّتْ الْقِبَائِلُ الْمَنْسُوبَةُ إِلَى سَبَا ، مِنْهُمْ ابْنُ ذِي هَجْرَانَ ، وَمَعَهُمُ
السُّكْفُ شَرْقِيَّ جَنْبٍ ، مِمَّا يَلِي مُرَادُ ، ثُمَّ مَضُوا بِحُطَّتْهُمْ بَيْنَ الْمَعَاظِرِ وَحَضْرَمُوتَ
حَتَّى أَصْحَرُوا .

وَاخْتَطَّتْ حَمِيرُ قَبِيلِ خَوْلَانَ وَشَرْقِيَّهَا وَشَرْقِيَّ بَدِيعَةَ مِنْ مَذْحِجٍ ، فَكَانَتْ
يَحْصُوبُ قَبِيلُ الْمَعَاظِرِ حَتَّى قَطَعُوا الْجَبَلَ .

وَاخْتَطَّتْ يَافِعُ وَرُعَيْنُ شَرْقِيَّ خَوْلَانَ ، ثُمَّ لَقُوا قِبَائِلَ السُّكْلَاعِ ، ثُمَّ مَضُوا
بَيْنَ قِبَائِلِ سَبَا وَالْمَعَاظِرِ وَبَيْنَ اصْطَبِلِ مُقَرَّةَ بِنِ شَرِيكَ حَتَّى أَصْحَرُوا .

واختطت المعافر وفيهم الأشعريون والسكاسك شرقى السكلاع ، قولهم من ذلك الأكنوعُ وهم من الأشعريين ، وبنو موهب ثم السكلاسك ، ثم المعافر ، وهم مختلطون .

ثم مضوا بخطهم حتى أصبحوا ينازلون حمير وطائفة من خولان ، وحجبر والمعافر على الجبل موقوفون على قبائل مصر ، وليس في هذا الجبل إلا هذه القبائل ، غير أن جبهة قد كانت نزلت بحرف تبة ، وكانت المعافر قد نزلت إلى جنب عمرو بن العاص ، فأداهم البعوض ، وكان جرئى النيل ، فشكوا في ذلك إلى عمرو ، وسألوه أن ينقلهم ، فقال : لا أجد قوماً أحمل لى من أصحابى ، فنقل قريشا إلى موضعهم ، ونقل المعافر إلى موضعها التى هى به اليوم .

وقال عمرو لأصحابه : اغتنموا فكاكى أنظر إلى المسجد وما حوله قد صار فيه الناس ورغبوا فيه وإلى موضعهم قد خرب ، فكان كما قال .

حدثنا هانىء بن التوكل ، حدثنا ضمام بن اسماعيل عن أبي قبيل عن شئى ابن مانع قال : كان الناس إذا كان قزعٌ خرجوا برايتهم ، وكان لكل قوم موقف ، فكان موقف المعافر تحت السكوم — يريد بالاسكندرية — وقصر فهد الذى بالمعافر ، ومسجد لسبا خطة ، وهو فهد به كثير بن فهد ، وكان ولى برقة أيام أسامة بن زيد الأولى ، وكان قد ولى جزيرة الصناعة ، وهو القصر الذى عند مسجد الزينة .

وفي الأشعريين والسكاسك جاء الحديث -

حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك ، حدثنا الركن بن عبد الله بن سعد عن مكحول عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم بعثه إلى الين حملة على ناقه وقال : يا معاذ ، انطلق حتى تأتى الجند ، فحيث بركت بك هذه الناقة فأذن ، وصل ، وابن فيه مسجدا .

فانطلق معاذ حتى إذا انتهى إلى الجند ، دارت به ناقته وأبت أن تبرك ،
فقال : هل من جند غير هذا ؟

قالوا . نعم ، جند رخامة .

فلما أتاه دارت وبركت ، فنزل معاذ ، فنادى بالصلاة ، ثم قام فصلى ، فخرج
إليه ابن يخامر السكسكى ، فقال : من أنت ؟
فقال : أنا رسول رسول رب العالمين .

فقال : ما تريد ؟

قال : أريد أن أقاتل من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما أن قص عليه معاذ ما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
ابن يخامر : مرحباً بمن جئت من عنده ، ومرحباً بك ، ابسط يدك .
فبايعة ، ووثب إليه ثلثة من الأشعرين ووثب عليه الأملوك ردّمان ، فقال
ابن يخامر : إن العرّضة التي بنيت فيها المسجد لى .

فقال معاذ : خذ ثمنها ..

فقال : لا ، بل هى لله والرسول .

فقاتل معاذ من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثلثة من الأشعرين ،
والاملوك أملوك ردّمان حتى أجابوه .

فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنى قاتلت حتى أجابنى أهل
اليمن بثلثة من الأشعرين والسكاسك والاملوك أملوك ردمان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر للسكاسك والاملوك أملوك
ردمان وثلثة من الأشعرين .

حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب، أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم بخير قبائل ؟ قالوا : بلى . قال : الأملاك أملاك ردمان ، وفرق بين الأشعرين ، وفرق من خولان والسكاسك والسككون .

قالوا ، واختطت بنو وائل في مهب الشمال ، ثم مضوا بخطهم شارعين على النيل حتى لقيت راشدة من ظم مما يلي الأصطبل ، وبين طائفة منهم وبين يَحْصُب وهم في الجبل ، الفارسيون ، وهم قليل .

ثم انحطت طائفة من ظم خاف بنو وائل وشرعوا في النيل ، ثم مضوا يَنَازِعُونَ يَحْصُب ، وهم في جبل ، حتى برزوا إلى أرض الحرث والزرع ؛ وكان بين القبائل فضاء من القبيل إلى القبيل ، فلما مدت الأمداد في زمان عثمان بن عفان وما بعد ذلك وكثر الناس وسع كل قوم لبني أبيهم حتى كثر البنيان والتأم .

فقط الجزيرة

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، وابن هبيرة ، يزيد أحدهما على صاحبه . قال : فاستحبت همدان ومن والاها الجزيرة ، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يعلمه بما صنع الله للمسلمين ، وما فتح عليهم ، وما فعلوا في خططهم ، وما استحبت همدان ومن والاها من النزول بالجزيرة .

فكتب إليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ، ويقول له : كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك ؟ ألم يكن ينبغي لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينهم وبينك بحر ، لا تدري ما يفجأهم ، فلعلك لا تقدر على غيائهم حتى ينزل بهم ما تكره ، فاجمعهم إليك ، فإن أبوا عليك وأعجبهم موضعهم فابني عليهم من في المسلمين حصناً .

فعرض عمرو ذلك عليهم ، فأبوا ، وأعجبهم موضعهم بالجيزة ، ومن والاهم على ذلك من رهطهم ، يافعٌ وغيرها ، وأحبُّوا ما هنالك ، فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن الذى بالجيزة فى سنة إحدى وعشرين ، وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين .

قال غير ابن لبيعة من مشايخ أهل مصر ، أن عمرو بن العاص لما سأل أهل الجيزة أن ينضموا إلى الفسطاط قالوا : مُتَقَدِّمًا قَدِّمْنَا فى سبيل الله ، ما كنا لنرحل منه إلى غيره .

فنزلت يافع الجيزة ، ، فيها مُبَرِّحُ بن شهاب ، وهمدان ، وذو أضحج ، فيهم أبو شمر بن أبرهة وطائفة من الحِجْر ، منهم علقمة بن جنادة ، أحد بنى مالك ابن الحِجْر ، وكانت منهم طائفة قد اختطوا بالفسطاط أسفل من عَقَبَةِ تنوخ ، قد بينت ذلك فى صدر كتابى .

قال : وقد كان دخل مع عمرو بن العاص قوم من العجم ، يقال لهم الحِمْزَاء والفارسيون ، فأما الحِمْزَاء فقوم من الروم ، فيهم بنو يَنْتَ وبنو الأزرق ، وبنو روييل ؛ والفارسيون قوم من الفرس ، وفيهم زعموا قوم من الفرس الذين كانوا بصنعاء ، وكان حامل لواثم ابن يَنْتَ ، وإليه تنسب سقيفة ابن يَنْتَ التى بفسطاط مصر بالحِمْزَاء .

فقال الروم والفارسيون : إنهم العرب ، إنا لا نأمنهم ونخاف الغدر من قبلهم . قالوا : فما رأى ؟ .

قال : نزل نحن فى طرف ، وأنتم فى طرف ، فإن يكن منهم غدر كانوا بيننا .

فقال بعضهم : فإن يكن منهم غدر كانوا بين الحِمْيَ الأسد ، وكنا قد أخذنا بالوثقى .

فنزلت الروم الحمراء التي بالقنطرة ، ونزلت الفرس بناحية بنى وائل ،
فسجد الفارسيين هنالك مشهور معروف .
حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن شيخ من موالى فهم عن
هَلِيٍّ بن رَبَاح قال : قدم عمرو بن العاص بالحمراء والفرسيين من الشام ، قال ابن
لهيعة : سمّاهم الحمراء لأنهم من العجم .

ذكر

أَخَانْدُ (١) الاسكندرانية

قال : وأما الاسكندرانية فلم يكن بها خطط غير أن أبا الأسود النضر بن
عبد الجبار حدثنا عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن الزبير بن العوام
اختط بالاسكندرانية .

ولمّا كانت أخاندة ، من أخذ منزلاً نزل فيه هو وبنو أبيه ، وأن عمرو
ابن العاص لما فتح الاسكندرانية أقبل هو وعبادة بن الصامت حتى علوا السكوم الذي
فيه مسجد عمرو بن العاص ، فقال معاوية بن حُديج : نزل . فنزل عمرو بن
العاص القصر الذي صار لعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ويقال إن عمرأ وهبه
له لما ولي البلد .

ونزل أبو ذر الغفاري منزلاً كان غربي المصلى الذي عند مسجد عمرو بمأبى
البحر ، وقد انهدم ، ونزل معاوية بن حُديج موضع داره التي فوق هذا التل ،
وضرب عبادة بن الصامت بناءً ، فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرانية ، ويقال ،
إن أبا الدرداء كان معه ، والله أعلم .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وابن هبيرة

(١) أَخَانْدُ جمع أَخِيذَة ، بمعنى المَأْخُذ .

في حديثهما قال : فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ، رُبْع للناس ، وربع في السواحل ، والنصف مقيمون معه ، وكان يصيّر الاسكندرية خاصة الربع في الصيف بقدر ستة أشهر ، ويعقب بعدهم شانية ستة أشهر ، وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه ، وانحدوا فيه أخاخذ .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، أن المسلمين لما سكنوها في رباطهم ، ثم قفلوا ، ثم غزوا ابتدروا ، فكان الرجل يأتي المنزل الذي فيه صاحبه قبل ذلك ، فيبتدره ، فيسكنه .

فلما غزوا قال عمرو : إني أخاف أن تخربوا المنازل إذا كنتم تتعاورونها .

فلما كان عند الكريون قال لهم : سيروا على بركة الله ، فمن ركز منكم رُحْه في دار فهي له ولبنى أبيه . فكان الرجل يدخل الدار فيركز رحه في منزل منها ، ثم يأتي الآخر فيركز رحه في بعض بيوت الدار ، فكانت الدار تكون لقبيلتين أو ثلاث .

وكانوا يسكنونها حتى إذا قفلوا سكنها الروم ، وعليهم مَرَّتُها ، فكان يزيد بن أبي حبيب يقول : لا يحل من كرايتها شيء ولا يعها ، ولا يورث فيها شيء ، إنما كانت لهم يسكنونها في رباطهم .

الزيادة في المسجد الجامع

ثم إن مسleme مَخْلَد الانصارى زاد في المسجد الجامع بعد بنيان عمرو له ، ومسleme الذي كان أخذ أهل مصر بينيان المنار للمساجد ، كان أخذه أيامه بذلك في سنة ثلاث وخمسين ، فبنيت المنارة وكتب عليها اسمه .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال : أخذ مسleme بن مَخْلَد الناس بيناء

منار المساجد ، ووضع ذلك عن خولان ، لأنه كان صاهر إليهم وأسقط ذلك عنهم .

ثم هدم عبد العزيز بن مروان المسجد في سنة سبع وسبعين وبناءه ، ثم كتب الوليد بن عبد الملك في خلافته إلى قرّة بن شريك العبسي ، وهو يومئذ واليه على أهل مصر ، وكانت ولاية قرّة بن شريك مصر في سنة تسعين ، قدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وعُزل عبدالله بن عبد الملك ، وفي ذلك يقول الشاعر :

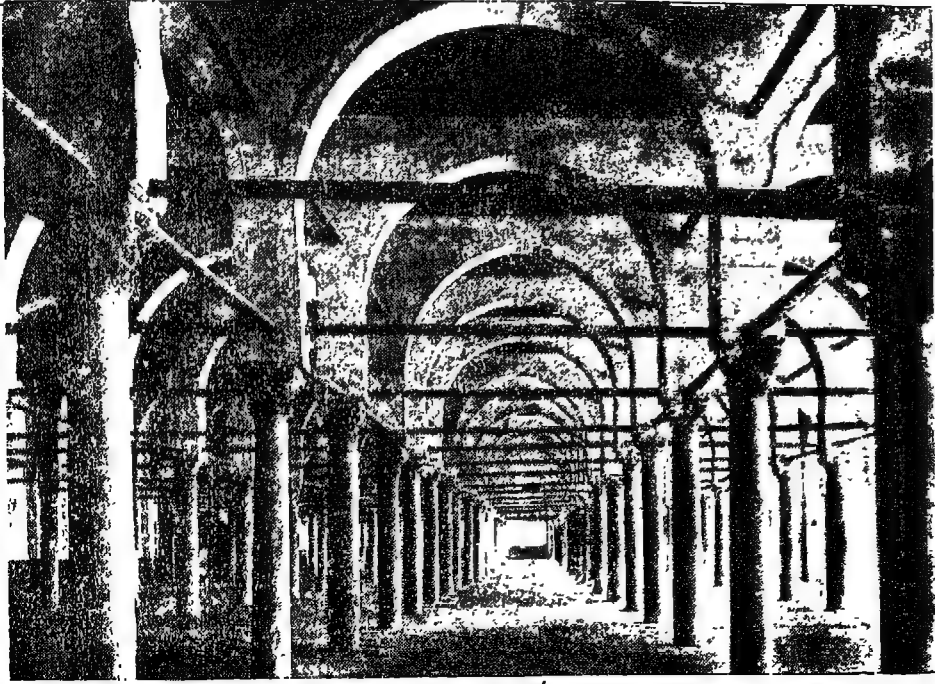
عَجَبًا مَا تَجَبَّيْتُ حِينَ أَتَانَا أَنْ قَدْ أَمَرْتَ قُرَّةَ بْنَ شَرِيكَ
وَعَزَلْتَ الْقَتَى الْمُبَارَكَ عَنَّا ثُمَّ قِيلَتْ فِيهِ رَأَى أَيْسَكَ

فهدمه كله وبناء هذا البناء ، وزوّقه ، وذهب رءوس العمود التي في مجالس قيس ، وليس في المسجد عمود مذهب الرأس إلا في مجالس قيس ، وحول قرّة المنبر حين هدم المسجد إلى قيسارية ^(١) العسل ، فكان الناس يصلّون فيها الصلوات ، ويحتمون فيها الجمع حتى فرغ من بنيانه ، والقبلة في القيسارية إلى اليوم ، وكانت القبّة التي في وسط الجزيرة بين الجسرين في المسجد الجامع

ثم زاد موسى بن عيسى الهاشمي بعد ذلك في مؤخره في سنة خمس وسبعين ومائة ، ثم زاد عبد الله بن طاهر في عرضه بكتاب المأمون بالإذن له . ذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وأدخل فيه دار الرمل كلها إلا ما بقى منها من دار الصرب ، ودخلت فيه دار رمانة وغيرها من بعض الخطط التي ذكرناها .

فكان عمّال الوليد بن عبد الملك كما حدثنا سعيد بن عفير كتبوا إليه ، أن يبيوت المال قد ضاقت من مال الخمس ، فكتب إليهم أن ابنوا المسجد .

(١) القيسارية هي السوق .



منظر داخلي للجامع عمرو بن العاص بالقسطاط — مصر القديمة

بنى هذا المسجد في الشتاء من سنتي ٦٤١ ، ٦٤٢ م وقد اختار عمرو لبنائه الموضع الذي كان فيه لواؤه ، وصار يعرف باسم مسجد أهل الراية ، وكان هذا الموضع بين بساتين وكروم تلي شاطئ النيل ، وكان قد اختط فيه قبل بناء الجامع أبو عبد الرحمن فيسبة بن كاثوم . فلما طلبه منه نزل عنه صدقة للمسلمين ، وكان ذرع المسجد ٥٠ × ٣٠ ذراعا ، وسقفه مطاطاً ، ولم يجعل له صحن ، وقد زيدت فيه زيادات كان أولها ما زاده مسامة بن مخلد في سنة ٧٦٣ م ، فإنه مده إلى جهة الشمال ، وفرشه بالحصر بدل الحصاء ، وجعل فيه منائر . وفي سنة ٦٩٦ أمر عبد العزيز بن مروان بهدم جزء منه ، ثم أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك واليه قرة بن شريك سنة ٧١١ م أن يهدم المسجد كله ويعيد بناءه ، فصار على الصورة التي بقي محتفظاً بها إلى اليوم مع ما دخل عليه من التغير .
(أنظر الجزء الثاني من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية سنة ١٨٩٠ ، والجزء الرابع من كتاب ابن دقاق تحقيق ٥٩ ، ٦٧) .

فأول مسجد بنى بفسطاط مصر المسجد الذي في أصل حصن الروم عند باب الرّيحان ، قبالة الموضع الذي يعرف بالقالوس^(١) ، يعرف بمسجد القلعة .
حدثنا حميد بن هشام الحميري قال : كل مسجد بفسطاط مصر فيه عمود رخام فليس بخطّ .

وأول كنيسة بنيت بفسطاط مصر كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن بعض شيوخ في أهل مصر الكنيسة التي خلف القنطرة أيام سامة بن مخلد ، فأناكر ذلك الجند على مسلمة ، وقالوا له : أتقرّ لهم أن يبنوا الكنائس ؟ حتى كاد أن يقع بينهم وبينه شر ، فاحتج عليهم مسلمة يومئذ ، فقال : إنها ليست في قَيْرَوانكم ، وإنما هي خارجة في أرضهم ؛ فسكتوا عند ذلك .
فهذه خطط مصر .

ذكر

القطائع

قال : وقد كان المسلمون حين اختطوا قد تركوا بينهم وبين البحر والحِصن قضاء لتعريق دوائهم وتأديبها ، فلم يزل الأمر على ذلك حتى ولي معاوية بن أبي سفيان ، فاشتري خطة مسلمة بن مخلد منه ، وأقطعته داره التي بسوق وِردان ، ثم اشترى خطة عقبة بن عامر ، وأقطعته داره التي في القضاء عند أصحاب التبتين ، وهي اليوم في يد فرّج ، ثم اشترى دار أبي رافع التي صارت للسائب مولاة ، وأقطع السائب الدار التي عند حيز الوزّ .

ثم ابنتي عبدالعزيز دار الأضياف ، كانت لأضياف عبد العزيز ، وأقطع معاوية أيضاً سارية مولى عمر بن الخطاب في الزقاق الذي يعرف بحيز الوزّ ، فباعه ولده مُعْطَماً ، وأقطع عبد العزيز خالد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام دار نخرة التي في القضاء ، وكانت له دار موسى بن عيسى النُوشري التي بالموقف .

(١) القالوس مكان كان بفسطاط ، ويروي ابن دقان أن هذا المكان سمي بالقالوس نسبة إلى جمل كان يتخذ مركباً في الرهان ، وكلمة قالوس كلمة رومية ومعناها بالعربية : مرحباً بك ، ولعل الروم كانوا يصفقون لراكب هذا الجمل ، ويقولون هذه الكلمة على عادتهم .

قال : وكان خالد وعمر ابنا عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مع عبد الله ابن الزبير ، وكان أبو بكر بن عبد الرحمن أخا لعبد الملك بن مروان وتربا له ، فلما ظهر عبد الملك بن مروان قال : لا سبيل إلى ما يكره عمر وخالد مع أبي بكر ، ولكن لله على ألا يسكننا الحجاز .

فكتب إلى الحجاج : أن خيرهما في أي الأمصار شاء ، فيلحقا بها . فلحق خالد بعبد العزيز بن مروان ، فأقطعه دار مخرمة في الفضاء ، وكانت له دار موسى بن عيسى التي بالموقف ، وأما عمر فلحق ببشر بن مروان بالعراق ، فله بواسط آثار كثيرة ،

وأقطع عمارة بن الوليد بن عقبة ابن أبي معيط الدور التي تلى أصحاب التبن . قبيلاً ، وكان أبو معيط يسمى أباناً .

حدثني بذلك محمد بن إدريس الرازي ، وله يقول ضرار بن الخطاب .
عَيْنِ فَأَبْنِي الْعُقْبَةَ بْنِ أَبَانَ فَرَزِعَ فِيهِ وَقَارِسِ الْفُرْسَانِ
وله يقول بعض الشعراء :

مَنْ سَرَّهُ شَحْمٌ وَلَحْمٌ رَاكِدٌ فَلَيَأْتِ جَفْنَةَ عُقْبَةَ بْنِ أَبَانَ
قال : وكان عبد الأعلى بن أبي عمرة ، وهو مولى لبني شيبان على أخت موسى بن نصير ، وكانت له من عبد العزيز منزلة ، فخط له داره ذات الحمام ، الذي يقال له حمام التبن .

فلما قدم عبد الأعلى بن أبي عمرة من عند أليون صاحب الروم قال لعبد العزيز : قد أبلت المسلمين في تأجيلهم إيتاي نصحا وبلاء حسنا ، فرلى بأربع سوارى من خرب الاسكندرية ، فأمر له بها ، فهي على حوض حمامه الأعظم ، وكان عبد العزيز يرسله بالبز إلى ابن عمرة .

حدثنا أبو الأسود، حدثنا ابن لهيعة عن عبيد الله بن الغيرة عن عبد الأعلى
ابن أبي عمرة أن عبد العزيز بن مروان أرسل معه بألف دينار إلى ابن عمر ،
فقبلها .

قال : وأقطع عبد الملك بن مروان عمر بن علي الفهري ، ثم أحد بني محارب ،
داره ذات الحمام التي اشتراها موسى بن عيسى إلى جنب أصحاب القرط ، وذلك
أن عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد كان عمر بن علي ممن أبلى معه
وكان في أصحابه ، فدخل عليه في خاصته وعمرو بن سعيد مقتول ، فاستشارهم في
قتله ، فكلمهم هاب قتله ولم يره .

فقال عمر بن علي : اقتله ، قتله الله ، فلا يزال في خلاف ما عاش .

قال عبد الملك : ها هو ذا .

قال : فآلت رأسه إلى الناس ، وأنهم بيت المال . يفترون عنك .
ففعل ، فافترق الناس ، وأرسله عبد الملك إلى منزل عمرو يفتشه ، فوجد فيه
كتبها فيها أسماء من بايعه . فأحرقها .

وبلغ ذلك عبد الملك . فقال له : ما حملك على ما فعلت ؟

قال : لو قرأتها لما صح لك قلب شامي . ولا استقامت طاعته إذا علم أنك
قد علمت بخلافه إياك .

فصوب رأيه وحده ؛ وأقطعه داره ذات الحمام التي اشتراها موسى بن عيسى
إلى جنب أصحاب القرط ^(١) .

قال عبد الملك بن مسابة : هي قطعة من عبد العزيز للفهري ، ولم يسمه
باسمه إلا أن ابن عفير سماه .

(١) في نسخة ب وح زيادة قال : وبني عبد العزيز القيساريات التي للعسل والحبال والكبان ،
والقرط نبات الدحرج ، وكان أهل مصر يبدءون بزراعة ، ويقطعونه وهو أخضر لعلف الماشية .

وقال عبد الملك بن مسلمة : أقطعها عبد العزيز الفهرى مَوْلى ابن رُمّانة حين قدم عليه ، وبنّاها له يزيد بن رُمّانة ، وهى الدار التى تعرف اليوم بدار السلسلة .

وآل عبد الرحمن يزيد بن أنيس الفهرى يفسكرون ذلك ، وهم بذلك أعلم ، ويقولون إنها لأبى عبد الرحمن الفهرى ، اختطها عام فتح مصر ، ولم يكن بى منها شيئا غير سورها ، ثم خرج إلى الشام ، فاستشهد بها ، ثم قدم ابناه العلاء وعلى ، وكان العلاء أسنهما ، وقد كان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم إلى مصر ، فجعل ذلك البناء مثل المربد العظيم . ولم يجعلها فيها إلا منزلا واحدا ، وأسكنها معه مولى لها ، يقال له مُحَنَس ، ثم خرج العلاء إلى المدينة ، فقتل عام الحرّة ، وخلف الحارث بن العلاء ، وخرج على إلى الشام ، فتوفى بها وخلف عمر بن على ، فصار بمنزلة عند عبد الملك .

فبعث إلى ابن رُمّانة ، وأرسل إليه بمال ، وسأله أن يبني له دار جدّه بأحسنكم ما يقدر عليه ، ويجعل له فيها حماما ، ويجعل له خوخة فى داره ، إذا أراد أن يدخله دخله ، يقال : إن ذلك ذكر لك ولشيخك فترك ذلك ابن رُمّانة ، فبنّاها ، وجعل سورها أكثر من ذراعين بذراع البناء ، وجعلها تدور بعمد رخام ، وجعل قاعها مستديرة ، ولم يجعل فوقها بناء .

ثم قدم عمر بن على مصر ، وقد فرغ منها ابن رُمّانة ، فقال له عمر : لقد اتقنت غير أنك لم تجعل لها مسجدا .

فبنى المسجد الذى يعرف اليوم بمسجد القُرُون ، بنّاه مثل الدكان الكبير ، ونحّاه عن الدار ، وجعل بينه وبين الدار فُرْجة ، وكان يجاس فيه ؛ ثم بنّاه بعده أبو غون عبد الملك بن يزيد ، ثم زاد فيه المطلب بن عبد الله الخزاعى ، ثم احترق ، فبنّاه السرى بن الحكم هذا البناء ، ثم مات عمر بن على ، فورث الحارث بن

العلاء — وهو ابن أخيه — كل ما ترك ، وحبس الدار على الأقمع فلا أقعد
بالخارث بن العلاء من الرجال دون النساء أبداً ما تناسلوا ، وتقديم كل طبقة على من
هو أسفل منها ، فإذا انقضى النساء فهي وحمامها وكومها المعروف بأبي قشاش
يقسم ذلك أثلاثاً ، ثلث في سبيل الله ، وثلث في الفقراء والمساكين ، وثلث على
مواليه وموالى ولده وأولادهم أبداً ما تناسلوا بعد مرمتها ، ورزق قيم إن كان لها ،
فإذا انقضى الموالى فلم يبق منهم أحد فعلى الفقراء والمساكين بفسطاط مصر ومدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يرى من وليها من عمارتها .

واسم أبي عبد الرحمن يزيد بن أنيس بن عبد الله بن عمرو بن حبيب بن
عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر . وعمر بن حبيب هو آكل السقب^(١) ،
وأُمّه السوداء ابنة زهرة بن كلاب ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

بَنُو آكِلِ السَّقْبِ الَّذِينَ كَانَتْهُمْ نَجُومٌ بِأَفَاقِ السَّمَاءِ تَنُورُ^(٢)

وكان عند دار السلسلة ، فلا أدري أهى هذه الدار أم غيرها ؟ حوض من
رُخام ، وكان يملأ في الأعياد طلاء ، وتجعل عليه الآنية ويشرب الناس .

فلم يزل الأمر على ذلك حتى عمر بن عبد العزيز فقطعه .

وبالفسطاط غير دار يقال لها : دار السلسلة ، سوى دار الفهرى ، منها دار
السهمى التى فى الحذائين ، والدار التى فيها أُصْبِغَ الفقيه فى رقاق القناديل .

قال : وبني عبد العزيز بن مروان القيساريات ، قيسارية العسل ، وقيسارية
الحبال ، وقيسارية الكباش ، وهى فى خُطّة قوم من بليّ ، يقال لهم الرّحاحيّة ،
والقيسارية التى يباع فيها البزّ ، وهى التى تعرف بقيسارية عبد العزيز ، وأدخل

(١) وفى نسخة ١ شرح على الهامش . مسمى بذلك لأنه أغار على بكر بن وائل ،
ولهم سقب يعبدونه ، فأخذ السقب فأكله ، قاله ابن الكلّى الفهرى .
(٢) السقب : هو الذكر من ولد الناقة ، ولا يقال للأُنثى سقبة .

فيها من خطط الراية ؛ وكان فيها منزل كعب بن عدى العبادي ، فوضه منها داره في بني وائل .

قال : وبنو هشام بن عبد الملك قيساريته التي تعرف بقيسارية هشام يباع فيها البرّ القسّطاطي في الفضاء بين القصر وبين البحر ، وبقيت بعد ذلك من الفضاء بقية بين بني وائل والبحر ، فأقطعها بنو العباسي الناس .

قال : وأقطع عمرو بن العاص حين ولي وَرْدَان مولاة الأرض التي خلف القنطرة ، التي غَرَبَهَا أَبُو حَمِيد إلى كنيسة الروم التي هناك ، وما كان عن يمينك من رأس الجسر القديم إلى حَمَام الكيش ، وهو الحمام الذي يعرف اليوم بحمام السوق ، والآخر إلى ساحل مَرِيس ، فكل ذلك كان للوليد بن عبد الملك ؛ وكان للوليد أيضا ما كان على يسارك من الجزيرة وأنت خارج إلى الجزيرة والخوانيت اللاصقة بجزيرة الصفاة .

وكان عمر بن الخطاب قد أقطع ابن سَنَدَر مُمْنِيَة الأصبغ ، فحاز لنفسه منها ألف فدان كما حدثنا يحيى بن خالد عن الليث بن سعد ، ولم يبلغنا أن عمر بن الخطاب أقطع أحداً من الناس شيئاً من أرض مصر إلا ابن سندر ، فإنه أقطعه مُمْنِيَة الأصبغ فلم تزل له حتى مات ، فاشترها الأصبغ بن عبد العزيز من ورثته ، فليس بمصر قطعة أقدم منها ولا أفضل .

وكان سبب إقطاع عمر ما أقطعه من ذلك كما حدثنا عبد الملك بن مسleme عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه كان لزُبَاع الجذامي غلام يقال له سَنَدَر ، فوجده يُعَبِّل جارية له ، فَجَبَّه وَجَدَع أذنيه وأنفه .

فأتى سندر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى زُبَاع ، فقال : لا تُعْجِلْهُم مالا تُطيقون ، وأطعموهم مما تأكلون ، وأكسوهم مما تلبسون ، فإن

رضيتم فامسكوا ، وإن كرهتموهم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله ، ومن مُثل به أو
أُحرق بالنار فهو حرّ ، وهو مولى الله ورسوله .

فأعتق سندر . فقال : أوصِ بي يا رسول الله .

قال : أوصى بك كلّ مُسلم .

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى سندر إلى أبي بكر الصديق رضى
الله عنه ، فقال : احفظ في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعالَهُ أبو بكر حتى توفى ، ثم أتى عمر ، فقال له : احفظ في وصية رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فقال : نعم ، إن رضيت أن تقيم عندي أجريت عليك ما كان يُجرى عليك .
أبو بكر ، والا فانظر أىّ المواضع أكتب لك .

فقال سندر : مصر ، فإنها أرض ريف .

فكتب له إلى عمرو بن العاص ، احفظ فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم على عمرو قطع له أرضا واسعة ودارا ، فجعل سندر يعيش فيها ، فلما
مات قبضت في مال الله .

قال عمرو بن شعيب ، ثم أقطعها عبد العزيز بن مروان الأصمغ بعدُ ، فهي
من خير أموالهم .

وروى ابن وهب عن أبي لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط
التميمي عن عبد الله بن سندر عن أبيه أنه كان عبداً لزنْبَاع بن سلامة الجذامي .
فعتب عليه ، فخصاه وجدهه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأغْلَظَ
لزنْبَاع القول وأعتقه منه ، فقال : أوصِ بي يا رسول الله . قال : أوصى بك
كل مسلم .

قال يزيد : وكان سندر كافرا .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب ، أن غلاما الزنباغ الجذامي اتهمه ، فأمر بإخصائه وجذع أنفه وأذنيه ، فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعتقه ، وقال : أَيْمًا تَمْلُوكُ مُثْلَ بِهِ فَهُوَ حُرٌّ ، وهو مولى الله ورسوله . فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفق به ، فلما اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ابن سندر : يا رسول الله ، إنا كما ترى ، فن ألنا بعدك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصى بك كل مؤمن .

فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه أقرَّ عليه نفقته حتى مات ، فلما ولي عمر بن الخطاب أتاه ابن سندر ، فقال . احفظ في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له . أنظر أي أجناد المسلمين شئت فآلحق به ، أمر لك بما يصلحك . فقال ابن سندر : آلحق بهصر .

فكتب له إلى عمرو بن العاص ، يأمره أن يأمر له بأرض تسمعه ؛ فلم يزل فيها يسعه بهصر .

ويقال : سندر وابن سندر . والله أعلم بالصواب .

ولأهل مصر عنه حديثان مرفوعان : هذا أحدهما ، والآخر ، حدثنا يحيى ابن بكير وعبد الملك بن مسامة قالا : حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخليل عن ابن سندر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَسْلَمَ سَالِمُهَا اللَّهُ ، مَوْغِفَارُ غَفَرِ اللَّهُ لَهَا ، وَتُجِيبُ أَجَابَتِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ .

(١) في نسخة م ، ح : ولهم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد ، ويكنى سندر بأبي الأسود ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير .

قال ابن بكير في حديثه . نقلت : يا أبا الأسود ، أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر تَجِيبَ ؟ قال نعم . قلت : وأحدث الناس عنك بذلك ؟ قال : نعم .

خروج عمرو إلى السريف

حدثنا عبد الرحمن بن صالح عن عبد الرحمن بن شريح عن أبي قبيل قال : كان الناس يجتمعون بالفسطاط إذا قفلوا ، فإذا حضر مرافق السريف خطب عمرو ابن العاص الناس ، فقال : قد حضر مرافق ريفكم ، فانصرفوا ، فإذا حمض اللابن واشتد العود وكثر الذباب فتحى على فسطاطكم ، ولا أعلم ما جاء أحدكم قد أسمن نفسه وأهزل جواده .

حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : كان عمرو يقول للناس إذا قفلوا من غزوهم : إنه قد حضر الربيع فمن أحب منكم أن يخرج بجواده يُزْبِعُهُ فليُفْعَلْ ، ولا أعلم ما جاء رجل قد أسمن نفسه وأهزل فرسه ، فإذا حمض اللبن وكثر الذباب فارجدوا إلى قيروانكم .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا الليث بن سعد أن عمرو بن العاص كان يقول للناس إذا قفلوا : أخرجوا إلى أريافكم ، فإذا غنى الذباب وحمض اللبن ولوى العود فتحى على فسطاطكم .

خطبة عمرو بن العاص

حدثنا سعيد بن مسرة عن اسحاق بن الفرات عن ابن لهيعة عن الأسود ابن مالك الحميري عن بجير بن ذخير المعافري قال : رُحْتُ أنا ووالدي إلى صلاة

الجمعة تهجيراً ، وذلك آخر الشتاء ، أخذه بعد حميم النصارى ^(١) بأيام يسيرة ، فأطلقنا الركوع إذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس ، فذعرت ، فقلت يا أبت : من هؤلاء ؟ قال : يا بني ، هؤلاء الشرط .

فأقام المؤذنون الصلاة ، فقام عمرو بن العاص على المنبر ، فرأيت رجلاً ربعة ، قصد القامة ، وافر الهامة ، أدعج ، أبلج ، عليه ثياب موشية كأن به العقيان ^(٢) ، تأتلق عليه حلة وعمامة وجبة ، فحمد الله وأثنى عليه حمداً موجزاً ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ووعظ الناس ، وأمرهم ونهاهم ، فسمعتهم يحضُّون على الزكاة وصلة الأرحام ، ويأمرهم بالاعتصام وينهى عن الفضول وكثرة العيال ، وقال في ذلك : « يا معشر الناس ، إياي وخيلاً أربعاً ، فإنها تدعو إلى النصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السعة ، وإلى المذلة بعد العزة ، إياي وكثرة العيال وإخفاض الحال وتضييع المال والقليل بعد القال في غير درك ولا نوال ، ثم إنه لا بد من فراغ يؤول إليه في توديع جسمه ، والتدبير لشأنه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ، ومن صار إلى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ، ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه فيحور من الخير عاطلاً ، وعن حلال الله وحرامه غافلاً .

يا معشر الناس ، إنه قد تدلت الجوزاء ، وذكت الشُّعرى ، وأقلمت السماء ، وارتفع الوباء ، وقل الندى ، وطاب المرعى ووضعت الحوامل ، ودراجت السخائل ^(٣) ، وعلى الراعي بحسن رعيته حسن النظر ، فحى لكم على بركة الله إلى ريفكم ، فنالوا من خيرهِ ولبنهِ وخِرَافِهِ وصيده ، وأزيموا خيلكم وأسمنوها ، وصونوها وأكرموها ، فإنها جنتكم من عدوكم ، وبها مغانكم وأثقالكم ، واستوصوا بمن جاوز تموم من القبط خيراً ، وإياي والمشمومات والمعسولات ، فإنهم يفسدون الدين ويقصرون الهمم ،

(١) هو خيس المهدي . (٢) التهب الخالص .

(٣) ولد الشاة ذكراً كان أو أنثى من المز والضأن .

حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر . فاستوصوا بقبطها خيرا ، فإن لكم منهم صِهْرًا وذَمَّةً . فَمُتُّوا أَيْدِيَكُمْ وَفُرُوجَكُمْ ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ . ولا أعلم ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه ، واعلموا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علة حَطَّطْنُهُ من فريضة قَدَّرَ ذلك ، واعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم إليكم وإلى دراكم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية .

وحدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جُنُدا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض » . فقال له أبو بكر : ولم يا رسول الله ؟ قال : « لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة » .

فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم ، فتمتعوا فى ريفكم ما طاب لكم ، فإذا ببس العود وسخن العمود وكثر الذباب وحمض اللبن وصوح ^(١) البقل ، وانقطع الورد من الشجر فحى على فسطاطكم على بركة الله .

ولا يقدمن أحد منكم ذر عيال على عياله إلا ومعه تحفة لعياله ، على ما أطاق من سَعته أو عُسرته ، أقول قولى هذا وأستحفظ الله عليكم » .

قال : فحفظت ذلك عنه ، فقال والذى بعد انصرفنا إلى المنزل لما حكيت له خطبته : إنه يا بنى يحدو الناس إذا انصرفوا إليه على الرباط كما حداهم على الريف والدَّعة .

(١) صوح البقل أى تم يبسه ، ومثله تصوح .

ذكر

مرتبع الجند^(١)

قال : وكان إذا جاء وقت الربيع واللبن كتب لكل قوم بريتهم ولبنهم إلى حيث أحبوا ، وكانت القرى التي يأخذ فيها عظمهم منوف ودِسْبَنْدِس^(٢) وأهناس^(٣) وطحّا^(٤) : وكان اهل الراية متفرقين ، فكان آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد يأخذون في منوف ووسيم^(٥) وكانت هذيل تأخذ

(١) ذكر القرزى في خطه أنه لما فتحت مصر كانت الصحابة لا تسكن الريف ، وكانت جيم القرى مملوءة بالقبط والروم ولم ينتشر الإسلام في قرى مصر إلا بعد السنة المائة من الهجرة ، وكانت عادة الصحابة إذا جاء وقت الربيع كتب لكل قوم بريتهم ولبنهم إلى حيث أحبوا ، وكانت القرى التي يأخذ فيها معظمهم منوف وسمنود وأهناس وطحّا .
(٢) دسبندس : من القرى المصرية القديمة واسمها الحالى سنديس ، وقد حرف إليه في القرن السادس الهجرى ، وقد وردت به في قوانين ابن ممانى ، ومى من بلاد مركز قايوب من أعمال محافظة القليوبية .

(٣) اسم ثلاث قرى متجاورة من محافظة بنى سويف في جنوب اللاهون واقعة على جسر النورية ، وهذه القرى الثلاث مع قرية منشأة أهناس تشغل محل المدينة القديمة التي كانت تسمى أهناس أو أهناسية ، وقد كانت متسعة جداً ، وكانت قاعدة إقليم يشتمل على خمس وتسعين قرية ، والظاهر أنها المدينة الفرعونية التي سماها اليونانيون هرقلوبوليس ، وقال مريت المؤرخ ، إن هذه المدينة ينسب إليها فراغة الأسرتين التاسعة والعاشر .

(٤) طحّا بلدة مصرية قديمة من بلاد مركز البهنسا من أعمال محافظة المنيا ، وكان سكانها في صدر الإسلام خمسة عشر ألف نفس كلهم نصارى ، ليس فيهم مسلم ولا يهودى ، وقد ذكر القرزى أنه كان بناحية طحّا كنيسة على اسم الحواريين ، وكنيسة أخرى باسم مريم العذراء ، وقال ابن حوقل : كان فيها عدة أنوال لنسج الأقمشة وأسقفية .

(٥) وسيم : ويسمى الإفرنج بوشيم ، بلدة من أعمال محافظة الجيزة قسم أول ، غربى امبابة وشرق السكوم الأحمر في حوض الجسر الأسود ، ومى مشهورة في الزمن القديم والإسلام ، وفي خطط القرزى : أنها كانت زمن فتح مصر من منازل العرب الذين فتحوا مصر لما أمروا بالفرق في البلاد لربيع خيولهم ووكّل ذلك لاختيارهم ، وكانت وسيم في القديم مدينة عظيمة ، ويسمى اليونان أفنطوس .

في بنا بُوَصِير^(١)، وكانت عَدَوَان تأخذ في بوسير بنو عَيْك التي يأخذ فيها عظمهم بوسير^(٢) ومنوف ودسندس وأتريب .

وكانت بلى تأخذ في منف وطرا بية^(٣) ؛ وكانت قههم تأخذ في أتريب . وعين شمس^(٤) ومنوف^(٥) ؛ وكانت مَهْرَة تأخذ في تَقَا^(٦) ومَمَى^(٧)، وكانت الصَدِف تأخذ في الفيوم وترابية^(٨) وقُرْبَيْط^(٩) ؛ وكانت جُذَام تأخذ في .

(١) بنا بوسير في الأصل بنا وبوسير وهو تصحيف من الناسخ فالاسمان كلمة واحدة للبلد واحد من أعمال مركز المحلة الكبرى بمحافظه الغربية على الشط الغربي لفرع دمياط شرق منية حبيب ، وتضاف بنا إلى بوسير ، كما تضاف بوسير إلى بنا ، وقد جعلها المقرري رأس خط ، عدد قراه . ثمان وعشرون قرية ، وفي تاريخ بطارقة الإسكندرية أن بنا بوسير كانت مقر أسقفية .

(٢) بوسير — يشترك في هذا الاسم أربعة بلاد مصرية منها بليدة كانت بكورة السنودية بالوجه البحري ومنها بوسير الفيوم ومنها بوسير الجيزة وبوسير البهنسا ، وكانت هناك خامسة بهذا الاسم ، وقد اندرست ولا تزال آثارها موجودة على سلسلة الجبال المتصلة بالاسكندرية ممتدة إلى جهة الغرب في جنوبي البحر المتوسط على بعد خمسمائة متر ، وجعلها الآن قلعة بوسير التي في غرب الاسكندرية .

ويرجح في رأي أن المراد من هذا البلد الذي أُلغيت فيه عدوان في الريم هو بوسير سمندود ، فقد تكلم عنها هيرودوت ويودور الصقلي واسترابون وبطليموس ، وذكرها الادريسي وأبو الفداء والمقرري وغيرهم ، وقد حدد أبو الفداء مكانها بمركز سمندود ، وواقعه ماجاء في دفاتر التعداد القديمة أنها غربي سمندود ، وقال المقرري لها رأس خط ، وكانت مركز أسقفية .

(٣) طرا بية مدينة مصرية قديمة عدها المقرري ضمن خطط الوجه البحري ، وحمل بها ثمانية وعشرين قرية من ضمنها بلدة فاقوس من أعمال محافظة الشرقية ، وقال مؤرخو الإفرنج أن طرا بية هي طرافية المدينة القبطية ، وقد ذكر بطليموس أنها خط واقم شرق الفرع البيلودياق أي فرع الطينة ، وكان كرسية قرية فاقوس .

(٤) عين شمس ضاحية من ضواحي القاهرة تقع في شمالها ، وهي إحدى المدن المصرية القديمة ، وقد اشتهرت بعسلاتها الفرعونية الأثرية .

(٥) منوف بلدة قديمة تنسب إليها محافظة المنوفية التي قصبتها الآن بلدة شبين الكوم . ومنوف حايًا مركز من مراكز الهامة ، وقد نشأ بها جلة من الأفاضل والعلماء .

(٦) قرية من أعمال محافظة المنوفية بمركز منوف غربي ترعة الرساوية .

(٧) هي مَمَى الأمديد ، قرية قديمة في مركز السنبلاوين من أعمال محافظة الدقهلية . وبها تل قديم به آثار بناء ويجواره مقام شهيد يعرف بمقام عبد الله بن سلام .

(٨) كَذَا في الأصل ، وصوابها طرا بية سالفة الذكر .

(٩) جاء في مجمع البلدان أنها من كور أسفل الأرض (الدلتا) بمصر ، ولم تذكرها مراجع أخرى وصل إليها جهدي .

طراية وقريط ؛ وكانت حضرموت تأخذ في بئها^(١) وعين شمس وأتريب ، وكانت مُراد تأخذ في منف والفيوم ، ومعههم عبّس بن زَوْف ؛ وكانت حمير تأخذ في بوصير ؛ وقرى أهناس ؛ وكانت خولان تأخذ في قرى أهناس والبهنسا^(٢) والقيس^(٣) ؛ وآل وَعَلَة يأخذون في سقط من بوصير ؛ وآل أبرهة يأخذون في منف ؛ وغفّار وأسلم يأخذون مع وائل من جذام وسعد في بسطة^(٤) وقريط وطراية ؛ وآل يسار بن ضينة في أتريب ؛ وكانت المعافر تأخذ أتريب وسخا ومنوف ؛ وكانت طائفة من تحيب ومراد يأخذون باليدقون^(٥) .

وكان بعض هذه القبائل ربما جاوز بعضها في الربيع ، ولا يُوقع من معرفة هذا على أحد ، إلا أن عظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا ، وكان يسكتب لهم بالربيع فيربعون ، وبالبين ما أقاموا .

وكان لغفّار وليث أيضاً مُرتبع بأتريب .

قال : وأقامت مذلج بحر بئها^(٦) فاتخذوها منزلاً ، وكان معهم نفر من حخير من

(١) بئها بلدة من محافظة بئ سويف واقعة على الشاطئ الغربي للنيل ، وهي بلدة قديمة يقال إنها كانت كرسى حكم في الأزمان السالفة .

(٢) البهنسا : بلدة قديمة على الشاطئ الغربي من بحر يوسف من أعمال مركز مغاغة بمحافظه المنيا ، وكانت قاعدة إقليم ، ولها شهرة كبيرة في تاريخ فتوح مصر ، وكانت البهنسا وقت فتح المسلمين بلاد مصر عالية الجدران حصينة الأسوار والبنيان ، وكان لها أربعة أبواب الى الجهات الأربعة ، وكان بها أربعون رباطاً وكنائس وقصور ، ولما أخذت بالفتح تغيرت معالمها واندرس كثير من آثارها ، وتجددت بها آثار إسلامية ، فكانت من أعظم بلاد مصر .

(٣) القيس : قرية بمركز بئ حزار من أعمال محافظة المنيا في الجنوب الشرقى للبهنسا ، وفي غربها تلؤل البلدة القديمة ، وكان لها ولأهناس في الأزمان القديمة حاكم واحد ، وكانت البلدة القديمة تسمى فايس ، وكانت ذات أسقفية وقد حفظ لها العرب اسمها القديم بتعريف قليل .

(٤) بسطة : مدينة كانت ذات شهرة وفخامة ، ولم يبق منها إلا تلال تعرف بتلال بسطة في جنوبى مدينة الزقازيق ، وكانت مقر الأسرة الثانية والعشرين من الوراثة ، وكانت بوسطها معبد شهير للقديسة يونا سطيس المسماة عند اليونان ديان .

(٥) اليدقون كورة بمصر من كور الخوف الغربى ، ولم يرد لها ذكر إلا في معجم البلدان بهذا التعريف .

(٦) خبرتنا : قرية قديمة من قرى مصر بمحافظه البحيرة مركز النجيلة غربى قرق رشيد وغربى كوم حمادة ، وكانت كرسى خط يعرف باسمها ، وقد ذكر المقرئى وابن عباس أن خضها كان يشمل اثنتين وستين قرية غير السكفور .

ذُبحان ، وغيرهم حالقوهم فيها ، فهي منازلهم .

ورجعت خُشَيْن واطائفة من لحم وجذام فقتلوا أكتاف صان وإبليل وطرايبة ، ولم يحفظوا ، ولم تسكن قيس بالخوف^(١) الشرق قديما ، وإنما الذي أنزلهم به ابن الحبحاب ، وذلك أنه وفد إلى هشام بن عبد الملك ، فأمر له بفریضة ، خمسة آلاف رجل ، ثلاثة آلاف رجل - شك عبد الرحمن - فجعل ابن الحبحاب الفريضة في قيس ، وقدّم بهم ، فأنزلوا بمصر الخوف الشرق .

ذكر خيل مصر

قال : فلما نزل الناس واطمأنبت بهم منازلهم كانوا يخرجون فيؤذبون خيلهم في المضمار .

حدثنا أحمد بن عمرو ، حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد ابن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شماس المهری عن معاوية بن حديج أنه مرّ على رجل بالمضمار معه الفرس بمسك برسنه على كئيب ، فأرسل غلامه لينظر من الرجل ؟ فإذا هو بأبي ذر ، فأقبل ابن حديج إليه ، فقال له : يا أبا ذر ، إني أرى هذا الفرس قد عثاك ، وما أرى عنده شيئا .

قال أبو ذر : هذا فرس قد استجيب له .

قال ابن حديج : وما دعوة بهيمة من البهائم ؟

فقال أبو ذر : إنه ليس من فرس إلا أنه يدعو الله كل سحرية ، اللهم ، أنت خولتني عبدا من عبيدك ، وجعلت رزقي بيده ، اللهم اجعلني أحبّ إليه من ولده وأهله وماله .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم وشُعَيْب بن الليث قالا ، حدثنا الليث

(١) الإقليم الشرق من الدلتا ، وهو الواقع شرق النيل وكانت مصر مقبوضة أحوافاً .

ابن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماس عن معاوية بن حُديج حَدَّثَهُ ، أَنَّهُ -
مَرَّ عَلَى أَبِي ذَرٍّ وَهُوَ قَائِمٌ عِنْدَ فَرَسٍ لَهُ ، فَسَأَلَهُ ، مَا تَعَالَجُ مِنْ فَرَسِكَ ؟ فَقَالَ : إِيَّيْ .
أُظِنُّ أَنَّ هَذَا الْفَرَسَ قَدْ اسْتَجِيبَتْ دَعْوَتُهُ . ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ وَهْبٍ .

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ عَنْ قَيْسِ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ : مَرَّ بِنَا
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُذَيْجٍ وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ حَنْشِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ نَحْوِ صَفَا
مَهْرَةٍ ، فَنُفِّلَ عَنِ السَّلَامِ ، فَنَادَاهُ حَنْشٌ ، تَمَرَّ وَلَا تَسَلِّمْ ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَشْفَعُ
لَكَ عِنْدَ أَبِيكَ ، أَنْ يَجْعَلَ لِسِرِّجِكَ رُكَابًا تَضَعُ فِيهِ رِجْلَكَ .

قَالَ : وَكَانَ وَلَدُ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُذَيْجٍ لَيْسَتْ لِسُرُوجِهِمْ رُكُوبٌ ، إِنَّمَا يَثْبُونَ عَلَى
الْخَيْلِ وَثَبًا .

وَقَالَ : وَكَانَتْ أَصُولُ خَيْلٍ مِصْرٍ مِنْ خَيْلٍ سَمِيَ ابْنُ عُفَيْرٍ بَعْضَهَا ، مِنْهَا أَشْقَرُ
صَدْفٍ ، وَكَانَ لِأَبِي نَاعِمَةَ ، مَالِكُ بْنُ نَاعِمَةَ الصَّدْفِيُّ ، وَبِهِ سَمِيَتْ خَوْخُهُ الْأَشْقَرُ
الَّتِي بِفَسْطَاطِ مِصْرٍ .

وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَشْقَرَ نَفَقَ ، فَكَرِهَ صَاحِبُهُ أَنْ يَطْرَحَهُ فِي الْأَكْوَامِ -
كَأَنَّهُ تَطْرَحَ جَيْفُ الدَّوَابِّ ، فَخَفَرُ لَهُ ، وَدَفَنَهُ هُنَاكَ ، فَتَسَبَّبَ لِلْوَضْعِ إِلَيْهِ .
حَدَّثَنَا أَبِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَكَمِ قَالَ : لَمَّا افْتَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْقَصْرَ كَانَ رَجُلٌ مِنَ
الرُّومِ يُقْبَلُ فِي نَاحِيَةِ الْقَصْرِ عَلَى بَرْدَوْنَ لَهُ أَشْهَبُ ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ ،
فَيَقْتُلُ وَيَطْمُنُ ، فَتَطْلُبُهُ خَيْلُ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ؛ وَكَانَ صَاحِبُ الْأَشْقَرِ غَائِبًا ،
فَلَمَّا قَدِمَ أَخْبَرَ بِذَلِكَ ، فَسَكَنَ لَهُ فِي مَوْضِعٍ ، وَأَقْبَلَ الْعِلْجَ ؛ فَفَعَلَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ،
فَطْلَبَهُ صَاحِبُ الْأَشْقَرِ ، فَأَدْرَكَهُ .

فَقَالَ : فَاشْتَغَلَتْ بِقَتْلِ الْعِلْجِ ، وَشَدَّ الْأَشْقَرُ عَلَى الْمُهْجِينَ ، فَقَتَلَهُ .

وَمِنْهَا ذُو الرِّيشِ ، فَرَسُ الْعَوَّامِ بْنِ حَبِيبِ الْيَحْصِيَّيِّ ، وَالْخَطَّارُ فَرَسُ لَيْيَدٍ

ابن عُقْبَةَ السَّوْمِيِّ ، والدُّعْلُوقُ فُرسَ حَجَّيرَ بنِ وائلِ السَّوْمِيِّ ، وَتَجَلَّى فُرسٌ
كَانَتْ لَعَلَّكَ ، وَلَهَا يَقُولُ الشَّاعِرُ :

سَبَقَ الْأَقْوَامَ عَجَلَى سَبَقَتَهُمْ وَهَى حُبْلَى

حدثنا عبد الواحد بن إسحاق ، حدثنا مروان بن معاوية عن أبي حَيَّانِ
التَّمِيمِيِّ عن أبي زُرْعَةَ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَمَّى
:الأنثى من الخيل فرسا . .

قال : وَتَجَلَّى الَّتِي قَالَ عبد الرحمن بن معاوية حَدِيحَ لُحْمٍ بنِ أُنْبَعِجِ الْمَسْكِيِّ :
ما فعلت تَجَلَّى؟ على وجه الاستهزاء ، فقال : أما إن لها في أمك سَهْمَيْنِ .
قال : وكان للحم أيضا فرس يقال له أُبَلَقَ لُحْمٍ ؛ وكان الجَوْنُ لُعْبَهُ بنِ
كَلْبِيبِ الْحَضْرَمِيِّ .

وكان عبد العزيز بن مروان قد طلب الخَطَّارَ من ليلى بن عقبة ، فامتنع عليه ،
فأغراه إفريقية ، فأتى بها ، فلما كان موسى بن نصير أهدى إلى عبد العزيز بن مروان
خيلا فيها الخَطَّارُ . قال ، وقد طالت معرفته وذنبه ؛ فلما صارت إليهم الخيل لم
يجدوا من يعرف الخَطَّارَ ؛ فقالوا : ابنة ليلى ؛ فبعث به عبد العزيز إليها ؛ فقالت
لمن أتاه ، إنى امرأة ، فأخرجوا عنى حتى أنظر إليه ؛ ففعلوا ؛ فخرجت ، فنظرت
إليه ، فعرفته ، فقالت : والله لا يركبك [أحد] بعد أبي سَويَا . ثم قطعت أذنى
الفرس وهَلَبَتْ^(١) ذنبه ، ثم قالت : هو هذا ، خذوه ، لا بارك الله لكم فيه .
فصار لعبد العزيز بن مروان ، فأخذته للفِجْلَةِ ، فكان منه الذَائِدُ ، ثم كان
من الذَائِدِ الْقَرَوْدُ ، فهو أبو الخيل الفرقديَّةُ ؛ ولم يَرَقِ الْقَرَوْدُ شَيْءٌ من خيل
مصر إلا جاء سابقا .

وكان أهل مصر لما بلغ مروان بن الحكم القاصِرةَ وجَّهوا إليه عُقْبَةَ بنِ شَرِيحَ
ابنِ كَلْبِيبِ المَعَارِيِّ ، وَمُطَاطِرَ بنِ يَزِيدِ التَّجِيبِيِّ طليعة لهم ، ومطير يومئذ على
الخَطَّارِ ، فرس لبيد بن عقبة السَّوْمِيِّ ، فدخلا في عسكر مروان وجَّوْلا .

(١) أى تفتت شعر الذيل .

ثم إن شيخنا من أهل العسكر نذر بهما واستنكر هيتئها ، فقال : والله إني لأنكر سحنة هذين الفرسين ، وما أرى على صاحبيهما شحوب السفر ، فكراً راجعين إلى الفسطاط ، فرأى بناقة صرصرانية^(١) في ناحية العسكر لبشر بن مروان فطارداها ، فلما لحقتهما الخيل قال مطير لعقبة : اطردها بناقة وأنا أكفيك . وكرّ مطير فقاتلهم حتى ولّوا عنه ، ثم لحق صاحبه ، ثم لحقته الخيل أيضاً ، ففعل مثل ذلك حتى وصل إلى الفسطاط ، فسألوهما عن الخبر ، فقالا : حتى تنحرّوا الناقة وتأكلا لحما ؛ وهى أول غنيمة ، فنحرت الناقة وأكل لحما ، ثم أخبرهم الخبر ، وأنهم أقوى من الرجل .

ثم كتب عمر بن الخطاب كما حدثنا شعيب بن الليث وعبد الله بن صالح ويحيى بن عبد الله بن بكير وعبد الملك بن مسلمة عن الليث بن سعد عن يزيد ابن أبي حبيب إلى عمرو بن العاص : أنظر من قبلك ممن بايع تحت الشجرة فأنتم لهم العطاء مائتين ، وأتمها لنفسك لإمرك ، وأتمها لخارجة بن حذافة لشجاعته ، ولعثمان بن أبي العاص لضيافته .

ذكر

مقاسمة عمر بن الخطاب العمال

قال : ثم بعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة ، كما حدثنا معاوية بن صالح عن محمد بن سماعة الرّملى قال : حدثني عبد الله بن عبد العزيز شيخ ثقة ، إلى عمرو بن العاص ، وكتب إليه :

« أما بعد ، فإنكم معشر العمال قعدتم على عيون الأموال ، فجَبَّيْتُمُ الحرام ، وأكلتم الحرام ، وأورثتم الحرام ؛ وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصارى ليَقَارِسَ مَالَك ، فأحضره مَالَك ، والسلام . »

(١) الناقة الصرصرانية من نوع لابل خراسان .

فلما قدم محمد بن مسلمة مصر أهدى له عمرو بن العاص هدية ، فردّها عليه ، فغضب عمرو وقال : يا محمد ، لم رددت إليّ هديتي ؟ وقد أهديتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْدَمِي من غزوة السَّلاسل^(١) ، فقبل .

فقال له محمد : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل بالوَخِي ما شاء ، ويمتنع ممّا شاء ، ولو كانت هدية الأخ إلى أخيه قبلتها ، ولكنّها هدية إمام ، شرٌّ خلفها .

فقال عمرو : قَبِحَ الله يوما صرتُ فيه لعمر بن الخطاب والياً ، فلقد رأيت العاص بن وائل يلبس الديباج المزَّرّ بالذهب ، وإن الخطاب بن نُفَيْل ليحمل الخطب على حمار عمكة .

فقال له محمد بن مسلمة : أبوك وأبوه في النار ، وعمر خير منك ، ولولا اليوم الذي أصبحتَ تَدُمُّ لأُفَيْتَ مُعْتَقَلاً عَنَزاً ، يسرُّك غُزْرُها^(٢) ، ويسوءك بَكْوُها^(٣) .

فقال عمرو : هي قَلْعةُ المُغْضَب ، وهي عندك بأمانة .

ثم أحضره ماله ، فقامسه إياه ، ثم رجع .

قال وكان سبب مقاسمة عمر بن الخطاب العُمَال ، كما حدثنا أبو الأسود الضر بن عبد الجبار ، وعبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، أن خالد بن الصَّمَق^(٤) قال شعراً كتب به إلى عمر بن الخطاب .

(١) غزوة غزاها عمرو بسريته سنة ثمان ، في مكان وراء وادي القري ، وهي مكة والطائف .

(٢) الغزر : لدرار اللبن بكثرة ، وبكأت الشاة تَبْكَأُ قَلَّ لَبْنُها أو انقطع .

(٣) ورد في هامش من النسخة قوله : ذكر ابن الكلى وغيره أن الذي يقول لعالم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أبلغ أمير المؤمنين رسالة الأبيات ، هو أبو المختار قيس بن يزيد بن قيس بن يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق الشاعر .

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةَ
فَلَا تَدْعَنَّ أَهْلَ الرِّسَالَتَيْنِ وَالْجَزَى
فَأَرْسِلْ إِلَى الثُّمَانِ فَأَعْلَمْ حِسَابَهُ
وَلَا تَنْدَسِينَ النَّافَعَيْنِ كَلِمَةً
وَلَا تَدْعُونَنِي لِلشَّهَادَةِ إِنِّي
مِنَ الْخَلِيلِ كَالْغَزَلَانِ وَالْبَيْضِ كَالدَّهْنِ
مِنَ رِبْطَةِ مَطْوِيَةٍ فِي صِيَانِهَا
إِذَا التَّاجِرُ الْهِنْدِيُّ جَاءَ بِقَارَةٍ
نَبِيعُ إِذَا بَاعُوا وَنَفَرُوا إِذَا غَزَوْا
فَقَاسِمُهُمْ - نَفْسِي فِدَاؤُكَ - إِنَّهُمْ
فَقَاسِمُهُمْ عَمْرٍ نَصَفَ أَمْوَالَهُمْ .

والثُّمَانُ الثُّمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ، وَكَانَ عَلَى حِمص^(٣) ؛ وَصَهْرُ بْنُ غَزْوَانَ أَبُو هَرِيرَةَ ،
كَانَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ^(٤)

قال : ويقال إن قائل هذه الأبيات كما حدثنا معاوية بن صالح عن يحيى بن
معين عن وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن الخزيم أبو المختار الثُّمَيْرِيُّ قال :
أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةَ
فَأَرْسِلْ إِلَى الثُّمَانِ فَأَعْلَمْ حِسَابَهُ
وَلَا تَدْعَنَّ النَّافَعَيْنِ كَلِمَةً
وَمَا عَاصِمٌ مِنْهَا بِصَفْرِ عِيَابِهِ
نَبِيعُ إِذَا بَاعُوا وَنَفَرُوا إِذَا غَزَوْا
فَقَاسِمُهُمْ - نَفْسِي فِدَاؤُكَ - إِنَّهُمْ
فَقَاسِمُهُمْ عَمْرٍ نَصَفَ أَمْوَالَهُمْ .

(١) القرام : هو ثوب من الصوف الملون ، صفيق يتخذ سترًا ، وقيل هو الستر الرقيق
وراء الستر النايظ .

(٢) الربطة : هي الملاءة إذا كانت واحدة ، وقال الأزهري : لا تكون الربطة إلا بيضاء .

(٣) حمص : مدينة مشهورة بالإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة .

(٤) البحرين : إمارة على الخليج العربي .

تَرَى الْجُرْدَ كَالْخِرْزَانِ وَالْبَيْضَ كَالْدُمَى وَمَا لَا يُعَدُّ مِنْ قِرَامٍ وَمِنْ سِتْرِ
وَمِنْ رِبْطَةٍ مَطْوِيَةٍ فِي صَوَانِهَا وَمِنْ طَيِّ أَسْتَارٍ مُحْدَرَجَةٍ خُمِرِ
إِذَا التَّاجِرُ الْهِنْدِيُّ جَاءَ بِغَارَةٍ مِنْ لِسْكَ رَاحَتٍ فِي مَقَارِقِهِمْ تَجْرِي
فَدُونَكَ مَا لُ اللَّهِ لَا تَنْزُكُكُهُ سَيَرَضُونَ إِنْ قَاسَمْتَهُمْ مِنْكَ بِالْشَطْرِ
وَلَا تَدْعُوَنِي لِلشَّهَادَةِ إِنِّي أَغِيْبُ وَلَسِكُنِّي أَرَى عَجَبَ الدَّهْرِ
قال عمر : فإنما قد أعفيناك من الشهادة ، ونأخذ منهم نصف أموالهم ، فأخذ
النصف ، وكان عمر قد استعمل هؤلاء الرهط .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن أبيه ، أن
جدته أوصى أن يدفع إلى عمر بن الخطاب نصف ماله ، وكان عمر استعمله على
بعض أعماله .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا سليمان بن أبي سليمان عن محمد بن سيرين
قال ، قال أبو هريرة : لما قدمت من البحرين قال لي عمر : يا عدو الله وعدو
الإسلام ، خنت مال الله ؟

قال : قلت ، لست بعدو الله ولا عدو الإسلام ، ولكن عدو من عاداهما ،
ولم أخن مال الله ، ولكنها أمانة خيل لي تنأجت ، وسهام اجتمعت .
قال : يا عدو الله وعدو الإسلام ، خنت مال الله ؟

قال : قلت ، لست بعدو الله ولا عدو الإسلام ، ولكن عدو من عاداهما ،
ولم أخن مال الله ، ولكنها أمانة خيل لي تنأجت وسهام اجتمعت ^(١) .

قال ذلك ثلاث مرات ، يقول ذلك عمر ، ويرد عليه أبو هريرة هذا القول .
قال : ففرمتني اثني عشر ألفا ؛ ففمت في صلاة الغداء ، فقلت : اللهم أغفر

لأُمير المؤمنين .

فأرادني على العمل بعد ، فقلت : لا .

(١) في نسخة د : واجتمعت ، فأعاد القول الأول ثلاث مرات ، وأقول له كالجواب
الأول ، فلما عين الجدة والانصراف قال ففرمتني الخ .

قال : أوليس يوسف خيرا منك ، وقد سأل العمل ؟
قلت : إن يوسف نبي ابن نبي ، وأنا ابن أميمة ، وأنا أخاف ثلاثة واثنين .
قال : ألا تقول خسا ؟
قلت : لا
قال : مه
قلت : أخاف ، أن أقول بغير حلم ، وأقضى بغير علم ، وأن يضرب ظهري ،
ويشتم عرضي ، ويؤخذ مالي .

ذكر

النيل

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن واهب بن عبد الله المعافري
عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : نيل مصر سيد الأنهار ، سخر الله له
كل نهر بين المشرق والمغرب ، فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن
يمدّه ، فأمدته الأنهار بمائها ، ونجر الله له الأرض عيونا ، فإذا انتهت جريته إلى
ما أراد الله أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عُصْرِهِ^(١) .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن معاوية
ابن أبي سفيان سأل كعب الأحبار ، هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبراً ؟
قال : أي ، والذي فلق البحر لموسى ، إنى لأجده في كتاب الله ، أن الله
يوحى إليه في كل عام مرتين ، يوحى إليه عند جريه ، إن الله يأمرك أن تجري ،
فيجري ما كتب الله له ؛ ثم يوحى إليه بعد ذلك ، يأنيل عُدَّ حيداً .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا عبد الله بن عمر عن حبيب بن عبد الرحمن
عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : النيل

(١) هذه الرواية وما بعدها روايات غير صحيحة في متنها وأسانيدها .

وسيحان وجيجان والفرات من أنهار الجنة .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن كعب الأحبار أنه كان يقول ، أربعة أنهار من الجنة ، وضعها الله في الدنيا ، فالنيل نهر العسل في الجنة ، والفرات نهر الخمر في الجنة ، وسيحان نهر الماء في الجنة ، وجيجان نهر اللبن في الجنة .

حدثنا سعيد بن أبي مریم ، حدثنا الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة قالا ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي جنادة السكناني أنه سمع كعبا يقول : النيل في الآخرة عسل أغزر ما يكون من الأنهار التي سماها الله ، ودجلة في الآخرة لبن أغزر ما يكون من الأنهار التي سمي الله ، والفرات خمر أغزر ما يكون من الأنهار التي سمي الله ، وجيجان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التي سمي الله . قال : فلما فتح عمرو بن العاص مصر — كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن من حدثه ، أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل بؤونة^(١) من أشهر العجم فقالوا له :

— أيها الأمير ، إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها .

فقال لهم : وما ذاك ؟

قالوا : إنه إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بَيْنَ أَبَوَيْهَا ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليهما من الحلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل .

فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله . فأقاموا بؤونة وأيب^(٢) ومسرى^(٣) لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلأ .

(١) الشهر العاشر من السنة القبطية .

(٢) الشهر الحادي عشر من السنة القبطية .

(٣) الشهر الأخير من السنة القبطية .

فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه عمر :
قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة ، فألقها في
داخل النيل إذا أتاك كتابي .

فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها : « من عبد الله عمر أمير
المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر ،
وإن كان الله الواحد القهار الذي يحريك فנסأل الله الواحد القهار أن يحريك .
فألقي عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم ، وقد نهى أهل مصر للجلاء
والخروج منها ، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلى النيل ، فأصبحوا يوم الصليب
وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة ، وقطع تلك الشئنة السوء عن أهل مصر .
حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أنه موسى
عليه السلام دعا على آل فرعون ، فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء ،
حتى طلبوا إلى موسى أن يدعو الله ، فدعا الله رجاء أن يؤمنوا ، فأصبحوا وقد
أجراه الله في تلك الليلة ستة عشر ذراعاً ، فاستجاب الله بتطوُّله لعمر بن الخطاب
كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام ^(١) .

ذكر

الحجزة

قال : وكان عمرو يبعث إلى عمر بن الخطاب بالجزية بعد حبس ما كان
يحتاج إليه ، وكانت فريضة مصر ، كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد
ابن أبي حبيب كثر خُلجها ، وإقامة جسورها ، وبناء قناطرها ، وقطع جزائرها ،
مائة ألف وعشرين ألفاً ، معهم الشُّطُور والمساحي ، والأداة ، يعتقون ذلك ،
لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا .

(١) روايات غير مقبولة في العقل ، ولا في المنطق .

ثم كتب عمر بن الخطاب، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن القاسم بن عبد الله عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر، أن يجتم في رقاب أهل الذمة بالرصاص. ويظهروا مناطقهم، ويحزوا نواصيتهم، ويركبوا على الأكف عرساً^(١)، ولا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسي^(٢)، ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان^(٣)، ولا يدعواهم ينشبهون بالمسلمين في لبوسهم.

حدثنا شعيب بن الليث، حدثنا أبي عن محمد بن عبد الرحمن بن عجاج^(٤) أن نافعا حدثهم، وحدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن وهب، حدثني عبد الله بن عمر، وعمر بن محمد، أن نافعا حدثهم عن أسلم مولى عمر، أنه حدثه، أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد ألا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسي؛ وجزيتهم أربعون درهما على أهل الورق منهم، وأربعة دنانير على أهل الذهب، وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت، مديان^(٥) من حنطة، وثلاثة أقساط^(٦) من زيت في كل شهر، لكل إنسان من أهل الشام والجزيرة، وودك^(٧) وعسل لا أدرى كم هو.

ومن كان من أهل مصر فأردب كل شهر، لكل إنسان، لا أدرى كم من الودك والعسل، وعليهم من البز والسكوسة التي يكسوها أمير المؤمنين الناس، ويضيفون من نزل بهم من أهل الإسلام ثلاث إيال^(٨).

(١) الأكف شبه الرجال.

(٢) جم موسى وهو ما يخلق به، والمراد من بلغ الحلم.

(٣) في نسخة - زيادة: ولا على الرهبان.

(٤) وفي الأصل عنج، والصواب ما ذكر، وهو عذت مقبول.

(٥) المدي مكيال لأهل الشام يسع خمسة عشر مكوكا، والمكوك صاع ونصف.

(٦) القسط نصف صاع.

(٧) دسم اللحم.

(٨) في نسخة - زيادة، وكتب إلى أمراء الأجناد بذلك.

وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعاً، لكل إنسان ، لا أدرى كم لهم من الودك، وكان لا يضرب الجزية على النساء والصبيان ، وكان يختم في أعناق أهل الجزية. قال : وكانت وَيْيَّة^(١) عمر بن الخطاب كما حدثنا عبد الملك عن الليث بن سعد في ولاية عمرو بن العاص ستة أمداد^(٢).

حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا سفيان بن عُيينة عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب أن عمر قال : جعلت على أهل السواد ضيافة يوم ليلة ، فن حبسه مطر فلينفق من ماله .

قال : وكان عمرو بن العاص لما استوسق له الأمر أقرَّ قِبَطَهَا على جباية الروم ، وكانت جبايتهم بالتعديل ، إذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم ، وإن قلَّ أهلها وخربت نُقصوا ، فيجتمع عُرفاء كل قرية وما روثها^(٣) ورؤساء أهلها ، فيتناظرون في العبارة والخراب حتى إذا أقرُّوا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى السكور ، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى ، فوزعوا ذلك على أحمال القرى وسعة المزارع . ثم ترجع كل قرية بقسمهم ، فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة فيبذرون ، فيخرجون من الأرض قَدَادين لسكنائهم وحاماتهم ومُعْدِيَّاتهم من جملة الأرض ، ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطان ؛ فإذا فرغوا نظروا إلى ما في كل قرية من الصَّنَاع والأجرء ، فقسموا عليهم بقدر احتمالهم ، فإن كانت فيها جَالِيَّةٌ قسموا عليها بقدر احتمالها ، وقلَّ ما كانت تكون إلا الرجل للفتاب أو المتزوج ، ثم ينظرون ما بقي من الخراج ، فيقسمونه بينهم على عدد الأرض ، ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع

(١) مكبان .

(٢) جمع مدهور به صاع .

(٣) الماروت هو كبير الوجهاء ، وهي كلمة مأخوذة من اللغة السريانية ، والعرفاء جمع عريف ، وهو من يئلو على الناس الأدعية .

منهم على قدر طاقتهم ، فإن عجز أحد وشكا ضعفا عن زرع أرضه وزَّعوا ما عجز عنه على الاحتمال ، وإن كان منهم من يريد الزيادة أعطى ما عجز عنه أهل الضعف ، فإن تشاحوا قسموا ذلك على عدَّتْهم ، وكانت قسمتهم على قراريط الديفار ، أربعة وعشرين قيراطا ، يقسمون الأرض على ذلك .

وكذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : إنتم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا .

وجعل عليهم لكل فدان نصف إردب قح ، وويبتئين من شعير ، إلا القرط^(١) فلم يكن عليه ضريبة ، والويبة يومئذ ستة أمداد .

وكان عمر بن الخطاب ، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب ، يأخذ من صالحه من المعاهدين ما سمي على نفسه ، لا يضم من ذلك شيئا ، ولا يزيد عليه ، ومن نزل منهم على الجزية ولم يُسم شيئا يؤذيه نظر عمر في أمره ، فإذا احتاجوا خفف عنهم ، وإن استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم .

قال : وروى حيوة بن شريح ، حدثني الحسن بن ثوبان ، أن هشام بن أبي رُقَيْيَةَ اللخمي حدثه ، أن صاحب إخواننا قدم على عمرو بن العاص ، فقال له : أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصير لها ؛ فقال عمرو ؛ وهو يشير إلى ركن كنيسة ، لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك ، إنما أنتم خزانة لنا ، إن كثر علينا كثرنا عليكم ، وإن خفف عنا خففنا عنكم .

ومن ذهب إلى الحديث ذهب إلى أن مصير فتحت عفوة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال ،

(١) ما تعلقه الدواب .

قال عمر بن عبد العزيز ، أيمًا ذمى أسلم فإن إسلامه يُجزر له نفسه وما له ، وما كان من أرض فإنها من فيء الله على المسلمين .

حدثنا عبد الملك بن مسامة ، حدثنا الليث بن سعد أن عمر بن عبد العزيز قال : أيمًا قوم صالحوا على جزية يعطونها ، فمن أسلم منهم كان أرضه وداره لبقيتهم .

قال الليث ، وكتب إلى يحيى بن سعيد ، أن ما باع القبط في جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذي عليهم من عبد أو وليدة أو بعير أو بقرة أو دابة فإن ذلك جائز عليهم لمن ابتاعه منهم غير مردود إليهم إن أسروا ، وما أكرأ من أرضهم فحائز كراؤه إلا أن يكون يضر بالجزية التي عليهم ، فلعل الأرض أن ترد عليهم إن أضرت بجزيتهم ، وإن كان فضلا بعد الجزية فإننا نرى كراءها جائزا لمن تكارها منهم .

قال يحيى ، ونحن نقول ، الجزية جزيتان ، فجزية على رؤوس الرجال ، وجزية جملة تكون على أهل القرية ، يؤخذ بها أهل القرية ، فمن هلك من أهل القرية التي عليهم جزية مسامة على القرية ليست على رؤوس الرجال ، فإننا نرى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولد له ولا وارث أن أرضه ترجع إلى قريته في جملة ما عليهم من الجزية ، ومن هلك ممن جزيته على رؤوس الرجال ولم يدع وارثا فإن أرضه للمسلمين .

قال الليث ، وقال عمر بن عبد العزيز : الجزية على الرؤوس وليست على الأرضين ، يريد أهل الذمة .

حدثنا عبد الملك بن مسامة ، حدثنا ابن لهيعة عن عبد الملك بن جنادة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى حيان بن سُريح أن يحمل جزية موتى القبط على أحيائهم . قال : وحديث عبد الملك هذا يدل على أن عمر بن عبد العزيز كان يرى أن أرض مصر فتحت عنوة ، وأن الجزية إنما هي على القرى ، فمن مات من أهل

القرى كانت تلك الجزية ثابتة عليهم ، وأن موت من مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيئاً .

قال . ويحتمل أن تكون مصر فتحت بصلاح ، فذلك الصلاح ثابت على من بقي منهم ، وأن موت من مات منهم لا يضع عنهم مما صالحوا عليه شيئاً ، والله أعلم حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن محمد بن عمرو عن ابن جريج أن رجلاً أسلم على عهد عمر بن الخطاب ، فقال : ضعوا الجزية عن أرضي . فقال عمر : لا ، إن أرضك فتحت عنوة .

قال عبد الملك ، وقال مالك بن أنس : ما باع أهل الصلح من أرضهم فهو جائز لهم ، وما فتح عنوة فإن ذلك لا يشتري منهم أحد ولا يجوز لهم بيع شيء مما تحت أيديهم من الأرض ، لأن أهل الصلح من أسلم منهم كان أحق بأرضه وماله ؛ وأما أهل العنوة الذين أخذوا عنوةً فمن أسلم منهم أحرز إسلامه نفسه ، وأرضه للمسلمين ، لأن أهل العنوة غلبوا على بلادهم ، وصارت فينا للمسلمين ، ولأن أهل الصلح إنما هم قوم امتنعوا ومنعوا بلادهم حتى صالحوا عليها . وليس عليهم إلا ما صالحوا عليه ، ولا أرى أن يُزَادَ عليهم ولا يؤخذ منهم إلا ما فرض عمر ابن الخطاب ، لأن عمر خطب الناس ، فقال : قد فرضت لكم الفرائض ، وسُئِلْتُ لَكُمْ السُّنَنَ ، وتُرَكِّمُ عَلَى الْوَاحِشَةِ .

قال : وأما جزية الأرض فلا علم لي ولا أدري كيف صنع فيها عمر ، غير أنه قد أقرَّ الأرض ، فلم يقسمها بين الناس الذين افتتحوها ، فلو نزل هذا بأحد كدت أرى أن يسأل أهل البلاد ، أهل المعرفة منهم والأمانة ، كيف كان الأمر في ذلك ؟ فإن وجد من ذلك علماً يَشْفِيْهِ وَإِلَّا اجْتَهَدْ فِي ذَلِكَ هُوَ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد أن عمر بن عبد العزيز وضع

الجزية عن أسلم من أهل الذمة من أهل مصر ، وألحق في الديوان صلح من أسلم منهم في عشائر من أسلموا على يديه .

قال : وقال غير عبد الملك ، وكانت تؤخذ قبل ذلك ممن أسلم .

وأول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة ، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن رزين بن عبد الله المرواني ، الحجاج بن يوسف . ثم كتب عبد الملك ابن مروان إلى عبد العزيز بن مروان أن يضع الجزية على من أسلم أهل الذمة . فكلّمه ابن حُبَيْرَة في ذلك ، فقال : أُعِيذُكَ بِاللّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ ذَلِكَ بِمِصْرَ ، فَرَأَى أَنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ لَيَتَحَمَّلُونَ جِزْيَةً مِنْ تَرْهَبَ مِنْهُمْ ، فَكَيْفَ تَضَعُهَا عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ ؟ فتركهم عند ذلك .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، أن عمر ابن عبد العزيز كتب إلى حيان بن سُرَيْجٍ أَنْ تَضَعَ الْجِزْيَةَ عَنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ : « فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » وَقَالَ : « وَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَدِينُونَ بِلَا إِلَهِ إِلَّا الْخَلْقُ ، مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ ، وَهُمْ صَاغِرُونَ » .

وحدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال ، كان لعبد الله بن سعد موالى نصراني فاعتقهم ، فكان عليهم الخراج .

قال الليث : أدركننا بعضهم ، وإلهم ليؤدوا الخراج .

حدثنا عثمان بن صالح وعبد الله بن صالح قالا ، حدثنا الليث بن سعد قال : لما ولي ابن رفاعة مصر خرج ليحصي عدّة أهلها ، وينظر في تعديل الخراج عليهم ، فأقام في ذلك ستة أشهر بالصعيد ، حتى بلغ أسوان ، ومعه جماعة من الأعوان

«والكتاب ، يكفونه ذلك بحمد وتشمير ، وثلاثة أشهر بأسفل الأرض ، فأحصوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية ، فلم يُحصَ فيها ، في أصغر قرية منها ، أقل من خمسمائة جُحْجُمة من الرجال الذين يفرض عليهم الجزية .

ذكر

المقطم

حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد قال : سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار ، فمجب عمرو من ذلك ، وقال : «أكتب في ذلك إلى أمير المؤمنين .

فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : سأل لم أعطاك به . ما أعطاك ؟ وهي لا تزرع ولا يستنبط بها ماء ولا ينفع بها .

فسأله ، فقال : إنا لنجد صفحتها في الكتاب ، أن فيها غراس الجنة . فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين ، فأقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ، ولا تبعه بشيء .

فكان أول من دفن فيها رجل من العاقر ، يقال له ، عامر ؛ فقيل : عُمِرَت . فقال المقوقس لعمر ، كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن عمار بن عيسى ، قال : ما ذلك ولا على هذا عاهدتنا ؛ فقطع لهم الحد الذي بين المقبرة وبينهم .

حدثنا هاني بن المتوكل عن ابن لهيعة أن المقوقس قال لعمر : إنا لنجد في كتابنا أن ما بين هذا الجبل وحيت نزلتم ينبت فيه شجر الجنة . فكتب بقوله إلى عمر بن الخطاب ، فقال : صدق ، فاجعلها مقبرة للمسلمين .

وقال غير عمار بن عيسى ، فقبر فيها ممن عُرف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن حدثه خمسة نفر ، عمرو ، ابن العاص السهمي ، وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي ، وأبو بصرة الغفاري ، وعقبة بن عامر الجهني .

وقال غير عثمان : ومسلمة بن مخد الأنصاري .

قال ابن لهيعة : والمقطم ما بين القصير إلى مقطع الحجارة ، وما بعد ذلك
فن اليعحوم ؛ وقد اختلف في القصير .

أخبرنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة قال : ليس بقصير موسى النبي عليه
السلام ، ولكنه موسى الساحر .

حدثنا سعيد بن عفير وعبد الله بن عباد قالا ، حدثنا الفضل بن فضالة عن أبيه .
قال : دخلنا على كعب الأخبار ، فقال لنا : من أنتم ؟ قلنا : من أهل مصر ، فقال :
ما تقولون في القصير ؟ قال ، قلنا ، قصير موسى . قال : ليس بقصير موسى ،
ولكنه قصير عزيز مصر ، كان إذا جرى النيل يترقع فيه ؛ وعلى ذلك لمقدس من
الجليل إلى البحر .

قال : ويقال ، بل كان موقدا يوقد فيه لفرعون ، إذا هو ركب من منف إلى
عين شمس ؛ وكان على المقطم موقد آخر ، فإذا رأوا النار علموا بركوبه ، فأعدوا
له ما يريد ، وكذلك إذا ركب منصرفا من عين شمس ، والله أعلم .

حدثنا هاني بن المتوكل عن ابن لهيعة ، ورشدين سعد بن عن الحسن بن
ثوبان عن حسين بن شفي الأصبحي عن أبيه شفي بن عبيد أنه لما قدم مصر ،
وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بمحذا ساقية أبي عون التي عند العسكر ، فقال : ما لهم
وضعوا مصلاهم في الجبل الملعون ، وتركوا الجبل المقدس ؟

قال الحسن بن ثوبان : فقدّموا مصلاهم إلى موضعه الذي هو به اليوم .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبييل أن
رجلا سأل كعبا عن جبل مصر ، فقال : إنه لمقدس ما بين القصير إلى اليعحوم .

ذكر

استبطاء عمرو بن الخطاب عمرو بن العاص في الخراج

قال عبد الرحمن : فلما استبطاء عمرو بن الخطاب الخراج من قبل عمرو بن العاص كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليكم ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإني فكرت في أسرك والذي أنت عليه ، فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة ، قد أعطى الله أهلها عدداً وجَلَدًا وقوة في بروجها ، وإنها قد عالجتها القراءة ، وعملوا فيها عملاً محكماً مع شدة عتوهم وكفرهم ، فعجبت من ذلك ، وأعجب مما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدوب ، ولقد أكرمت في مكاتبتك في الذي على أرضك من الخراج ، وطننت أن ذلك شيئاً تيقنا على غير نزر ، ورجوت أن تُفريق وترفع إلى ذلك ، فإذا أنت تأتيني بما ريس تفتالها ، لا تُوافق الذي في نفسي ، ولست قابلاً منك دون الذي كانت تؤخذ به قبل ذلك من الخراج ؛ ولست أدرى بعد ذلك ما الذي أنفرك من كتابي وقبضك ، فلتن كنت تُجزئنا كافئاً صحيحاً ، إن البراءة لنافعة ، من أن كنت مُضِيماً نَطِئاً^(١) ، إن الأمر لعل غير ما تحدث به نفسك ، وقد تركت أن أبلى ذلك منك في العام الماضي رجاء أنه تُفريق وترفع إلى ذلك .

« وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا عمالك ، عُمال السوء ، وماتوا أس عليه وتلف ، اتخذوك كهفاً ، وعندى بإذن الله دواء ، فيه شفاء عما أسألك عنه ،

(١) نطاف الرجل إذا اتهم بريبة .

فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتُعطاه ، فإن النُّهْرَ ^(١) يخرج الدرّ ،
والحق أبلج ، ودعنى وما عنه تلجّج ، فإنه قد برح الخفاء . والسلام .
قال : فكتب إليه عمرو بن العاص :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص ،
سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فقد بلغنى
كتاب أمير المؤمنين فى الذى استبطأنى فيه من الخراج ، والذى ذكر فيها من
عمل الفراغة قبلى ، وإعجابه من خراجها على أيديهم ، ونقص ذلك منها منذ
كان الإسلام ، ولعمرى للخراج يومئذ أوفر وأكثر ، والأرض أعمر ، لأنهم كانوا
على كفرهم وعتوهم أرغب فى عمارة أرضهم منا منذ كان الإسلام ، وذكرت أن
النُّهْرَ يخرج الدرّ ، فحلبتها حلباً قطع ذلك درّها ، وأكثرت فى كتابك وأنبتت ،
وعرّضت وتربت ^(٢) ، وعلمت أن ذلك عن شىء تخفيه على غير خبر ، فجئت
لعمرى بالمفطعات المتقدّعات ، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين .
صارمٌ بليغ صادق ، وقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده فكنا بحمد
الله مؤدين لأمانتنا ، حافظين لما عظم الله من حق أمانتنا ، نرى غير ذلك قبيحاً ،
والعمل به سيئاً ، فيُعترف ذلك لنا ويصدق فيه قيلنا ، معاذ الله من تلك الطعم .
ومن شر السّيم والإجزاء على كل مأثم ، فاقبض عملك ، فإن الله قد نزهنى عن
تلك الطعم الدنيّة والرغبة فيها بعد كتابك الذى لم تستبق فيه عرضاً ، ولم تُكرّم
فيه أخاً ، والله يا ابن الخطاب لأنّا حين يُراد ذلك منى أشد لنفسى غضباً ولها
إنزاهاً وإكراماً ، وما عملت من عمل أرى على فيه متعلّقاً ، ولكنى حفظت ما لم
تحفظ ، ولو كنت من يهود يثرب مازدت ، يغفر الله لك ولنا ، وسكت عن أشياء .

(١) نهز الناقة ضرب ضربتها لتدرّ .

(٢) الترتيب كاللأنيب والتميز والاستقصاء فى اللوم .

كُفْتُ بِهَا عَلِماً ، وَكَانَ اللِّسَانُ بِهَا مَنِ ذُلُولاً ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَظَمَ مِنْ حَقِّكَ مَا لَا يُجْهَلُ ، وَالسَّلَامُ » .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، كَمَا وَجَدْتَ فِي كِتَابِ أُعْطَانِيهِ بِحْيِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي مَرْزُوقٍ التَّجِيبِيِّ عَنْ أَبِي قَيْسٍ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ .

« مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدَ فَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ كَثَرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَائِكَ بِالْخِرَاجِ ، وَكِتَابِكَ إِلَى بُبْنِيَّاتِ الطَّرِيقِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ ، وَلَمْ أَقْدِمَكَ إِلَى مِصْرَ أَجْعَلْهَا لَكَ طُعْمَةً وَلَا أَقُومَكَ ، وَلَكِنِّي وَجْهَتُكَ لِمَا رَجَوْتُ مِنْ تَوْفِيرِكَ الْخِرَاجَ وَحَسَنِ سِيَاسَتِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ كِتَابِي هَذَا فَاحْلِ الْخِرَاجَ ، فَإِنَّمَا هُوَ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَعِنْدِي مِنْ قَدْ تَعْلَمُ ، قَوْمٌ مُحْصُورُونَ ، وَالسَّلَامُ » .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدَ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَبِطِنُنِي فِي الْخِرَاجِ ، وَيَزْعِمُ أَنِّي أُعْتَدُ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْكَبُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرْغَبُ عَنْ صَالِحِ مَا تَعْلَمُ ، وَلَكِنْ أَهْلُ الْأَرْضِ اسْتَنْظَرُونِي إِلَى أَنْ تُذَرِكَ غَلَّتْهُمْ ، فَظَنَرْتُ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ الرِّفْقُ بِهِمْ خَيْراً مِنْ أَنْ يُحْرَقَ بِهِمْ فَيَصِيرُوا إِلَى بَيْعِ مَا لَا غِنَى بِهِمْ عَنْهُ » .

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ جَبَاهَا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ ؛ قَالَ غَيْرُ اللَّيْثِ : وَجَبَاهَا الْمُقَوْسُ قَبْلَهُ بِسَنَةِ عَشْرِينَ أَلْفَ أَلْفٍ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ كُتِبَ إِلَيْهِ بِمَا كُتِبَ بِهِ .

قال الليث : وجباها عبد الله بن سعد حين استعمله عليها عثمان أربعة عشر ألف ألف ؛ فقال عثمان لعمر : يا أبا عبد الله ، دَرَّتْ اللَّقْحَةُ^(١) بأكثر من درّها الأول . قال عمرو : أضرتهم بولدها . وقال غير الليث ، فقال له عمرو : ذلك إن لم يمت الفصيل^(٢) .

حدثنا هشام بن اسحق العامري قال ، كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، أن يسأل المقوقس عن مصر ، من أين تأتي عمارتها وخرابها ؟ فسأله عمرو ، فقال له المقوقس : تأتي عمارتها وخرابها من وجوه خمسة ، أن يُسْتَخْرَجَ خَرَّاجُهَا فِي إِبَّانٍ واحد عند فراغهم أهلها من زُرُوعهم ، ويُزْفَعُ خَرَّاجُهَا فِي إِبَّانٍ واحد عند فراغ أهلها من عَصْرِ كرومهم ، وَتُحْفَرُ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ خُلُجُهَا ؛ وَتُسَدُّ تَرْعُهَا وَجُسُورُهَا ، وَلَا يُقْبَلُ تَحْلُ أَهْلِهَا — يَرِيدُ الْبَغْيَ — فَإِذَا فَعَلَ هَذَا فِيهَا عُمِرَتْ ، وَإِنْ عَمِلَ فِيهَا بِخِلَافِهِ خُرِبَتْ .

قال : وفي كتاب ابن بكير الذي أعطانيه عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما استبطأ عمر بن الخطاب عمرو بن العاص في الخراج كتب إليه ، أن أبعث إلى رجلا من أهل مصر .

فبعث إليه رجلا قديما من القبط ، فاستخبره عمر عن مصر وخرابها قبل الإسلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لا يؤخذ منها شيء إلا بعد عمارتها ، وعاملك لا ينظر إلى العماراة ، وإنما يأخذ ما ظهر له ، كأنه لا يريد لها إلا لعام واحد .

فعرف عمر ما قال ، وقبل من عمرو ما كان يعتذره .

(١) اللقوبة .

(٢) ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

ذكر

في الجند عن الزرع

قال : ثم إن عمر بن الخطاب، فيما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهب عن حيوة بن شريح عن بسكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة، أمر مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد ، يتقدمون إلى الرعيّة أن عطاءهم قائم ، وأن رزق عيالهم سائل ، فلا يزرعون ولا يزارعون .

قال ابن وهب : فأخبرني شريك بن عبد الرحمن المراءى قال : بلغنا أن شريك بن سُمَيّ الغُطَيْفِيّ أتى إلى عمرو بن العاص ، فقال : إنكم لا تعطونا ما يُجْبِسُنَا ، أفأذن لي بالزرع ؟

فقال له عمرو : ما أقدر على ذلك .

فزرع شريك من غير إذن عمرو ، فلما بلغ ذلك عمر أكتب إلى عمر بن الخطاب يخبره أن شريك بن سُمَيّ الغُطَيْفِيّ حرث بأرض مصر ؛ فكتب له عمر : أن أبعث إلى به .

فلما انتهى كتاب عمر إلى عمرو أقرأه شريكا ، فقال شريك لعمرو :

قتلتني يا عمرو .

فقال عمرو : ما أنا قتلتك ، أنت صنعت هذا بنفسك .

قال له : إذ كان هذا من رأيك فأذن لي بالخروج إليه من غير كتاب ، ولك عهد الله أن أجعل يدي في يده .

فأذن له بالخروج .

فلما وقف على عمر قال : تؤمّني يا أمير المؤمنين ؟

قال : ومن أى الأجناد أنت ؟

قال : أنا من جند مصر .

قال : فلعلك شريك سُمَيّ العطيفي .

قال : نعم ، يا أمير المؤمنين .

قال : لأجعلتك نكالا لمن خَلَقَكَ .

قال : أو تقبل منى ما قبل الله من العباد ؟

قال : وتَقَل ؟

قال : نعم .

فكتب إلى عمرو بن العاص ، إن شريك بن سُمَيّ جاءنى تائباً ،

فقبلت منه .

ذكر

مهر خلیج أمير المؤمنين

حدثنا عبد الله بن صالح أو غيره عن الليث بن سعد ، أن الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد في خلافة عمر بن الخطاب في سنة الرمادة ، فكتب إلى عمرو بن العاص وهو بمصر .

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاص بن العاص سلام ، أما بعد فلعمرى يا عمرو ما تُبَالى إذا شَبِعْتَ أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معى ، فياغوثاه ، ثم ياغوثاه » — يردد قوله ثلاثاً — .

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« أما بعد ، فيالبئسك ثم يا لبئسك ، قد بعثت إليك بعير أولها عندك وآخرها عندي ، والسلام عليك ورحمة الله » .

فبعث إليه بعير عظيمة ، فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر ، يتبع بعضها بعضاً .

فلما قدمت على عمر وسع بها على الناس ، ودفع إلى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيراً بما عليه من الطعام ، وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص يقسمونها على الناس ، فدفعوا إلى أهل كل بيت بعيراً بما عليه من الطعام ، أن يأكلوا وينحروا البعير فيأكلوا لحمه ، ويأندموا شحمه ، ويحتذوا^(١) جلده . وينتفعوا بالوعاء الذي كان فيه الطعام لما أرادوا من لحاف أو غيره ، فوسع الله بذلك على الناس .

فلما رأى ذلك عمر حمد الله ، وكتب إلى عمرو بن العاص ، يقدم عليه هو وجماعة من أهل مصر معه ، فقدموا عليه ، فقال عمر :

« يا عمرو ، إن الله قد فتح على المسلمين مصر وهي كثيرة الخير والطعام ، وقد ألقى في روعي ، لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر ، وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين ، أن أحفر خليجاً من نيلها حتى يسيل في البحر ، فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة ؛ فإن حمله على الظهر يبعد ، ولا تبلغ منه ما نريد ، فانطلق أنت وأصحابك ، فتشاوروا في ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم » .

فانطلق عمرو ، فأخبر بذلك من كان معه من أهل مصر ، فنقل ذلك عليهم ، وقالوا : نتخوف أن يدخل في هذا ضرر^(٢) على مصر ، فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين ، ونقول له ، إن هذا أمر لا يعتدل ولا يسكون ، ولا نجد إليه سبيلاً .

فرجع عمرو بذلك إلى عمر .

(١) يتعلمونه .

(٢) في نسخة ه زيادة : عظيم .

فضحك عمر حين رآه وقال :

« والذي نفسى بيده ، لكاننى أنظر إليك يا عمرو وإلى أصحابك حين أخبرتهم بما أمرت به من حفر الخليج ، فنقل ذلك عليهم ، وقالوا ، يدخل فى هذا ضرر على أهل مصر ، فنرى أن تعظم على أمير المؤمنين ، وتقول له ، إن هذا الأمر لا يعتدل ولا يكون ، ولا نجد إليه سبيلا .

فمعجب عمرو من قول عمر ، وقال : صدقت والله أمير المؤمنين ، لقد كان الأمر على ما ذكرت .

فقال له عمر : انطلق يا عمرو بعزيمة منى حتى تجدد فى ذلك ، ولا يأتى عليك الحول حتى تفرغ منه إن شاء الله .

فانصرف عمرو ، وجمع لذلك من الفعلة ما بلغ منه ما أراد .

ثم احتفر الخليج الذى فى حاشية القسطاط الذى يقال له خليج أمير المؤمنين ، فساقه من النيل إلى القلزم ، فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن ، فحمل فيه ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة ، ففزع الله بذلك أهل الحرمين ، وسمى خليج أمير المؤمنين ، ثم لم يزل يُحمل فيه الطعام حتى يُحمل فيه بعد عمر بن العزيز ، ثم ضيعة الولاية بعد ذلك ، فترك وغلب عليه الرمل ، فانقطع ، فصار مُنتَهَاهُ إلى ذنب التماسح من ناحية طحاح القلزم .

قال : ويقال إن عمر بن الخطاب قال لعمرو بن العاص حين قدم عليه ، كما حدثنا أخى عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن قال - حسبته عن عروة - « يا عمرو ، إن العرب قد تشامت بى ، وكادت أن تهلك على رجلى ، وقد عرفت الذى أصابها ، وليس جند من الأجناد أُرَجِّى عندى أن يفيث الله بهم أهل الحجاز من جُندك ، فإن استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يفيثهم الله » .

فقال عمرو : ما شئت يا أمير المؤمنين ، قد عرفت أنه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الإسلام ، فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واستد ، وتركته التجار ، فإن شئت أن نحفره . فننشىء فيه سفنا ، نحمل فيه الطعام إلى الحجاز فعلته .

فقال له عمرو : نعم ، فافعل .

فلما خرج عمرو من عند عمر بن الخطاب ذكر ذلك لرؤساء أهل أرضه من قبط مصر ، فقالوا له : ماذا جئت به ؟ أصلح الله الأمير ، تنطلق فتخرج طعام أرضك وخصبها إلى الحجاز ، وتحرب هذه ؟ فإن استطعت فاستثقل ذلك .

فلما ودع عمر بن الخطاب قال له يا عمرو :

انظر إلى ذلك الخليج فلا تنسين حفره .

فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنه قد انسدت وتدخل فيه نفقات عظام .

فقال له عمر : أما والذي نفسى بيده ، إني لأظنك حين خرجت من عندي حدثت بذلك أهل أرضك ، فعظّموه عليك ، وكرهوا ذلك ، أغزىم عليك إلا ما حفرته وجعلت فيه سفنا .

فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، إنه متى ما يجد أهل الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة الحجاز لا يحفروا إلى الجهاد .

قال : فإني سأجعل من ذلك أمراً ، لا يحمل في هذا البحر إلا رزق أهل المدينة وأهل مكة .

فحفره عمرو ، وعالجه ، وجعل فيه السفن .

قال : ويقال ، إن عمر بن الخطاب ، كما ذكر عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه ، كتب إلى عمرو بن العاص :

« إلى العاص بن العاص ، فإنك لعمري لا تبالى إذا سمعت أنت ومن معك أن
أَعْجَفَ أنا ومن قبلي ، فيا غوثاه ، ثم يا غوثاه » .

فكتب إليه عمرو بن العاص : أما بعد ، فيا لبيك ثم يا لبيك ، أتتكَ غير ،
أولها عندك وآخرها عندي ، مع أنى أرجو أن أجد السبيل إلى أن أحل إليك
في البحر .

ثم إن عمرو اندم على كتابه في الحمل إلى المدينة في البحر ، وقال : إن أمكنتُ
عمر من هذا خرب مصر ، ونقلها إلى المدينة ، فكتب إليه ، إنى نظرت في أمر
البحر فإذا هو عسيرٌ لا يُلتَأَم ولا يُستطاع .

فكتب إليه عمر : إلى العاص بن العاص ، فقد بلغنى كتابك ، تعتل
في الذى كنت كتبت إلى به من أمر البحر ، وأئتم الله لتفعلن ، أو لأقلعنك
بأذنك ، أو لأبعثن من يفعل ذلك .

فعرف عمرو أن الجِدَّ من عمر بن الخطاب ، ففعل .

فبعث إليه عمر : ألا تدع بمصر شيئاً من طعامها وكسوتها ونقلها وعَدَمها
وخلها إلا بعثت إليها منه .

قال : ويقال ، إنما دلَّ عمرو بن العاص على الخليج رجل من قبط مصر .
حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا سفیان بن عيينة عن ابن أبى نجیح
عن أبيه ، أن رجلاً أتى إلى عمرو بن العاص ، من قبط مصر ، فقال : أرايت إن
دللتك على مكان تجرى فيه السفن حتى تنتهى إلى مكة والمدينة أتضع عنى الجزية ،
وعن أهل بيتى ؟

قال : نعم .

فكتب إلى عمر ، فكتب إليه ، أن افعل .

فلما قدمت السفن الحجاز خرج عمر حاجاً أو مُعْتَمِراً ، فقال للناس : سيروا
ننظر إلى السفن التي سيّرها الله إلينا من أرض فرعون حتى أتتنا .

فقال رجل من بني ضَمْرَةَ ، فَأَفْرَدَنِي السَّيْرُ مَعَهُ فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ ، فَأَوَانَا اللَّيْلَ
إِلَى خِيْمَةِ أَغْرَابٍ ، فَإِذَا بُرْزَمَةٌ تَقْطِي عَلَى النَّارِ ، فَقَالَ عُمَرُ : هَلْ مِنْ طَعَامٍ ؟

قَالَ : لَا إِلَّا لَحْمٌ ظَبْيٍ ، أَصْبَنَاهُ بِالْأَمْسِ .

فَقَرَّبُوهُ ، فَأَكَلَ مِنْهُ ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن سعد عن زيد
ابن أسلم عن عمرو بن سعد الجاربي ، أن عمر أتى الجار^(١) ، ثم دعا بمنديل ، ثم
قال ، اغتسلوا من ماء البحر ، فإنه مبارك .

قال غير أسد ، فلما قدمت السفن الجار ، وفيها الطعام صكّ عمر للناس
بذلك الطعام صكوكا ، فتبايع التجار الصكوك بينهم قبل أن يقبضوها .

قال : لحدثني أبي عبد الله بن الحكم أخبرنا ابن لميعة عن أبي الأسود عن
عروة بن الزبير قال : لقي عمر بن الخطاب العلاء بن الأسود فقال : كم ربح حكيم
ابن حزام ؟

فقال : ابتاع من صكوك الجار بمائة ألف درهم ، وربح عليها مائة ألف .

فلقبه عمر بن الخطاب فقال : يا حكيم ، كم ربحت ؟

فأخبره بمثل خبر العلاء .

فقال عمر : فبعته قبل أن تقبضه ؟

قال : نعم .

قال عمر : فإن هذا يبيع لا يصلح ، فأردده

فقال حكيم : ما علمت أن هذا لا يصلح ، وما أقدر على ردّه .

(١) بلد على البحر بينه وبين المدينة يوم وليلة ، منه عبد الله بن سويد الصحابي ، ولعله
مكان « ينبع » الحالية .

فقال عمر : ما بُدَّ .

فقال حكيم : والله ما أقدر على ذلك ، وقد تفرّق وذهب ، ولكن رأس مالى ورجى صدقة .

حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا مالك بن أنس عن نافع ، أن حكيم ابن حزام ابتاع طعاما أمر به عمر للناس ، فباع حكيم الطعام قبل أن يستوفيه ، فسمع بذلك عمر ، فردّه عليه ، وقال : لا تبع طعاما ابتعته حتى تستوفيه ،

قال مالك : وبلغنى أن صكوكا خرجت للناس فى زمان مروان بن الحكم من طعام الجار ، فتبايع الناس تلك الصلوك بينهم قبل أن يستوفوها .

فدخل زيد بن ثابت ورجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مروان ، فقالا له : أتحل بيع الربا يا مروان ؟ فقال : أعوذ بالله ، وما ذاك ؟ . قالا : هذه الصكوك يتبايعها الناس ، ثم يبيعونها قبل أن يستوفوها .

فبعث مروان الحرس يتبعونها ، يقتزعونها من أيدي الناس ، ويردونها إلى أهلها . وحدثنا أسد بن موسى ، حدثنا مهدي بن ميمون ، حدثنا سعيد الجري عن أبى نضرة عن أبى فراس ، أن عمر بن الخطاب خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنه قد أتى على زمان وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده ، وقد خيل إلى بآخره أنه قد قرأه أقوام يريدون به الدنيا ، ويريدون به الناس ، ألا فأريدوا الله بأعمالكم وأريدوه بقراءتكم ، ألا إنما كنا نعرفكم إذ ينزل الوحي ، وإذا رسول الله ﷺ أظهرنا ، وإذا نبئنا الله من أخباركم ، فقد انقطع الوحي ، وذهب النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنا نعرفكم بما نقول لكم الآن ، من رأينا منه خيرا ظننا به خيرا ، وأحببناه عليه ، ومن رأينا منه شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه ، سرائركم فيما بينكم وبين ربكم ، ألا إني إنما أبعث عملى ليعلموكم

دينكم ويملوكم سننكم ، ولا أبغضهم ليضربوا ظهوركم ، ولا يأخذوا أموالكم ، ألا فن آى إليه شيء من ذلك فليرفعه إلى ، فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه .

فقام عمرو بن العاص ، فقال : أرايت يا أمير المؤمنين ، إن عتب عامل من عمالك على بعض رعيته فأدب رجلا من رعيته ، إنك لمقصنه منه ؟

قال : نعم ، والذى نفس عمر بيده لأقصنه منه ، ألا أقصنه وقد رأيت وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟ ألا لا تضربوا المسلمين ، فتذلّوهم ، ولا تمنعوم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تحمروا بهم فتفتنوم ، ولا تنزلوم الغياض فتضيّعوم .

فآى رجل من أهل مصر ، كما حدثنا أبى عبدة عن ثابت البنانى ومُحيد عن أنس ، إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ، عاخذ بك من الظلم . قال عُذّت معاذاً .

قال : سأبقت ابن عمرو بن العاص ، فسبقته ، فجعل يضربنى بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين .

فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ، ويقدم ابنه معه .
فقدم .

فقال عمر : أين المصرى ؟ خذ السوط ، فاضرب .
فجعل يضربه بالسوط ، ويقول عمر : اضرب ابن الأَلمين .
قال أنس : فاضرب ، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه ، فما ألقه عنه حتى تمنيتنا أنه يرفع عنه .

ثم قال عمر للمصرى : ضَع على ضِلعة عمرو .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما ابنه الذى ضربنى ، وقد اشتفيت منه .

فقال عمر لعمر : مُذْ كَمْ تَعْبَدْتُمْ النَّاسَ . وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟
قال : يا أمير المؤمنين ، لم أعلم ولم يأتني .

حدثني عبد الله بن صالح ، حدثني الليث بن سعد عن نافع مولى ابن عمر
أن صَبِيغًا الْعِرَاقِيَّ جَمَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَدِمَ
مِصْرَ ، فَبِعَثَ بِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

فلما أتاه الرسول بالكتاب ، فقرأه قال : أين الرجل ؟

قال : في الرَّحْلِ .

فقال عمر : أَبْصُرْ أَنْ يَكُونَ ذَهَبٌ فَتَصِيبَكَ مِنْهُ الْعُقُوبَةُ الْمَوْجِعَةُ .
فأتاه به .

فقال له عمر : عَمَّ تَسْأَلُ ؟
فخذه .

فأرسل عمر إلى رَطَائِبِ^(١) الْجَرِيدِ ، فَضْرِبَهُ بِهَا حَتَّى تَرَكَ ظَهْرُهُ دُبْرَهُ ،
ثُمَّ دَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ ، فَقَالَ صَبِيغٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كُنْتُ تَرِيدُ قَتْلِي فَأَقْتُلْنِي
قَتْلًا جَمِيلًا ، وَإِنْ كُنْتُ تَرِيدُ أَنْ تَدَاوِيَنِي فَقَدْ وَاللَّهِ بَرَأْتُ .
فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ، ألا يجالسه أحد من
المسلمين .

فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر ، إنه قد حسنت هيئته .
فكتب عمر : أَنْ ائْذَنْ لِلنَّاسِ فِي مَجَالَسَتِهِ .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا محمد بن خازم عن الحجاج عن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده قال : كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ،

(١) الرطائب : الجريد غير الجلاف .

يسأله عن رجل أسلم ثم كفر ثم أسلم، حتى فعل ذلك مراراً، أيقبل منه الإسلام؟
فكتب إليه عمر: أن أقبّل منه، اعرض عليه الإسلام، فإن قبل فأتركه،
وإلا فاضرب عنقه.

حدثنا أسد بن موسى، حدثنا محمد بن خازم عن الحجاج عن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده قال: كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب،
فسأله عن عبْدٍ وجدّ جرّةً من ذهب مدفونة.

فكتب إليه عمر: أن ارضخ^(١) له منها بشيء؛ فإنه أحرى أن يؤدّوا
ما وجدوا.

ذكر

فتح القيوم^(٢)

حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا سعيد بن عفير وغيره قالوا: فلما تم فتح المسلمين
[مصر] بعث عمرو جرائد الخيل إلى القرى التي حولها، فأقامت القيوم سنة لم يعلم
المسلمون بمكانها، حتى أتاهم رجل، فذكرها لهم، فأرسل عمرو معه ربيعة بن
حبّيش بن عُرْقُطَةَ الصّدَقِ.

(١) الرضخ: العطية القليلة.

(٢) يروى المؤرخون الفرييون أن فتح القيوم كان بعد استيلاء العرب على أم دفين،
وأن عمرو بن العاص حينما أبطأت عنه الأمداد ولم يستعلم فتح حصن بابلين سار عن معه من
الجند بعد أن عبروا النيل سالمين حتى بلغوا ممفيس، تلك المدينة القديمة التي كان أمرها قد
اضمحل منذ بناء الاسكندرية، ثم ساروا نحو القيوم، وقد كان يقوم بالدفاع عنها قائد كتيبة
الحفر فيها، فعدل جيش العرب إلى جانب الصحراء حتى بلغوا مدينة البهنسا ففتحوها عنوة،
ثم سمع عمرو بن العاص أن قوة من كتيبة القيوم تدير وراءه تراقبه في قلة من الفرسان،
فبعث عنهم عمرو ثم كر عليهم مباغتاً، فحاصروهم وقتلهم عن آخرهم، ثم عاد راجعاً إلى مهاجمة
حصن بابلين بعد أن بلغه مجيء أمداد العرب، وقد حقق فوزاً كبيراً ولأن لم يتم له الاستيلاء
على القيوم.

فلما سلكوا في الحِجَابَةِ لم يروا شيئاً ، فهمّوا بالانصراف ، فقال : لا تمجلوا ، سيروا ، فإن كان كذب فما أقدركم على ما أردتم ، فلم يسيروا إلا قليلاً حتى طلع سواد القيوم ، فهجموا عليها ، فلم يكن عندهم قتال ، وألقوا بأيديهم .

قال : ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصدقي ، وهو صاحب الأشقر على فرسه ينفذ الحِجَابَةَ ، ولا علم له بما خلفها من القيوم ، فلما رأى سوادها رجع إلى عمرو فأخبره ذلك .

قال : ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى الصعيد ، فسار حتى أتى القيس^(١) ، فنزل بها ، وبه سميت القيس ، فراث^(٢) على عمرو خبره . فقال ريعة بن حبيش : كُفِيت .

فركب فرسه ، فأجاز عليه البحر - وكانت أشي - فأناه بالخبر .

و يقال إنه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى إلى القيوم ، وكان يقال لفرسه الأحمى ، والله أعلم^(٣) .

قال عبد الرحمن : وبعث عمرو بن العاص نافع بن عبد القيس الفهري . وكان نافع أخا العاص بن وائل لأمه ، فدخلت خيولهم أرض النوبة صَوَائِفَ^(٤) كصوائف الروم :

فلم يزل الأمر على ذلك حتى عُزِلَ عمرو بن العاص عن مصر ، وأمر عبد الله ابن سعد بن أبي سرح ، فصالحهم ، وسأذ كر ذلك في موضعه ، إن شاء الله .

(١) القيس : قرية من أعمال مركز بني مزار على الشاطئ الغربي للنيل .

(٢) الريث : الإبطاء .

(٣) روى هذا في الأمل عنوان « ذكر فتح بركة الثاني » مكتوباً في غير محله مما

هو بطله .

(٤) أى في فصل الصيف ، والفرد صائفة ، وهي التزوة في الصيف .

ذكر

فتح برقة

قال : وكان البربر بفلسطين ، وكان ملكهم جالوت ، فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لُوبِيَّة ومَرَّاقِيَّة ، وهما كورتان من كور مصر الغربية ، هما يشرب من السماء ، ولا ينالها النيل ، ففترقا هنالك ، فتقدمت زِنَاتَةُ وَمَغِيلَةُ إلى المغرب ، وسكنوا الجبال ، وتقدمت لُؤَاتَةُ ، فسكنت أرض أنطابأس ، وهي بَرَقَةُ^(١) ، وتفرقت في هذا المغرب ، وانتشروا فيه حتى بلغوا السُوس^(٢) ؛ ونزلت هَوَّارَةُ مدينة لَبْدَةَ ؛ ونزلت نَفُوسَةُ إلى مدينة سَبْرَت^(٣) . وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك ؛ وأقام الأفارق ، وكانوا خدما للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم .

فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم بَرَقَةَ ، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار ، يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم . حدثنا عبيد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال : كتب عمرو بن العاص على لُؤَاتَةِ من البربر في شرطه عليهم ، إن عليكم أن تبيعوا أبناءكم وبناتكم فيما عليكم من الجزية .

(١) برقة : منطقة في شرق ليبيا ، ومن مدنها بنغازي ، وكانت قد خربت في حروب بني هلال . وقد جاء في هامش الأصل تعليق بخط الناسخ ، جاء فيه « ذكر الواقدي أنه ملك أنطابأس زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اسمه كياوس بن زَبُويل ، وأن صاحب إفريقية في ذلك الوقت إقلاعورس بن كيارس المذكور بركة وأنطابأس .

(٢) السوس : مدينة على البحر الأبيض في تونس ، وقد أسسها الفينيقيون نحو القرن التاسع قبل الميلاد ، واسمها الحالي سوسة .

(٣) سبرت : مدينة في ساحل طرابلس .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة أن أنطابلس فتحت بمهد .
من عمرو بن العاص .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عبد الله الحضرمي .
أن ابن دياس حين ولي أنطابلس أتاه بكتاب عهد .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عبد الله الحضرمي .
عن أبي قناب أيوب بن أبي العالوية الحضرمي عن أبيه قال : سمعت عمرو بن العاص
على المنبر يقول : لأهل أنطابلس عهد يؤق لم به .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال : ولم يكن يدخل برقة
يومئذ جابي خراج ، إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها . ووجه عمرو بن العاص
عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة ، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين .

ذكر

أطرابلس

قال حدثنا عبد الرحمن : ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس في .
سنة اثنتين وعشرين .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : غزا عمرو بن
العاص أطرابلس في سنة ثلاث وعشرين .

ثم رجع إلى حديث عثمان ، فنزل القبة التي على الشرف من شرقها ،
فحاصرها شهراً ، لا يقدر منهم على شيء ، فخرج رجل من بني مذليج ذات يوم
من عسكر عمرو متصيداً في سبعة نفر ، ففصوا غربي المدينة حتى أمعنوا عن العسكر ،
ثم رجعوا فأصابهم الحر ، فأخذوا على ضفة البحر ، وكان البحر لاصقاً بسور

المدينة ، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور^(١) ، وكانت سفن الروم شائعة في مرساها إلى بيوتهم .

ففظر المدلجى وأصحابه ، فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ، ووجدوا مسلكاً إليها من الموضع الذى غاض منه البحر ، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة ، وكثروا ، فلم يكن للروم مفرج إلا سفنهم ؛ وأبصر عمرو وأصحابه السلة في جوف المدينة ، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم ، فلم تفلت الروم إلا بما خفت لهم في سراكبهم ، وغنم عمرو ما كان في المدينة .

وكان من سبّرت متحصنين (واسمها نبارة ، وسبّرت السوق القديم ، وإنما نقله إلى نبارة عبدالرحمن بن حبيب سنة إحدى وثلاثين) فلما بلغهم محاصرة عمرو ومدينة أطرابلس وأنه لم يصنع فيهم شيئاً ولا طاقة له بهم أمنوا .

فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة أطرابلس جرد خيلاً كثيفة من ليلته ، وأمرهم بسرعة السير ، فصبتحت خيله مدينة سبّرت ، وقد غفلوا ، وقد فتحو أبوابهم لتشرح ماشيتهم ، فدخلوها ، فلم ينج منهم أحد ، واحتوى [جند] عمرو على ما فيها ، ورجعوا إلى عمرو .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد أنه سمع أبا تميم الجديشاني يقول : غزونا مع عمرو بن العاص غزوة أطرابلس ، فجمعنا المجلس ومعنا فيه هبيب بن مفضل ، فذكرنا قضاء دين رمضان ، فقال هبيب بن مفضل : لا يُفرّق ، وقال عمرو بن العاص ، لا بأس أن يُفرّق إذا أحصيت العدد .

(١) كذا في الأصل ولعل في العبارة تصحيحاً في كلمة سور في هذه الجملة أو في الجملة قبلها .

استئذان عمرو بن العاص عمر بن الخطاب

في غزوة إفريقية

وأراد عمرو أن يوجه إلى المغرب ، فكتب إلى عمر بن الخطاب كما حدثنا
عبد الملك بن مسعدة عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني « إن الله
قد فتح علينا أطرا بلس ، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير
المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل » .

فكتب إليه عمر : لا ، إنها ليست بإفريقية ، ولكنها المفرقة ، غادرة ،
مقدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل
عن مرة بن ليشرح المعافري قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : إفريقية المفرقة ،
المفرقة - ثلاث مرات - لا أوجه إليها أحدا ما مَلَّتْ ^(١) عيني الماء .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن
رباع عن مسعود بن الأسود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بايع
تمت الشجرة . ، أنه استأذن عمر بن الخطاب في غزو إفريقية ، فقال عمر : لا ، إن
إفريقية غادرة مقدور بها .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره ، قال : فأتى عمرو بن
العاص كتاب المقوقس يذكر له فيه أن الروم يريدون نكث العهد ، ونقض
ما كان بينهم وبينه ، وكان عمرو قد عاهد المقوقس على ألا يكتبه أمرا يحدث ؛
فانصرف عمرو راجعا مبادرا لما أتاه .

وقد كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ثم يرجعون .

(١) القل هو النظر والغمس .

ذِكْر

عزل عمرو عن مصر

قال عبد الرحمن : فتوفي عمر رحمة الله عليه وعلى مصر أميران ^(١) ، عمرو بن العاص بأسفل الأرض ، وعبد الله بن سعد بن أبي مَرْح على الصعيد .
قال : وكانت وفاة عمر كما حدثنا يحيى بن بكير من الليث بن سعد مصدراً
الحاج سنة ثلاث وعشرين .

حدثنا سعيد بن عفير قال : إنما كان عمر بن الخطاب ولي عبد الله بن سعد
من الصعيد القتيوم .

فلما استخلف عثمان بن عفان ، كما حدثنا عبد الله بن صالح أو غيره عن الليث ،
طمع عمرو بن العاص ^(٢) لما رأى من عثمان أن يعزل عبد الله بن سعد عن الصعيد ،
فوفد إليه ، وكله في ذلك ، فقال له عثمان : ولآه عمر بن الخطاب الصعيد وليس
بينه وبينه حرمة ولا خاصة ، وقد علمت أنه أخى من الرضاعة فكيف أعزله
عما ولآه غيرى ؟ !

وقال له فيما حدثنا سعيد بن عفير : إنك لقي غفلة عما كانت تصنع بي أمه ،
إن كانت لتخبط بالعرق من اللحم في رذنها حتى آت .

قال : ثم رجع إلى حديث الليث بن سعد قال : فغضب عمرو ، وقال : لست
راجماً إلا على ذلك .

فكتب عثمان بن عفان إلى عبد الله بن سعد يؤمره على مصر كلها ، فجاءه

(١) في الأصل ، ومصر على أميرين .

(٢) في نسخة ب زيادة : في مصر .

الكتاب بالفيوم ؛ قال ابن عُفَيْر : بقرية منها تُدعى دَمُوشة^(١) .

قال الليث في حديثه : فجعل لأهل أطواب^(٢) جُمُلاً على أن يصبحوا به الفسطاط في مركبه ، وكان الذي جعل لهم كما يزعم آل عبد الله بن سعد خمسة دنانير .

قال الليث : فقدموا به الفسطاط قبل الصبح ، فأرسل إلى المؤذن ، فأقام الصلاة حين طلع الفجر ، وعبد الله بن عمرو ينتظر المؤذن يدعوه إلى الصلاة لأنه خليفة أبيه ، فاستنكر الإقامة ، فقيل له : صلى عبد الله بن سعد بالناس .

وآل عبد الله يزعمون أن عبد الله بن سعد أقبل من غربي المسجد بين يديه شمعة ، وأقبل عبد الله بن عمرو من نحو داره بين يديه شمعة ، فالتقت الشمعتان عند القبلة .

قال الليث في حديثه ، فأقبل عبد الله بن عمرو حتى وقف على عبد الله بن سعد ، فقال له : هذا بشيئك ودَسَّك .

فقال عبد الله بن سعد : ما فعلتُ ، وقد كنت أنت وأبوك تحسداني على الصعيد ، فتعال حتى أولئك الصعيد وأولى أباك أسفل الأرض ، ولا أحسدك عليه .

فلبث عبد الله بن سعد عليها أميرا محمودا ، وغزا فيها ثلاث غزوات ، كلهن لها شأن ، إفريقية ، والأساور ، ويوم ذات الصواري ، وسأذكر ذلك في موضعه إن شاء الله .

(١) دموشة : في نسخة ب تصحيح علي الهامشي : إنما هي شدة موشة ، كذا ذكرني أبو الفيدان بن السرحي ، وفي نسخة ٥ : قال أبو القاسم بن فريد قال لي أبو الفيدان بن السرحي إنما هي شدموه ، وما كان له بدموشة شيء ، وإنما هذا تصحيف الرواية ، وقد وردت في تحفة الإرشاد باسم دموشية ، وفي التحفة باسم دموشت ، وكانت قبلى مدينة الفيوم وشمال دير العزب ، واندثرت ، ومكانها اليوم يعرف باسم تل أبو خوصة بمحوض غبور رقم ٤٤ بأراضي ناحية الحاذقة بمركز الفيوم من أعمال محافظة الفيوم .

(٢) أطواب : قرية من قرى الفيوم ، ولها ذكر في ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر .

قال : وكان عزّل عمرو بن العاص عن مصر كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن
مُبَكِّير عن الليث بن سعد وتولية عبد الله بن سعد في سنة خمس وعشرين .

ذكر

انتفاصم الإسكندرية

قال عبد الرحمن : وقد كانت الاسكندرية كما حدثنا عبد الله بن صالح عن
الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب انتفضت ، وجاءت الروم ، عليهم مَنُويل
انلخصي في المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية ، فأجابهم من بها من الروم ، ولم
يكن المقوقس ^(١) تحرك ولا نكث .

وقد كان عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص ، وولى عبد الله بن سعد .
فلما نزلت الروم الإسكندرية سأل أهل ^(٢) مصر عثمان أن يُقرّ عمرأ حتى
يفرغ من قتال الروم ، فإن له معرفة بالحرب وهيبة في العدو . ففعل .

وكان على الاسكندرية سورُها ، خاف عمرو بن العاص ، لأن أظهره الله
عليهم ليهدم من سورها حتى تكون مثل بيت الزانية ، تؤتى من كل مكان .
فخرج إليها عمرو في البر والبحر ^(٣) .

قال غير الليث : وضوى إلى المقوقس من أطاعه من القبط ، فأما الروم فلم
يُطعمه منهم أحد .

فقال خارجة بن حذافة لعمرو : ناهضهم قبل أن يكثر مددُهم ، ولا آمن
أن تنتفض مصر كلها .

(١) في نسخة ب : المقوقس .

(٢) المراد القبط .

(٣) لم يكن للأقرب أسطول بحري بعد ، وكان أسطول الروم الذي بعث به الإمبراطور
قسطنطين بقيادة منويل للاستيلاء على الاسكندرية .

فقال عمرو : لا ، ولكن أَدْعُهُمْ حَتَّى يَسِيرُوا إِلَى ، فَإِنَّهُمْ يَصِيَّبُونَ مِنْ مَرَّتُوا بِهِ ، فَيَخْزِي اللَّهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ .

فَخَرَجُوا مِنَ الإسْكَندَرِيَّةِ ، وَمَعَهُمْ مِنْ نَقْضِ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، فَجَعَلُوا يَنْزِلُونَ الْقَرْيَةَ ، فَيَشْرِبُونَ خَوْرَهَا ، وَيَأْكُلُونَ أَطْعَمَتَهَا ، وَيَنْتَهَبُونَ مَا مَرَّتُوا بِهِ ، فَلَمْ يَمْرُضْ لَهُمْ عَمْرُو حَتَّى بَلَغُوا نَقْيُوسَ ^(١) ، فَلَقَوْهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، فَبَدَأَتْ الرُّومُ وَالْقَبْطُ ، فَرَمَوْا بِالنَّشَابِ [وَهُمْ] فِي الْمَاءِ زَمْيَا شَدِيدًا حَتَّى أَصَابَتْ النَّشَابُ يَوْمَئِذٍ فَرَسَ عَمْرُو فِي لَبْتِهِ ، وَهُوَ فِي الْبَرِّ ، فَعُقِرَ ، فَنَزَلَ عَنْهُ عَمْرُو .

ثُمَّ خَرَجُوا مِنَ الْبَحْرِ ، فَاجْتَمَعُوا هُمْ وَالَّذِينَ فِي الْبَرِّ ، فَفَضَحُوا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّشَابِ ، فَاسْتَأْخَرِ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ شَيْئًا ، وَحَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَمْلَةً وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا ، وَانْهَزَمَ شَرِيكَ بْنُ سُمَيٍّ فِي خَيْلِهِ .

وَكَانَتْ الرُّومُ قَدْ جَعَلَتْ صَفُوفًا خَلْفَ صَفُوفٍ ، وَبَرَزَ يَوْمَئِذٍ بِطَرِيقٍ مِنْ جَاءَ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ ، عَلَيْهِ سِلَاحٌ مُذَهَّبٌ ، فَدَعَا إِلَى الْبَرَّازِ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ زُبَيْدٍ ، يُقَالُ لَهُ حَوْمَلٌ ، يَكْنَى أَبَا مَذْحِجٍ ، فَاقْتَتَلَا طَوِيلًا بِرُمُحَيْنِ يَتَطَارِدَانِ ، ثُمَّ أَلْقَى الْبَطْرِيقُ الرَّمْحَ ، وَأَخَذَ السِّيفَ ، وَأَلْقَى حَوْمَلٌ رَمْحَهُ ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ ، وَكَانَ يَعْرِفُ بِالنَّجْدَةِ ، وَجَعَلَ عَمْرُو يَصِيحُ ، أَبَا مَذْحِجُ ، فَيَجِيبُهُ ، لَبَّيْكَ ، وَالنَّاسُ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ فِي الْبَرِّ عَلَى تَعَبِثِهِمْ وَصَفُوفِهِمْ ، فَتَجَاوَلَا سَاعَةً بِالسِّيفَيْنِ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ الْبَطْرِيقُ ، فَاحْتَمَلَهُ ، وَكَانَ نَحِيفًا ، فَاخْتَرَطَ ^(٢) حَوْمَلٌ خَنْجَرًا كَانَ فِي مِثْطَقَتِهِ — أَوْ فِي ذِرَاعِهِ — فَضَرَبَ بِهِ نَحْرَ الْعَلِيجِ أَوْ تَرَقُّوتَهُ ، فَأَثْبَتَهُ ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ سَلْبَهُ .

(١) نَقْيُوسُ : مِنَ الْمَدَنِ الْمِصْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ، وَقَدْ زَالَتْ وَمَحَلُّهَا الْيَوْمَ الْكُومُ الْأَثَرِي الْمَوْجُودُ بِالْجَنَّةِ الْبَحْرِيَّةِ مِنْ سَكَنِ زَاوِيَةِ رَزِينَ بِمَرْكَزِ مَنْوَفِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ الْأَهَالِي هُنَاكَ بِاسْمِ كُومِ مَانُوسٍ أَوْ دَقْيَانُوسٍ ، وَهِيَ مَعْرُوفَانِ مِنْ نَقْيُوسِ الَّتِي اخْتَفَى اسْمُهَا مِنْ قَدِيمٍ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا عَلَى مَبَارَكٍ فِي الْمَخْطُوطِ التَّوْفِيقِيَّةِ الْجُزْءِ الثَّامِنِ صِيفَةَ ١٥ .

(٢) سَلَهُ مِنْ غَدَمِهِ .

ثم مات حومل بعد ذلك بأربعة أيام ، رحمة الله عليه .

فرثى عمرو يحمل سريره ، بين عمودى نعشه حتى دفنه بالمقطم .

ثم شد المسلمون عليهم ، فكانت هزيمتهم ، فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية ، ففتح الله عليهم ، وقتل منويزل الخصى .

حدثنا الهيثم بن زياد أن عمرو بن العاص قتلهم حتى أضمن في مدينتهم ، فكمأهم في ذلك ، فأمر برفع السيف عنهم ، وبني في ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجد ، وهو المسجد الذى بالإسكندرية الذى يقال له مسجد الرحمة ؛ وإنما سمي مسجد الرحمة لرفع عمرو السيف هناك . وهدم سورها كله .

وجمع عمرو ما أصاب منهم ، فجاءت أهل تلك القرية ممن لم يكن نقض ، فقالوا : قد كنّا على صلحنا ، وقد مرّ علينا هؤلاء اللصوص ، فأخذوا متاعنا ودوابنا ، وهو قائم في يديك .

فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه البينة .

وقال بعضهم لعمرو : ما حلّ لك ما صنعت بنا ، كان لنا أن نتقاتل عنا ، لأنّا في ذمتك ، ولم تنقض ، فأما من نقض فأبعده الله .

فندم عمر ، وقال : ياليتنى كنت لقيتهم حين خرجوا من الإسكندرية .

وكان سبب نقض الإسكندرية هذا كما حدثنا عن حيوة بن شريح عن الحسن بن ثوبان عن هشام بن أبي رقية ، أن صاحب إخنأ قدم على عمرو بن العاص فقال : أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصبر لها .

فقال عمرو ، وهو يشير إلى ركن كنيسة : لو أعطيتنى من الركن إلى السقف

ما أخبرتك ، إنما أنتم خزّانة لنا ، إن كُثر علينا كُثرنا عليكم ، وإن خُفّ عنا خُفّفنا عنكم^(١) .

فغضب صاحب إخواننا^(٢) ، فخرج إلى الروم ، فقدم بهم ، فهزمهم الله ، وأسير الذبيطي^(٣) ، فأُتي به عمرو ، فقال له الناس : اقتله .

فقال : لا ، بل انطلق فحُشنا بجيش آخر .
حدثنا سعيد بن سابق قال : كان اسمه طلماً وأن عمرأ لما أُتي به سوّده ، وتوجّه ، وكساه بُرّئس أَرْجُوَان ، وقال له : إيتنا بمثل هؤلاء ؛ فرضى بأداء الجزية .
فقيل لطلماً : لو أتيت ملك الروم ؟ فقال : لو أتيت لقتلني ، وقال ، وقتلت أصحابي .

ذكر

غراب خربة وردان

قال عبد الرحمن ، حدثنا سعيد بن سابق قال : وكان عمرو حين توجه إلى الاسكندرية خرب القرية التي تعرف اليوم بخربة وردان .

قال عبد الرحمن : واختلف علينا في السبب الذي خربت له ، فحدثنا سعيد ابن عفير أن عمرأ لما توجه إلى نَسيُوس لقتال الروم عدل وردان^(٤) لقضاء حاجته عند الصبح ، فاخطفه أهل الخربة ، فغيّبوه ، ففقد عمرو ، وسأل عنه ، وقفاً أثره ، فوجدوه في بعض دورهم ، فأمر بإخراجهم منها .

(١) يروى المؤرخون أن عبد الله بن سعد والى مصر من قبل عثمان بن عفان قد جعل أول همه زيادة الضرائب على أهل الاسكندرية الذين كانوا يرزحون تحت عبء ثقل من الالتزامات . وأنهم قد ألقوا كتباً إلى الإمبراطور الروماني يسألونه استخلاصهم مما فرض عليهم .
(٢) في نسخة تعليق قوله : وجدته في غير نسخة من كتاب فتوح مصر بالجيم (لجنا) ، والصواب ما ذكر ، وإخوانا مدينة كانت بالإقليم الذي كان يعرف بالحوف الغربي ، وهي قرية من الاسكندرية ، وصاحبها هو طلما ، وقد ذكرها ياقوت في الجزء الأول صحيفة ١٦٦ ، ولستنا نستطيع أن نعرف موضعه إخوانا على الخرائط المصورة ، ولا بين أسماء القرى .
(٣) الأنباط : جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق ، يستنبطون ما يخرج من الأرض .
(٤) في نسخة هـ زيادة : مولى عمرو .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة قال : كان أهل الخربة رُفُيَانَا كلهم ، فغدرُوا بَقُومٍ من ساقَةِ عمرو ، فقتلُوهم بعد أن بلغ عمرو الْبِكْرِيُونَ ، فَأَقَامَ عمرو ، ووجهَ إليهم وَرْدَان ، فقتلهم ، وخرَّبها ، فهدى خراب إلى اليوم .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم قال : كان أهل الخربة أهل تَوَثُّبٍ وَخَبْثٍ ، فَأَرْسَلَ عمرو بن العاص إلى أرضهم ، فَأَخَذَ لَهُ مِنْهَا جِرَابٌ فِيهِ تَرَابٌ مِنْ تُرَابِهَا ، ثُمَّ دَعَاهُمْ ، فَكَلَّمَهُمْ ، فَلَمْ يَجِيبُوهُ إِلَى شَيْءٍ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِمْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْتُّرَابِ ، فَفَرَّشَ تَحْتَ مُصَلَّاهُ ، ثُمَّ قَعَدَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ ، فَكَلَّمَهُمْ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى مَا أَحَبَّ ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِالشَّرَابِ فَرَفَعَ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ فَلَمْ يَجِيبُوهُ إِلَى شَيْءٍ ، حَتَّى قَوْلَ ذَلِكَ مَرَارًا . فَلَمَّا رَأَى عمرو ذلك قال : هَذِهِ بَلَدَةٌ لَا تَصْلُحُ إِلَّا أَنْ تَوَطَّأَ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ذِكْرُ

مَا قَبِلَ فِي فَتْحِ الْأَسْكَندَرِيَةِ الثَّانِي

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ لُحَيْعَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ قَالَ : فَلَمَّا هَزَمَ اللَّهُ الرُّومَ أَرَادَ عُمَانُ عَمْرًا أَنْ يَكُونَ عَلَى الْحَرْبِ وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى الْخُرَاجِ ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّا إِذْنُ كَمَا سَكَّ الْبَقَرَةُ بَقَرَتَيْهَا وَآخَرَتَيْهَا . فَأَبَى عَمْرُو .

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُتَمَرِّيُّ ، حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ بْنُ عِمْرَانَ عَنْ تَمِيمِ بْنِ فَرَّعٍ الْمَهْرِيِّ قَالَ : شَهِدْتُ فَتْحَ الْأَسْكَندَرِيَةِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ، فَلَمْ يُسْأَلْ لِي حَتَّى كَادَ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ قَوْمِي وَبَيْنَ قُرَيْشٍ مُنَاكَزَةً ؛ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : أَرْسَلُوا إِلَى بَصْرَةَ الْغَفَارِيِّ وَعَقِبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجَلْبَتِيِّ فَإِنَّهُمَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَلُّوهُمَا عَنْ هَذَا ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمَا ، فَسَأَلُوهُمَا ، فَقَالَا : انْظُرُوا ، فَإِنْ كَانَ أَنْبَتَ فَأَسْهِمُوا لَهُ ، فَانْظُرُوا إِلَى بَعْضِ الْقَوْمِ ، فَوَجَدُونِي قَدْ أَنْبَتَ ، فَأَسْهِمُوا لِي .

ذكر

قدوم عمرو على عمر بن الخطاب

حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا عثمان بن صالح عن الليث بن سعد قال ، عاش عمر بن الخطاب بعد فتح مصر ثلاث سنين ، قدم عليه عمرو فيها قَدْ مَتَيْن .

قال ابن عفير . استخلف في إحداهما زكرياء بن الجهم المَبْدَرِيّ على الجند ، ومُجَاهِد بن جَبْرِ مولى بنى نَوْفَل بن عبدمناف على الخراج — وهو جدّ معاذ بن موسى النِّقَاط أبي إسحاق بن معاذ الشاعر ، فسأله عمر ، من استخلفت ؟ فذكر له مجاهد بن جبر ؛ فقال له عمر : مَوَلَى ابنة غزوان ؟ قال : نعم ، إنه كاتب . فقال عمر : إن القلم ليرفع بصاحبه .

وبنت غزوان هذه أخت عقبة بن غزوان ، وقد شهد عقبة بدرًا .

حدثنا عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق قال : عقبة بن غزوان بن جابر بن وهب ابن نُسَيْب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلَان ، حليف بنى وائل ابن عبدمناف .

قال : وخطة مجاهد بن جبر دار صالح صاحب السوق .

قال : ثم رجع إلى حديث ابن عفير قال : واستخلف في القَدَمَة الثمانية عبد الله بن عمرو .

فحدثنا عبد الملك بن مسلمة وعبد الله بن صالح قالا ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص دخل على عمر بن الخطاب وهو على مائدته ، جائيا على ركبتيه ، وأصحابه كلهم على تلك الحال ، وليس في الجفنة فضل لأحد يجلس .

فسلم عمرو على عمر ، فرد عليه السلام .

وقال : عمرو بن العاص ؟

قال : نعم .

فأدخل عمر يده في الثريد ، فملاها ثريدا ، ثم ناولها عمرو بن العاص .
فقال : خذ هذا .

فجلس عمرو ، وجعل الثريد في يده اليسرى وياً كل باليمنى ، ووقد أهل
مصر ينظرون إليه .

فلما خرجوا قال الوفد لعمر : أى شيء صنعت ؟

فقال عمرو : إنه والله لقد علم أنى بما قدمت به من مصر لعننى عن الثريد
الذى ناولنى ، ولسكنه أراد أن يختبرنى ، فلو لم أقبلها للقيت منه شراً .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبييل
قال : دخل عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب وقد صبغ^(١) رأسه ولحيته
بسواد .

فقال عمر : من أنت ؟

قال : أنا عمرو بن العاص .

قال عمر : عهدى بك شيخاً وأنت اليوم شاب ، عزمت عليك إلا ما خرجت .
فغسلت هذا .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب قال :
قدم عمرو بن العاص من مصر مرة على عمر ، فوافاه على المنبر يوم الجمعة ، فقال :
هذا عمرو بن العاص قد أتاكم ، ما ينبغي لعمر أن يمشى على الأرض إلا أميراً .

(١) في نسخة هـ وكان قد خضب .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا ابن لهيعة عن مِشْرَح بن عاهان عن عقبة
ابن عامر أن عمر رضى الله عنه قال : ما ينبغي لعمر أن يمشى على الأرض
إلا أميراً .

قال الليث : قال عمرو بن العاص : ما كنت بشئ أتعجز منى بالحرب .

ذكـر

وفاة عمرو بن العاص رضى الله عنه

قال عبد الرحمن : ثم توفى عمرو بن العاص فى سنة ثلاث وأربعين .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : توفى عمرو بن العاص سنة ثلاث
وأربعين ، وفيها أمر عتبة بن أبى سفيان على أهل مصر ، وفيها غزا شريك بن
عُصَيَّة لَبْدَةَ المِغْرِب^(١) .

قال : وحدثنا أسد بن موسى وعبد الله بن صالح قالوا : حدثنا الليث بن سعد
عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن شماسه ، أخبره أن عمرو بن العاص لما حضرته
الوفاة دمعت عيناه ، فقال عبد الله بن عمرو : يا أبا عبد الله ، أَجَزَّعُ من الموت
يحملك على هذا ؟

قال : لا ، ولكن مما بعد الموت .

فذكر له عبد الله مواطنه التى كانت مع رسول الله عليه وسلم والفتوح التى
كانت بالشام .

فلما فرغ عبد الله من ذلك قال : قد كنت على أطباق ثلاثة ، لومت على

(١) لبدة المغرب : مدينة بين برقة وإفريقية ، وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة .
وهى حصن من بنيان الأول بالمجر والآخر ، وحولها آثار مجيبة .

بعضهم علمت ما يقول الناس ، بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فسكنت أكره الناس لما جاء به ، آتمنى لو أنى قتلته ، فلومت على ذلك لقال الناس ، مات عمرو مشركا ، عدوا لله ورسوله ، من أهل النار ؛ ثم قذف الله الإسلام فى قلبى ، فأنبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبسط إلى يده ليبياعنى ، فقبضت يدى ، ثم قلت : أبايعك على أن يُغفر لى ما تقدم من ذنبى ، وأنا أظن حينئذ أنى لأحدث فى الإسلام ذنبًا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، إن الإسلام يحب ما قبله من خطيئة ، وإن الهجرة تحب ما بينها وبين الإسلام ، فلومت على هذا الطبق لقال الناس ، أسلم عمرو وجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترجو لعمرو عند الله خيرا كثيرا .

ثم أصبت إمارات وكانت فتن ، فأنا مشفق من هذا الطبق ، فإذا أخرجتمونى فاسرعوا بى ، ولا تتبعنى مادحة ولا نائحة ، وشدوا على إزارى ، فإنى مُحَاكَمٌ ، وسُنُّوا على التراب سَنًا ، فإن يمينى ليست بأحق بالتراب من يسارى ، ولا تُدْخِلَنَّ القبر خشبة ولا طوبة ؛ ثم إذا قبرتمونى فامكثوا عندى قدر نحر جَزُور وتقطعها أستانس بكم .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن قيس بن سُمَيٍّ نحوه .

قال : وقال عمرو : فوالله إني إن كنت لأشد الناس حياء من رسول الله عليه وسلم ، ما ملأت عينى منه ، ولا راجعته بما أريد حتى لحق بالله حياء منه .

وصية عمرو بن العاص يوم موته

حدثنا عبد الرحمن : حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن محمد بن طلحة عن إسماعيل أن عمرو بن العاص لما حضره الموت قال : ادعوا لى

عبد الله ، فقال : « يا بني ، إذا أنا مت فاغسلني وترأ ، واجعل في آخر ماء تغسلني به شيئاً من كافور ، فإذا فرغت فاسرع بي ، فإذا أدخلتني قبري فسنّ على التراب سنّاً ، واعلم أنك تتركني وحيداً خائفاً ، اللهم لا أعتذر ولسكني أستغفر ، اللهم إنك أمرت بأمور فتركناها ، ونهيت فركبناها ، فلا برى فاعتذر ، ولا عزيز فانتصر ، ولكن لا إله إلا أنت ، لا إله إلا أنت - ثلاث مرات - ثم قبض .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه ، أن عمرو ابن العاص لما حضرته الوفاة ذرفت عيناه ، فبكى ؛ فقال له عبد الله : يا أبت ، ما كنت أخشى أن ينزل بك أمر من أمر الله إلا صبرت عليه .

قال له : يا بني ، إنه نزل بأبيك خلال ثلاث ، أما أولاهن فانقطاع عمله ؛ وأما الثانية فهو المظلم ، وأما الثالثة فقراق الأحبة ، وهي أيسرهن ، اللهم أمرت فتوانيت ، ونهيت فعصيت ، اللهم ومن شيمك العفو والتجاوز .

حدثنا وهب الله بن راشد أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن حميد ابن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو ، أن عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة قال : أي بُني ، إذا مت فكفني في ثلاثة أثواب ، ثم أرزني في أحدهن ، ثم شقوا لي الأرض شقاً ، وسقوا علي التراب سنّاً ، فإني مُخاصم ؛ ثم قال : اللهم إنك أمرت بأمور ونهيت عن أمور ، فتركناها كثيراً مما أمرت به ، ووقعنا في كثير مما نهيت عنه ، اللهم لا إله إلا أنت ، فلم يزل يرددّها حتى فاض (١) .

حدثنا المقرئ عبد الله بن يزيد ، حدثنا حرملة بن عمران التميمي ، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي فراس مولى عمرو بن العاص ، أن عمراً لما حضرته الوفاة قال لابنه عبد الله : إذا مت فاغسلني ، وكفني ، وشدّ علي إزارى فإني مُخاصم ؛ فإذا أنت حملتني فاسرع بي في المشي ، فإذا أنت وضعتني في المصلى ، وذلك في يوم .

عبيد ، فانظر إلى أفواه الطرق ، فإذا لم يبق أحد واجتمع الناس ، فابدأ ، فصل على ، ثم صل العيد ، فإذا وضعتني في الحدي ، فأهبلوا على التراب ، فإن شقى الأيمن ليس بأحق بالتراب من شقى الأيسر ، فإذا سوّيتهم على فاجلسوا عند قبري قدر نحر جزور وتقطيعها استأنس بكم .

فلما تقدم عبد الله ليصلي على أبيه كما حدثنا عبد الغفار بن داود وعبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن ربيعة بن كقيط قال : والله ما أحب أن لي بأبي أباً رجلاً من العرب ، وما أحب أن الله يعلم أن عيني دمت عليه جزعاً ، وأن لي حمر النعم . ثم كبر .

حدثنا سعيد بن عفير ، قال : ودفن بالمقطم من ناحية الفج ، وكان طريق الناس يومئذ إلى الحجاز ، فأحب أن يدعوله من ممر به ، وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ أَخْنَتُ رِيْبِهِ عَلَى عَمْرِو السَّهْمِيِّ تَجَنَّبِي لَهُ مِصْرُ
فَأَضْحَى نَبِيذًا بِالْعَرَاءِ وَضَلَلْتُ مَكَائِدُهُ عَنْهُ وَأَمْوَالُهُ الْاَسْرُ^(١)
وَلَمْ يَنْبِ عَنْهُ جَمْعُهُ وَاحْتِيَالُهُ وَلَا كَيْدُهُ حَتَّى أُتِيحَ لَهُ الدَّهْرُ

* * *

فتح إفريقية

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : فلما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر ، وأمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في أيام عمرو ، فيصيبون من أطراف إفريقية ويعتقونهم ، فكذب في ذلك عبد الله بن سعد إلى عثمان ، وأخبره بقربهم من حرز المسلمين ويستأذنه في عزوها .

فتدب عثمان الناس لعزوها بعد المشورة منه في ذلك : فلما اجتمع الناس أمر عليهم عثمان الحارث بن الحكم إلى أن يقدموا على عبد الله بن سعد مصر فيكون إليه الأمر .

خرج عبد الله بن سعد إليها ، وكان مستقر سلطان إفريقية بمدينة يقال لها قرطاجنة^(١) ، وكان عليها ملك يقال له جرجير ، كان يدرقل استخلفه ، فخرج يدرقل وضرب الدنانير على وجهه ، وكان سلطانه ما بين أطرابلس إلى طنجة^(٢) . حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة قال : كان يدرقل استخلف جرجير ، فخلعه .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال : فلقية جرجير ، فقاتله ، فقتله الله ، وكان الذي ولي قتله فيما يزعمون عبد الله بن الزبير .

وهرب جيش جرجير ، فبعث عبد الله بن سعد السرايا ، وفرتها ، فأصابوا سفائن كثيرة ، فلما رأى ذلك رؤساء إفريقية طلبوا إلى عبد الله بن سعد أن يأخذ منهم ما لا على أن يخرج من بلادهم ، فقبل ذلك منهم ، ورجع إلى مصر ، ولم يزل

(١) قرطاجنة : ويطلق عليها اسم قرطاجا ، وهي مدينة ، لا تزال آثارها باقية بالقرب من مدينة تونس ، ويقال إن تونس قد بنيت من خرابها ، والاسم مكون من جزئين ، قرطا بمعنى مدينة ، وأضيف إليها جنة ، لطيبها ونزهاتها . وقد كانت قرطاجنة مقر لمبراطورية جبارة قاومت روما مدة .

(٢) طنجة : مرفأ على مصيق جبل طارث شمال المغرب ، وهو قاعدة لمنطقة دولية ، وكانت طنجة مصرفاً للفينيقيين في القرن السادس قبل الميلاد .

عليهم أحدا ، ولم يتخذ قَبْرَ وائاً ، فكانت غنائم المسلمين يومئذ تاحدثها عبد الملك ابن مسleme عن ابن هليعة عن أبي الأسود عن أبي أؤيس (١) ، قال أبو الأسود : رثى لواء قال : غزونا مع عبد الله بن سعد إفريقية ، فقسم بيننا الغنائم بعد استخراج الخيل . فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار ، الفرس ألفا دينار . ولقارسه ألف دينار ، وللراجل ألف دينار ، فقسّم لرجل من الجيش توفي بذات الحام (٢) ، فدفن إلى أهله بعد موته ألف دينار .

حدثنا يوسف بن عدي ، حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح عن عبد الرحمن ابن أبي هلال عن أبي الأسود أن أبا أؤيس مولى لهم قديماً ، حدثه أن رجلاً خرج في غزوة إفريقية فمات بذات الحام ، فقسم له ، فكان سهمه يومئذ ألف دينار عبد الملك بن مسleme ، حدثنا الليث بن سعد عن غير واحد أن عبد الله ابن سعيد غزا إفريقية وقتل جرّجيراً ، فأصاب الفارس يومئذ ثلاثة آلاف دينار ، والراجل ألف دينار .

قال ، غير الليث عن مشايخ أهل مصر : في كل دينار دينار أربع . قال : ثم رجع إلى حديث عيان بن صالح ، وغيره قال ، فكان جيش عبد الله بن سعد ثلاث عشرة ألفاً .

حدثنا عبد الملك بن مسleme عن ابن هليعة قال : كانت مَهْرَةً في غزوة عبد الله بن سعد ومعدن مائة رجل ، ونمقت من الأزد سبعمائة رجل ، ومعدان مائة . . . ومعدان من الأزد . . . وكان على مقاسمها كما حدثنا يحيى بن عبد الله ابن بكير عن ابن هليعة عن الحارث بن يزيد عن أزهر بن يزيد الفطيفي شريك ابن سمي ، فباع ابن زُرارة المديني تبرّاً بذهب ، بعضه أفضل بعض ، ثم لقيه المقداد بن الأسود ، فذكر ذلك له ، فقال المقداد : إن هذا لا يصلح . فقال له ابن زُرارة : فضّلها لك صبيحة . قال شريك : ما أحب أن لي ما تحوز وأني أرجع به .

(١) هو أبو أؤيس الأصمعي ، عبد الله بن عبد الله بن أؤيس (تقريب التهذيب صحيفه ٥٢٣) .

(٢) مرض الحمى .

وكانت ابنة جرحير كما حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم وسعيد بن عفير
قد صارت لرجل من الأنصار في سهمه ، فأقبل بها منصرفا قد حملها على بعير له ،
فجعل يرتجز :

يَا ابْنَةَ جُرْجِيرَ تَمْشِي عُنُقَيْتَكَ إِنْ عَلَيْكَ بِالْحِجَازِ رَبَّتْكَ
لَتَحْمِلَنَّ مِنْ قُبَاءٍ قَرُبَتَكَ

قالت : ما يقول هذا الكلب ؟

فأخبرت بذلك ، فألقت نفسها عن البعير الذي كانت عليه ، فدقت
عنقها ، فماتت .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ابن لهيعة ، أن عبد الله بن سعد هو
الذي افتتح إفريقية ، ونقل ، هو الذي افترع إفريقية ، وأنه كان يوضع بين
يديه الكوم من الورق ، فيقول للأفارقة : من أين لكم هذا ؟

قال : فجعل إنسان منهم يدور كالذي يلتمس الشيء حتى وجد زيتونة ،
فجاء بها إليه ، فقال : من هذا نصيب الورق .

قال : وكيف ؟

قال : إن الروم ليس عندهم زيتون ، فكانوا يأتوننا يشترون منا الزيت ،
فنأخذ هذا الورق منهم .

وإنما سموا الأفارقة فيما حدثنا عثمان بن صالح من ابن لهيعة وغيره ، أنهم من ولد
فارق بن يئصر ، وكان فارق قد حاز لنفسه من الأرض ما بين برقة إلى إفريقية ،
فبالأفارقة سميت إفريقية .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا بكر بن مضر عن يزيد بن أبي
حبيب عن قيس بن أبي يزيد عن الجلاس بن عامر عن عبد الله بن أبي ربيعة
قال : عبد الله بن سعد للناس بإفريقية المغرب ، فلما صلى ركعتين سمع جلبة في
المسجد ، فراءهم ذلك ، وظنوا أنهم العدو ، فقطع الصلاة ، فلما ير شيئا خطب الناس ،
ثم قال : إن هذه الصلاة احتضرت . ثم أمر مؤذنه ، فأقام الصلاة ، ثم أعادها .

قال : وبعث عبد الله بن سعد كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة بالفتح عقبة بن نافع ، ويقال : بل ، عبد الله بن الزبير ، وذلك أصبح . وسار — زعموا عبد الله بن الزبير — على راحلته إلى المدينة من إفريقية عشرين ليلة .

حدثنا سعيد بن غفير ، حدثني المنذر بن بسام الخزاعي ^(١) عن هشام بن عروة أن عبد الله بن سعد بعث عبد الله بن الزبير بفتح إفريقية ، فدخل على عثمان ، فجعل يخبره بلقائهم العدو وما كان في تلك الغزوة ، فأعجب عثمان ، فقال له : هل تستطيع أن تخبر الناس بمثل هذا ؟ قال : نعم .

فأخذ بيده حتى انتهى به إلى المنبر ، ثم قال له أقصص عليهم ما أخبرني . فتلكأ عبد الله بدنا ، فأخذ الزبير قبضة حصباء وهم أن يمحضه بها ؛ ثم تكلم كلاما أعجبهم ؛ فكان الزبير يقول : إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة ، فلينظر إلى أبيها وأخيها ، فلن يلبث أن يرى ربيطة منها يبابه ، لما كان يرى من شبه عبد الله بن الزبير بأبي بكر .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال : بعث عبد الله بن سعد عبد الله بن الزبير ، وكان في الجيش ، بالفتح ، فقدم على عثمان بن عفان ، فبدأ به قبل أن يأتي أباه الزبير بن العوام ، فخرج عثمان إلى المسجد ، ومعه ابن الزبير ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر الذي أبلى الله المسلمين على يدى عبد الله بن سعد ، ثم قال : قم يا عبد الله بن الزبير فحدث الناس بالذي شهدت .

(١) في نسخة - الخزاعي ، وهو تصحيف ، فهو المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام الأسدي الخزاعي ، مقبول وقدمات سنة إحدى وثلاثين . (انظر تقريب التهذيب صحيفة ٥١٢) .

قال الزبير : فوجدت في نفسي على عمان ، وفلت : يقيم غلاما من الفلماني
الذي يحق عليه ، والذي يحمل به ، ققام ، فتكلم ، فأبلغ وأصاب ، فلا
يكون عذرا عجباً .

قال زل عمان : وقام عبد الله بن الزبير إلى أبيه ، فأخذ أبوه بيده ، وقال :
إذا أردت أن تزوج امرأة فانظر إلى أبيها وأخيها قبل أن تزوجها ، كأنه يشبهه .
بأنزغة أبي بكر الصديق جده .

قال : سمعتني عن يزيد بن أبي سبيب ، وقد قيل إن عبد الله بن
سعد قد كان وجه مروان بن الحكم إلى عمان من إفريقية ، فلا أدري أي
الفتح أم بعده ، والله أعلم .

قال : سمعتني عن الأبي أن مروان بن الحكم أقبل من إفريقية ، أرسله
عبد الله بن سعد ، وجهه من العرب من ظم أو جذام ، شك عبد الرحمن ،
قال : فسرنا حتى إذا كنا ببعض الطريق قرب الليل ، فقال لي صاحبي : هل لك
إلى صديق لي عاهنا ؟

قلت : يا شئت

قال : فصل لي عن الطريق حتى آتي إلى دير ، وإذا سلسلة معلقة ، فأخذ
السلسة ، فركبها ، وكان أعلم مني ، فأشرف علينا رجل ، فلما رأنا فتح الباب ،
فدخلنا ، فلم يشكك مني ، فخرج لي فراشا وصاحبي فراشا ، ثم أقبل على صاحبي .
يكله بلسانه ، فزأطنه (١) حتى سُدَّتْ ظننا .

ثم أقبل على ، فقال : أي شيء قرأتك من خليفهم .

(١) في نسخة ب (الأبي)

(٢) في نسخة - يرأطنه ، والرأطنة التسكك بغير العربية .

قلت : ابن عمه .

قال : هل أحدٌ أقرب إليه منك ؟

قلت : لا ، إلا أن يكون ولده .

قال : صاحبُ الأرض المقدسة أنت ؟

قلت : لا .

قال : فإن استطعت أن تكون هو فافعل ؛ ثم قال : أريد أن أخبرك بشيء .
وأخاف أن تضعف عنه .

قال : قلت : ألى تقول هذا ؟ وأنا أنا .

ثم أقبل على صاحبي ، فراطنه ، ثم أقبل على ، فسألتني عن مثل ذلك .
وأحبته بمثل جوابي ، فقال : إن صاحبك مقتول ، وإنا نجد أنه يلي هذا الأمر من بعده صاحب الأرض المقدسة ، فإن استطعت أن تكون ذلك فافعل .
وأصابتني لذلك وجعة .

فقال لي : قد قلت لك إنني أخاف ضعفك عنه .

فقلت : وما لي لا يصيبني ، أو كما قال ، وقد نعت إلى سيد المسلمين وأمير المؤمنين .

قال : ثم قدمت المدينة ، فأقت شهرًا لا أذكر لعثمان من ذلك شيئًا .

ثم دخلت عليه ، وهو في منزل له على سرير ، وفي يده مروحة ، فحدثته بذلك ؛ فلما انتهيت إلى ذكر القتل بكيتُ وأمسكتُ .

فقال لي عثمان : تحدث ، لا تحدث .

فحدثته ، فأخذ بطرف المروحة يعضها (أحسبه قال عبد الرحمن) واستلقى على ظهره ، وأخذ بطرف عقه يعرفه كهُ حتى ندمتُ على إخباري إياه ، ثم قال لي : صدق ، وسأخبرك عن ذلك .

« لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك أعطى أصحابه سَهْمًا سَهْمًا ، وأعطاني سهمين ، فظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أعطاني ذلك لما كان من نفقتي في تبوك ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إنك أعطيتني سهمين ، وأعطيت أصحابي سَهْمًا سَهْمًا ، فظننت أن ذلك لما كان من نفقتي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، ولكن أحبيت أن يرى الناس مكانك مني أو منزلتك مني . »

فأذبرت ، فلحقني عبد الرحمن بن عوف ، فقال : ماذا قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ما زال يُتَجَمَّعُكَ بَصَرُهُ . فظننت أن قولي قد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمهلت حتى إذا خرج إلى الصلاة أتيتُهُ ، فقلت : يا رسول الله ، إن عبد الرحمن بن عوف أخبرني بكذا وكذا ، وأنا أتوب إلى الله ، أو كما قال .

فقال : لا ، ولكنك مقتول ، أو قاتل ، فكن المقتول ، والله أعلم . قال . وكان فتح إفريقية كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد سنة سبع وعشرين :

وفي تلك السنة ، كما حدثنا عبد الملك بن مسعدة عن مالك بن أنس ، توفيت حفصة زوج النبی صلى الله عليه وسلم .

ذكر

النوبة وفهرها

قال عبد الرحمن : سم غزا عبد الله بن سعد الأساود ، وهم النوبة ، كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير سنة إحدى وثلاثين ، وحدثنا عبد الملك بن مسعدة ،

حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال ، كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل عمان على مصر في سنة إحدى وثلاثين . فقاتلته النوبة .

قال ابن لهيعة ، وحدثني الحارث بن يزيد قال : اقتتلوا قتالا شديدا ، وأصيبت يؤمئذعين معاوية بن حذّج ، وأبي شير بن أبرهة ، وحيويل بن ناشرة ، فيومئذ سُموا رُماة الحدق ، فهادنهم عبد الله بن سعد إذ لم يُطَقهم .
وقال الشاعر .

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ يَوْمِ دُمُقْلَةَ وَالْخَلِيلُ تَعْدُو بِالْأُفُوعِ مُنْقَلَهُ
قال ابن حبيب في حديثه ، وإن عبد الله صالحهم^(١) على هدنة بينهم ، على أنهم لا يغزونها ، ولا يغزو النوبة المسلمين ، وأن النوبة يؤدون كل سنة إلى المسلمين كذا وكذا رأسا من السبي ، وأن المسلمين يؤدون إليهم من القمح كذا وكذا ، ومن العدس كذا وكذا في كل سنة

قال ابن أبي حبيب : وليس بينهم وبين أهل مصر عهد ولا ميثاق ، وإملاء هي هدنة أمان بَعْضُنا من بعض .

قال ابن لهيعة : ولا بأس أن يُشْتَرَى رقيقهم منهم ومن غيرهم ؛ وكان أبو حبيب أبو زيد بن أبي حبيب - واسمه سُويد - منهم

حدثنا سعيد بن عُفَيْر ، حدثنا ابن لهيعة قال : سمعت يزيد بن أبي حبيب

(١) عقد القائد العربي عبد الله بن سعد بن أبي الصرح لأهل مقرة Maqurra بعد دخول جيش المسلمين دنقلة عاصمتها سنة ٦٥٢ هـ المقد الذي يضمن استقلال بلادهم ، ويحقق للمسلمين الاطمئنان على حدودهم من ناحية الجنوب ، ويفتح التوبة للتجارة والحصول على عدد من الرقيق في خدمة الدولة الاسلامية ، وقد اختلط العرب بالتوبيين والبيجة ، واعتنق كثير منهم الاسلام .

(راجع عقد عبد الله بن سعد للتوبيين في كتاب المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٩٩ طبعة بولاق) .

يقول : أبى من سبى دُنْقَلَة مولى لرجل من بنى عاصر من أهل المدينة ، يقال له شريك بن طُفَيْل .

قال : وكان الذى صُوِّلَ عليه النُوبة ، كما ذكر بعض مشائخ أهل مصر ، على ثلاثمائة رأس وستين رأساً فى كل سنة ، ويقال : بل على أربعمائة رأس فى كل سنة ، منها اثنيّ المسلمين ثلاثمائة رأس وستون رأساً ؛ ولوالى البلاد أربعون رأساً .

قال : فزعم بعض المشائخ أن منها سبع عشرة ^(١) مَوْضِعاً .

ثم انصرف عبد الله بن سعد عنهم .

ويقال فيما ذكر بعض المشائخ المتقدمين ، أنه نظر فى بعض الدواوين بالقساط ، وقرأه قبل أن يَنْحَرَقَ ، فإذا هو يحفظ منه : إنا عاهدناكم وعاقدناكم أن توفونا فى كل سنة ثلاثمائة رأس وستين رأساً ، وتدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين ، وكذا ندخل بلادكم ، على أنفسكم إن قتلتم من المسلمين قتيلاً فقد برئت منكم الهدنة ، وعلى إن آوَيْتم للمسلمين عبداً فقد برأت منكم الهدنة ، وعليكم ردُّ أْبَاقِ ^(٢) المسلمين ، ومن لجأ إليكم من أهل الذمة .

قال : وزعم غيره من المشائخ ، أنه لا سنة للنوبة على المسلمين ، وأنهم أول عام يمشوا بالبَقْطِ ^(٣) أهْدُوا لعمر بن العاص أربعين رأساً ، فكره أن يقبل منهم ، فرد ذلك على عظيم من عطاء القبط ، يقال له تَسْتَقُوس ، وهو القيم لهم فيها ، فباع

(١) فى الأصل سبعة عشر .

(٢) الإباق الحرب .

(٣) قال القرزى فى المخطط الجزء الأول صحيفة ٣٩٨ : البقط ما يقبض من سبي النوبة فى كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم . . . وقال أبو الحسن السعوى ، والبقط هو ما يقبض من السبي فى كل سنة ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم . وهو ثلاثمائة وخمسة وسقون ر . . . لبیت المال بصرط الهدنة بين النوبة والمسلمين . . . وكان الحاكم الذى يحضر لقبض البقط مع أمير أسوان ينال فوق العدد المقرر لبیت المال خمسة رءوس ، ولأمير أسوان عمرون رأساً ، ولإثنا عشر شاهداً عدولاً من أهل أسوان يحضرون مع الحاكم لقبض البقط اثنا عشر رأساً من السبي . (السعوى) .

ذلك ، واشترى لهم جهازا ، فاحتجوا بذلك ، أن عمرأ بعث إليهم القمح والخيل ، وذلك أنهم زُجروا عن القمح والخيل ، فكشفوا ذلك في الزمان الأول فأصيبوا . هذه قصتهم .

ثم رجع إلى الحديث ، فتجمع له في انصرافه على شاطئ النيل البُجَّةُ^(١) ، فسأل عنهم ، فأخبرهم مكانهم ، فهان عليه أمرهم ، فنفذ وتركهم ، ولم يكن لهم عقْد ولا صلح ؛ وأول من صالحهم عبید الله بن الحُبَّاب .

ويزعم بعض المشائخ أنه قرأ كتاب ابن الحُبَّاب فإذا فيه : ثلاثمائة بكر في كل عام حتى ينزلوا الريف مجتازين تجارا غير مقيمين ، على ألا يقتلوا مسلما ولا ذميا ، فإن قتلوه فلا عهد لهم ولا يؤوؤوا عبید المسلمين ، وأن يرُدُّوا أباقيهم إذا وقموا ؛ وقد عهدت هذا في أيامهم يؤخذون به ؛ ولـ كل شاة أخذها يُجَاوَى فعلیه أربعة دنانير ، وللبقرة عشرة ، وكان وكيلهم مقيا بالريف رهينة بيد المسلمين .

ذکر

زى الصواری

قال عبد الرحمن : ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبي بن سرح كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد ذا الصَّوَارِي في ستة أربع وثلاثين .

وكان من حديث هذه الغزوة ، كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب ، أن عبد الله بن سعد لما نزل ذا الصَّوَارِي أنزل نصف الناس مع بُسْر بن أبي أَرْطاة سَرِيَّة في البر ، فلما مضوا أتى آت إلى عبد الله بن سعد ، فقال : ما كنت فاعلا حين ينزل بك هرقل في ألف مركب فافعله الساعة .

(١) البجة قبائل و بطون سودانية تعيش فيما بين النيل والبحر الأحمر بما إلى التوبة ، وكان لهم في بلادهم ملك منفرد (اليقوبى ح ١ ص ١٥٥) .

قال غير الليث ؛ إنما هو ابن هرقل لأنه مات في سنة تسع عشرة والمسلمون محاصرون الاسكندرية .

ثم رجع إلى حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب قال : وإنما قال ، مراكب المسلمين يومئذ مائتا مركب ونيّف ، فقام عبد الله بن سعد بين ظَهْرَائِي الناس فقال : قد بلغني أن هرقل قد أقبل إليكم في ألف مركب ، فأشيروا عليّ ؛ فما كلمه رجل من المسلمين ، فجلس قليلا لترجع إليهم أفئدتهم ، ثم قام الثانية ، فكلمهم ، فما كلمه أحد ، فجلس ؛ ثم قام الثالثة ، فقال : إنه لم يبق شيء ، فأشيروا عليّ .

فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال : أيها الأمير ، إن الله جل ثناؤه يقول . « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

فقال عبد الله . اركبوا باسم الله ، فركبوا ، وإنما في كل مركب نصف شحنته ، قد خرج النصف الآخر إلى البرّ مع بُسر، فلقوهم ، فاقتلوهم بالنبل والنشاب ، وتأخر هرقل لثلاث تصيبه الهزيمة ، وجعلت القوارب تختلف إليه بالأخبار ، فقال : ما فعلوا ؟

قالوا : قد اقتتلوا بالنبل والنشاب .

فقال : غلبت الروم .

ثم أتوه ، فقال : ما فعلوا ؟

قالوا : قد نفذت الحجارة ، وربطوا المراكب بعضها ببعض ، يقتتلون بالسيوف .

قال : غلبت الروم .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال :
وكانت السفن إذ ذاك تُقرن بالسلاسل عند القتال ، فقال : فُقرن مركب عبد الله
يومئذ ، وهو الأمير ، بمركب من مراكب العدو ، فكاد مركب العدو يجترأ
مركب عبد الله إليهم .

فقام علقمة بن يزيد النخعي ، وكان مع عبد الله بن سعد في المركب ،
فضرب السلسلة بسيفه ، فمزقها .

فسأل عبد الله امرأته بُسَيْسَةَ ابنة حمراء بن لَيْشَرَح^(١) ، وكانت مع
عبد الله يومئذ ، وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب ، من رأيت أشد قتالاً ؟
قالت : علقمة صاحب السلسلة .

وكان عبد الله قد خطب بُسَيْسَةَ إلى أبيها ، فقال له : إن علقمة قد خطبها وله
على فيها وأى^(٢) ، وإن يتركها أفعل .

فكلم عبد الله علقمة ، فتركها ، فتزوجها عبد الله بن سعد ، ثم هلك عنها
عبد الله ، فتزوجها بعده علقمة بن يزيد ، ثم هلك عنها علقمة ، فتزوجها بعده
كُرَيْب بن أبرهة ، وماتت تحبه في السنة التي قُتل فيها مروان الأَكْدَر بن حُمام .
قال غير بن لهيعة ، قتل مروان الأكدر بن حُمام في اليوم الذي ماتت فيه
بُسَيْسَةَ ، فجاء الخبر إلى كُرَيْب بذلك ، فقال : حتى أفرغ من دفن هذه الجنائزة ،
فلم ينصرف حتى قتل ، فلام الناس يومئذ كُرَيْب بن أبرهة ، ولالأكدر بن حُمام
وقته حديث أطول من هذا .

قال غير ابن لهيعة : مشى الروم إلى قسطنطين بن هرقل في سنة خمس
وثلاثين ، فقالوا تترك الاسكندرية في أيدي العرب وهي مدينتنا الكبرى ؟

(١) بسيسة بنت حمزة بن عبد كلال . ابن حجر الجزء الأول ص ٢٢٦ .

(٢) الوأى الوعد .

فقال : ما أصنع بكم ؟ ما تقدرون أن تمالكوا ساعة إذا لقيتم العرب .

قالوا : فأخرج على أنا نموت .

فتبايعوا على ذلك ، فخرج في ألف مركب يريد الاسكندرية ، فسار في أيام غالبية من الريح ، فبعث الله عليهم ريحا ، ففرقهم لإقسطنطين نجا بمركبه ، فألقته الريح بصقلية ، فسأله عن أمره ، فأخبرهم ، فقالوا : شئت النصرانية وأفنيت رجالها ، لو دخل العرب علينا لم نجد من يردّهم .

فقال : خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا ، فصنعوا له الحتام ، ودخلوا عليه ، فقال : ويلكم ، تذهب رجالكم وتقتلون ملككم .

قالوا : كأنه غرق معهم . ثم قتلوه ، وخلّوا من كان معه في المراكب .

ذكر

رابطه الاسكندرية

حدثنا عبد الرحمن حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن هبيرة ، يزيد أحدهما على صاحبه قال : لما استقامت البلاد ، وفتح الله على المسلمين الاسكندرية قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية رُبْعَ الفاس خاصة ، الربع يقيمون ستة أشهر ، ثم يعقبهم شاتية ستة أشهر ، رُبْعَ في السواحل ، والنصف الثاني مقيمون معه .

قال غيرها : وكان عربن الخطاب يبعث في كل سنة غازیة من أهل المدينة ترابط بالاسكندرية ، وكاتب الولاة ، لا تُفعلها وتُكفُّ رابطتها ، ولا تأمن الروم عليها .

وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد ، قد علمت كيف كان همُّ أمير المؤمنين

بالاسكندرية ، وقد نهضت الروم مرتين ، فالزِم الاسكندرية رابطتها ، ثم أجر عليهم أرزاقهم ، وأغقب بينهم في كل ستة أشهر .

حدثنا طلق بن السمح ، حدثنا ضيام بن إسماعيل المعافري ، حدثنا أبو قبييل ، أن عتبة بن أبي سفيان عقد لعقمة بن يزيد الفطيفي على الاسكندرية ، وبعث معه اثني عشر ألفا ، فكتب لعقمة إلى معاوية يشكو عتبة حين غرّر به .
ويعن معه .

فكتب إليه معاوية ، إني قد أمددتك بعشرة آلاف من أهل الشام ، وخمسة آلاف من أهل المدينة ، فكان فيها سبعة وعشرون ألفا .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة أن عقمة بن يزيد كان على الاسكندرية ومعه اثنا عشر ألفا ، فكتب إلى معاوية ، إنك خلفتني بالاسكندرية وليس معي إلا اثنا عشر ألفا ، ما يكاد بعضنا يرى بعضا من القلة . فكتب إليه معاوية ، إني قد أمددتك بعبد الله بن مطيع في أربعة آلاف من أهل المدينة ، وأمرت مَعْن بن يزيد السلمي أن يكون بالرملة^(١) في أربعة آلاف مُمسكين بأعنة خيولهم ، متى يبلغهم عنك فزع يعبروا إليك .

قال ابن لهيعة : وكان عمرو بن العاص يقول : ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة .

(١) الرملة مدينة عظيمة بفلسطين ، كانت رباطا للمسلمين ، وقد كانت دار ملك داود وسليان . وكان بنو أمية ينفقون على آبارها وقناتها . واستنقذها صلاح الدين من الإفريج في سنة ٥٨٣ هـ وخربها خوفا من استيلاء الإفريج عليها مرة ثانية .

ذَكَرَ

من طاه يخرج على غزو المغرب بعد عمرو بن العاص وفتوحه

معاوية بن حديج

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الحكم قال : ثم خرج إلى المغرب بعد عبد الله ابن سعد معاوية بن حديج التميمي سنة أربع وثلاثين ، وكان معه في جيشه عامر بن عبد الملك بن مروان ، فافتتح قصورا ، وغنم غنائم عظيمة ، واتخذ قَبْرَوانا عند القرن ، فلم يزل فيه حتى خرج إلى مصر ، وكان معه في غزائه هذه جماعة من المهاجرين والأنصار .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة ، وحدثنا يوسف بن عدي ، حدثنا عبد الله بن المبارك نحوه عن ابن لهيعة عن بكير بن عبد الله عن سليمان بن يسار قال : غزونا إفريقية مع ابن حديج ، ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير ، فنقلنا^(١) ابن حديج النصف بعد الخمس ، فلم أر أحدا أنكر ذلك إلا جبلة بن عمرو الأنصاري .

وحدثنا يوسف بن عدي حدثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران قال : وسألت سليمان بن يسار عن النفل في الغزو ، فقال : لم أر أحدا صنعه غير ابن حديج ، نقلنا بإفريقية النصف بعد الخمس ، ومعنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين ناس كثير ، فأبى جبلة بن عمرو الأنصاري أن يأخذ منه شيئا .

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال : فأنهى إلى قونية ، وهي

موضع مدينة القيروان إفريقية ، ثم مضى إلى جبل يقال له السقرن ، يصكر إلى جانبه ، وبعث عبد الملك بن مروان إلى مدينة يقال لها جلولا^(١) في ألف رجل ، لحاصرها أياما ، فلم يصنع شيئا ، فانصرف راجعا ، فلم يسر إلا يسيرا حتى رأى في ساقية الناس غبارا شديدا ، فظن أن العدو قد طلبهم ، فسكر جماعة من الناس لذلك ، وبقي من بقي على مصافهم ، وتسرع سرعان الناس ، فإذا مدينة جلولا قد وقع حائطها ، فدخلها المسلمون ، وغنموا ما فيها ؛ وانصرف عبد الملك إلى معاوية بن حديج .

فاختلف الناس في الغنيمة ، فكتب في ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان ، فكتب له ، إن العسكر ردّ للتسرية . فقسم ذلك بينهم ، فأصاب كل رجل منهم لنفسه مائتي دينار ، وضرب للفرس بسهمين ، ولصاحبه بسهم .

قال عبد الملك : فأخذت لفرسي وانفسي ستائة دينار ، واشترت بها جارية .

قال : ويقال ، بل غزاها معاوية بن حديج بنفسه ، لحاصرم ، فلم يقدر عليهم ، فانصرف آيسا منها ، وقد جرح عامة أصحابه ، وقتل منهم ، ففتحتها الله بعد انصرافه بغير خيل ولا رجال ، فرجع إليها ومن معه ، وفيها السبي لم يردم أحد ، فغنموا ، وانصرف منها راجعا إلى مصر .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : غزا معاوية بن حديج إفريقية ثلاث غزوات ، أما الأولى فسنة أربع وثلاثين قبل قتل عثمان ، وأعطى عثمان مروان الخمس في تلك الغزوة ، وهي غزوة لا يعرفها كثير من الناس ؛ والثانية سنة أربعين ؛ والثالثة سنة خمسين .

(١) جلولا : مدينة شهيرة بإفريقية الشمالية (تونس) بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلا ، وبها آثار وأبراج من أبنية الأول .

عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ

قال : ثم خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حُذَيْجٍ عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ الْفَهْرِيُّ .
سنة ست وأربعين ، ومعه بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاسَةَ ، وشريك بن سُمَيٍّ الْمُرَادِيُّ ،
فأقبل حتى نزل بمغداش ^(١) من مُسَرَّتٍ ^(٢) ، وكان توجه بُسْرٍ إليها ، كما حدثنا يحيى .
ابن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد ، سنة ست وعشرين من مُسَرَّتٍ ،
فأدركه الشتاء ، وكان مُضْمَقًا ، وبلغه أن أهل وُدَّانٍ قد نقضوا عهدهم ، ومنعوا
ما كان بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاسَةَ فرض عليهم .

وكان عمرو بن العاص قد بعث إليها بُسْرًا قبل ذلك وهو محاصر لأهل
أطرابلس ، فافتتحها ؛ خلف عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ جيشه هنالك ، واستخلف عليهم
عمر بن عليّ القرشي ، وزهير بن قيس بن البلوي ، ثم سار بنفسه وبمن خف معه ،
أربعمائة فارس وأربعمائة بعير ، وثمانمائة قرية حتى قدم وُدَّانٍ فافتتحها ، وأخذ
ملكهم ، فجدع أذنه . فقال : لِمَ فعلت هذا بي ، وقد عاهدتني ؟
فقال عُقْبَةُ : فعلت هذا بك أدبًا لك ، إذا مسست أذنك ذكرته ، فلم
تحارب العرب ؟

واستخرج منهم ما كان بُسْرُ فرضه عليهم ، ثلثمائة رأس وستين رأسًا .
ثم سألهم عُقْبَةُ : هل من ورائكم أحد ؟
فقال له : جَرَمَةٌ . وهي مدينة فزان العظمى .
فسار إليها ثمانى ليالى من وُدَّانٍ ، فلما دنا منها أرسل ، فدعاهم إلى الإسلام .
فأجابوا ، ففزل منها على ستة أميال .

وخرج ملكهم يريد عُقْبَةَ ، وأرسل عُقْبَةُ خيلا ، فحالت بين ملكهم وبين .

(١) مغداش : بلد قريب من سبرت في طرابلس الغرب بليبيا .

(٢) مدينة قديمة ، مكأها الآن مدينة تونس بشمال إفريقية وقد كانت محطة للقوافل .
وسوقا للتجارة ، وبلغت أوج عزها أيام الملوك الأغالبة في القرن التاسع الميلادي .

مَوْكِبِهِ ، فَأَمْسَوْهُ رَاجِلاً حَتَّى أَتَى عَقِبَهُ وَقَدْ لَغِبَ^(١) ، وَكَانَ نَاعِماً ، فِجْعَلُ يَبْصُقُ
الْدَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : لَمْ فَعَلْتَ هَذَا بِي وَقَدْ أَتَيْتَكَ طَائِعاً ؟
فَقَالَ عَقِبَةُ : أَدْبَاً لَكَ ، إِذَا ذَكَرْتَهُ لَمْ تَحَارِبِ الْعَرَبَ .
وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثُمِائَةَ عَبْدٍ وَسَتِينَ عَبْدًا ، وَوَجَّهَ عَقِبَةَ الرَّجُلَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ
إِلَى الْمَشْرِقِ .

تَمَّ مَضَى عَلَى جِهَتِهِ مِنْ قَوْرِهِ ذَلِكَ إِلَى قُصُورِ فَرْزَانَ ، فَافْتَتَحَهَا قُصُوراً قُصُوراً ،
حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَقْصَاهَا فَسَأَلَهُمْ : هَلْ مِنْ وَرَائِكُمْ أَحَدٌ ؟
قَالُوا : نَعَمْ ، أَهْلُ خَاوَرِ^(٢) ، وَهُوَ قُصْرٌ عَظِيمٌ عَلَى رَأْسِ الْمَفَازَةِ فِي وَعُورَةٍ عَلَى
ظَهْرِ جَبَلٍ ، وَهُوَ قُصْبَةُ كَوَّارِ^(٣) .

فَسَارَ إِلَيْهِمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، فَلَمَّا انْتَهَى تَحَصَّنُوا ، فَحَاصَرَهُمْ شَهْراً ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ
لَهُمْ شَيْئاً .

فَضَى أَمَامَهُ عَلَى قُصُورِ كَوَّارٍ ، فَافْتَتَحَهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَقْصَاهَا ، وَفِيهِ مِلْكُهَا ،
فَأَخَذَهُ ، فَقَطَعَ إِبْصِعَهُ ، فَقَالَ : لَمْ فَعَلْتَ هَذَا بِي ؟

قَالَ : أَدْبَاً لَكَ . إِذَا أَنْتَ نَظَرْتَ إِلَى إِبْصِعِكَ لَمْ تَحَارِبِ الْعَرَبَ .
وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثُمِائَةَ عَبْدٍ وَسَتِينَ عَبْدًا .

فَسَأَلَهُمْ : هَلْ مِنْ وَرَائِكُمْ أَحَدٌ ؟

فَقَالَ الدَّلِيلُ : لَيْسَ عِنْدِي بِذَلِكَ مَعْرِفَةٌ وَلَا دَلَالَةٌ .

فَانْصَرَفَ عَقِبَةُ رَاجِلاً ، فَمَرَّ بِقُصْرِ خَاوَرٍ ، فَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ ، وَلَمْ يَنْزِلْ بِهِمْ ، وَسَارَ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَأَمْنُوا وَفَتَحُوا مَدِينَتَهُمْ ، وَأَقَامَ عَقِبَةُ بِمَكَانِ اسْمِهِ الْيَوْمَ مَادَ قَرَسَ ،

(١) اللغوب والتمب والإعياء .

(٢) خاور مدينة كبيرة جنوبي فزان بليبيا .

(٣) كذا في الأصل وقد ذكرت في معجم البلدان كاوار وهي كورة جنوبي قران
مدینتها خاور .

ولم يكن به ماء ، فأصابهم عطش شديد ، أشقى منه عقبة وأحبابه على الموت ،
فصلى عقبة ركعتين ، ودعا الله .

وجعل فرس عقبة يبحث يديه في الأرض حتى كشف عن صفاة ، فأنفجر
منها الماء ، فجعل الفرس يَمُصُ ذلك الماء .

فأبصره عقبة ، فنادى في الناس ، أن احتفروا ؛ فحفروا سبعين حَسِيماً^(١) ،
فشربوا ، واستقوا ، فسمى لذلك ماء فرس .

ثم رجع عقبة إلى خاور من غير طريقه التي كان أقبل منها ، فلم يشعروا به
حتى طرقتهم ليلاً ، فوجدهم مطمئين قد تمهدوا في أسرابهم ، فاستباح ما في المدينة
من ذرياتهم وأموالهم . وقتل مقاتلتهم .

ثم انصرف راجعاً ، فسار حتى نزل بموضع زَوِيلَة^(٢) اليوم ، ثم ارتحل حتى قدم
على عسكره بعد خمسة أشهر ، وقد جت خيولهم وظهورهم ، فسار متوجهاً إلى المغرب
وجانب الطريق الأعظم ، وأخذ إلى أرض مَزَاتَة ، فافتتح كل قصر بها ، ثم مضى
إلى صِفَر^(٣) ، فافتتح قلاعها وقصورها .

ثم بعث خيلاً إلى غُدَامِس ، فافتحت غدامس ؛ فلما انصرفت إليه خيله سار
إلى قَفْصَة^(٤) فافتتحها وافتتح قَصْطِيلِيَّةَ^(٥) .

ثم انصرف إلى القيروان ، فلم يعجب بالقيروان الذي كان معاوية بن حُذَيج بنائه
قبله ، فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم ، وكان وادياً كثير الشجر

(١) الحسى هو الحفيرة قرية العمق .

(٢) زويلة : عاصمة فزان من أعمال ليبيا على ملتقى الطرق الصحراوية . وكثير من
سكانها أباضيون ، وبها قبر الشاعر دعلج .

(٣) صفر ، كذا ضبطت في الأصل ، واسمها الحالي صفرو ، وهي مدينة في شمال
المغرب في قلب جبال أطلس الوسطى ، وثلاث سكانها من اليهود .

(٤) قفصة : بلدة في تونس ، كان لها شأن كبير في عهد الرومان .

(٥) قسطيلية ، كذا كتبت في الأصل ، وقد ورد ذكرها في معجم البلدان قسطيلية ،
وهي إحدى مدن بلاد توزر الواقعة في أقصى بلاد المغرب على حدود الصحراء .

كثير القطف ، تأوى إليه الوحوش والسماع والهوام ، ثم نادى بأعلى صوته :
يا أهل الوادى ، ارتحلوا - رحمكم الله - فإننا نازلون ؛ نادى بذلك ثلاثة أيام .

فلم يبق من السباع شئ ولا الوحوش والهوام إلا خرج ، وأمر الناس
بالتنقية والخلط ، ونقل الناس من الموضع الذى كان معاوية بن حُديج نزله إلى
مكان القَيْرُوان اليوم ، وركز رُحمه ، وقال : هذا قبروانكم .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد أن عقبة بن نافع عزا
إفريقية ، فأتى وادى القيروان ، فبات عليه وهو وأصحابه حتى إذا أصبح وقف
على رأس الوادى ، فقال : يا أهل الوادى ، إظعنوا ، فإننا نازلون . قال ذلك
ثلاث مرات .

فجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها مما يُعرف من الدواب ، تخرج
ذاهبة ، وهم قيام ينظرون إليها من حيث أصبحوا حتى أوجعهم الشمس ، وحتى
لم يروا منها شيئاً ، فنزلوا الوادى عند ذلك .

قال الليث : لحدثني زياد بن العجلان أن أهل إفريقية أقاموا بعد ذلك
أربعين سنة ، ولو التمس حيّة أو عقرباً بألف دينار ما وجدت .

أبو المهاجر

قال : ثم عُزل عقبة بن نافع فى سنة إحدى وخمسين ، عزله مسلمة بن مخلد
الأنصارى ، وهو يومئذ والى البلد من قبيل معاوية بن سفيان ، ومسلمة بن مخلد
أول من جُمعت له مصر والمغرب

وكانت ولاية مسلمة بن مخلد كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد
سنة سبع وأربعين ، وولى أبا المهاجر ديناراً مولى الأنصار ، أوصاه حين ولّاه
أن يعزل عقبة أحسن العزل ، فخالفه أبو المهاجر ، فأساء عزله وسجنه ، وأقره

حديداً حتى أتاه الكتاب من الخليفة بتخليه سبيله وإشخاصه إليه ، فخرج عقبة حتى أتى قصر الماء ، فصلى ، ثم دعا ، وقال : اللهم لا تُمَتِّنِي حتى تَمَكِّنِي من أبي المهاجر ، دينار ابن أم دينار .

فبلغ ذلك أبا المهاجر ، فلم يزل خائفاً مفذ بلغته دعوته .

فلما قدم عقبة مصر ركب إليه مسلمة بن مخلد ، فأقسم له بالله ، لقد خالفه ما صنع أبو المهاجر ، ولقد أوصيته بك خاصة .

وقد كان قيل مسلمة : لو أقررت عقبة فإن له جزالةً وفضلاً ؟

فقال مسلمة : إن أبا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيل ، فنحن نحب أن نكافئه .

فلما قدم أبو المهاجر إفريقية كره أن ينزل في اللوضع الذي اختطه عقبة بن نافع ، ومضى حتى خلفه بميلين ، فابتنى ونزل .

وكان الناس قبل أبي المهاجر ، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة ، وأحمد بن عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، يغزون إفريقية ، ثم يبقون منها إلى القسطنطين .

وأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الأنصار ، أقام بها الشتاء والصيف ، واتخذها منزلاً .

وكان مسلمة بن مخلد الذي عقد له على الجيش الذي خرجوا معه إليها ، فلم يزالوا بها حتى قتل ابن الزبير ، فخرجوا منها .

ثم قدم عقبة على معاوية بن أبي سفيان فقال له : فتحت البلاد وبنيت المنازل ومسجد الجماعة ، ودانت لي ، ثم أرسلت عبد الأنصارى ، فأساء عزلى .

فاعتذر إليه معاوية ، وقال : عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الإمام للظلم ، وتقديمه إياه ، وقيامه بدمه ، وبذل مهنجته ، وقد ردته على عملك .

ويقال : إن معاوية ليس هو الذى رد عقبة بن نافع ، ولكنه قدم على يزيد .
ابن معاوية بعد موت أبيه ، فردّه واليا على إفريقية ، وذلك أصح لأن معاوية .
توفى سنة ستين .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : توفى معاوية بن .
أبي سفيان سنة ستين .

مقتل عقبة بن نافع

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : فخرج عقبة بن نافع سريعا بحنقه على .
أبي المهاجر حتى توفى في إفريقية ، فأوثق أبا المهاجر في وثاق شديد ، وأساء عزله ، .
وغزا به معه إلى السّوس ، وهو في حديد .

وأهل السّوس بطن من البربر ، يقال لهم أنديّة ، فجول في بلادهم ، لا يعرض .
له أحد ولا يقاّله ، فانصرف إلى إفريقية . فلما دنا من ثغرها أمر أصحابه ، فافترقوا .
عنه ، وأذن لهم حتى بقى في قلّة ، فأخذ على مكان يقال له شهوذة ، فعرض له .
كسيلة^(١) بن لزم في جمع كثير من الروم والبربر ، وقد كان بلغه افتراق الناس .
عن عقبة ، فاقبلوا قتالا شديداً ، فقتل عقبة ومن كان معه ، وقتل أبو المهاجر .
وهو موثق في الحديد ، ثم سار كسيلة ومن معه حتى نزلوا الموضع الذى كان عقبة .
اختطه ، فأقام به ، وقهر من قُرب منه ، باب قابس وما يليه ، وجعل يبعث .
أصحابه في كل وجه .

ويقال : بل خرج عقبة بن نافع إلى السّوس ، واستخلف على القيروان عزم .
ابن على القرشي وزهير بن قيس البلوى ؛ وكانت إفريقية تُدعى مُراق ، فقدم

(١) كسيلة بن لزم أمير قبيلة الأوربة في إفريقية ، وقد أسلم ، وحكم شمال إفريقية ، .
ثم تمرد على الخليفة فقتل سنة ٦٨٨ م .

عقبة إلى السوس ، وحالفه رجل من العجم في ثلاثين ألفاً ، إلى عمر بن علي وزهير ابن قيس ، وهما في ستة آلاف ، فهزمه الله .

وخرج ابن السكاينة البربري على إثر عقبة ، كلما رحل عقبة من منهل^(١) دفعه ابن السكاينة ، فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة إلى السوس ، ولا يشعر بما صنع البربري ، فلما انتهى عقبة إلى البحر أقجم فرسه فيه حتى بلغ نحره ، ثم قال : اللهم إني أشهدك ألا تجازي ، ولو وجدت مجازاً لجُزْتُ ؛ وانصرف راجعاً والمياه قد عوّرت ، وتعاونت عليه البربر ، فلم يزل يقاتل^(٢) ، وأبو المهاجر معه في الحديد ؛ فلما استحرّ الأمر أمر عقبة بفتح الحديد عنه ، فأبى أبو المهاجر ، وقال : ألقى الله في حديدي ؛ فقتل عقبة وأبو المهاجر ومن معهما .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد أن عقبة بن نافع قدم من عند يزيد بن معاوية في جيش على غزو المغرب ، فرأى على عبد الله بن عمرو ، وهو بمصر ، فقال له عبد الله : يا عقبة ، لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالمهم . فضى بجيشه حتى قاتل البربر ، وهم كفار ، فقتلوا جميعاً .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن ينجير بن ذاخر المعافري قال : كنت عند عبد الله بن عمرو بن العاص حين دخل عليه عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري ، فقال : ما أقدمك يا عقبة ؟ فأبى أعلمك تحب الإمارة .

قال : فإن أمير المؤمنين يريد العقد لي على جيش إلى إفريقية .

فقال له عبد الله بن عمرو : إياك أن تكون لعنة أرامل أهل مصر ، فأبى لم أزل أسمع أنه سيخرج رجل من قريش في هذا الوجه ، فيهلك فيه .

(١) منهل : مكان شرب الماء .

(٢) في نسخة د : زيادة ، وكان عقبة قد خرج في فئة قليلة من عسكره إلى السوس ، وخلف عسكره بإفريقية ، وكان رجلاً صالحاً يطلب التوكل ، لا يقاتل أحداً إلا بفئة قليلة ، ويطلب من الله النصر ، ويلج في السؤال ، وهو الذي فتح المغرب وما والاها ، رحمه الله تعالى ، وكان مقتله — قال الليث — في سنة ثلاث وستين .

فقدم إفريقية ، فتتبع آثار أبي المهاجر وضيق عليه وحدده ، ثم خرج إلى قتال البربر ، وهم خمسة آلاف رجل من أهل مصر ، وخرج بأبي المهاجر معه في الحديد ، فقتل ، وقتل أصحابه ، وقتل أبو المهاجر معهم .

وكان مقتل عقبه بن نافع وأصحابه كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد في سنة ثلاث وستين .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال : ثم زحف ابن السكاهنة إلى القيروان يريد عمر بن علي وزهير بن قيس ، فقاتلاه قتالا شديدا ، فهزم ابن السكاهنة وقتل أصحابه ، وخرج عمر بن علي وزهير بن قيس إلى مصر بالجيش لاجتماع ملا البربر ، وأقام ضعفاء أصحابهما ومن كان خرج معهما من موالى إفريقية بأطرابلس .

ويقال إن عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر كتب إلى زهير بن قيس ، وزهير يومئذ ببرقة ، يأمره بغزو إفريقية ، فخرج في جمع كثير ، فلما دنا من قونية وبها عسكر كسيلة بن لمزم عبأ زهير لقتاله ، وخرج إليه ، فاقتلا ، فقتل كسيلة ومن معه ، ثم انصرف زهير قافلا إلى برقة . ويقال : بل حسان بن النعمان الذي كان وجه زهير بن قيس ، والله أعلم .

كان مقتل كسيلة ، كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد ، في سنة أربع وستين .

حسان بن النعمان

ثم قدم حسان بن النعمان واليا على المغرب ، أمره عليها عبد الملك بن مروان في سنة ثلاث وسبعين ، فمضى في جيش كبير حتى نزل أطرابلس ، واجتمع إليه بها من كان خرج من إفريقية وأطرابلس ، فوجه على مقدمته محمد بن أبي بكر ،

وهلال بن ثروان اللواتى وزهير بن قيس ، ففتح البلاد ، وأصاب غنائم كثيرة ،
 وخرج إلى مدينة قرطاجنة ، وفيها الروم ، فلم يصب فيها إلا قليلا من ضعفائهم .
 فانصرف ، وغزا الكاهنة ، وهى إذ ذاك ملكة البربر ، وقد غلبت على جُلِّ
 إفريقية ، فلقبها على نهر يسمى اليوم نهر البلاد ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فهزمته ،
 وقتلت من أصحابه ، وأسرت منهم ثمانين رجلا ، وأفلت حسان ، ونفذ من مكانه
 إلى أنطابلس ، فنزل قصورا من حيز برقة ، فسميت قصور حسان ، واستخلف
 على إفريقية أبا صالح ، وكانت أنطابلس ولوية ومراقية إلى حدٍّ أجداية^(١) .
 - من عمل حسان -

فأحسنت الكاهنة إسارَ من أسرته من أصحابه ، وأرسلتهم إلى رجلا منهم من
 بنى عبس ، يقال له خالد بن يزيد ، فتبنته وأقام معها ، فبعث حسان إلى خالد
 رجلا ، فاتاه ، فقال له : إن حسان يقول لك ، ما يمنعك من الكتاب إلينا
 بخبر الكاهنة ؟

فكتب خالد بن يزيد إلى حسان كتابا ، وجعله فى خبزة ملة ، ثم دفعها إلى
 الرسول ليخفي فيها الكتاب ، وليظن من رأى الخبزة أنها زاد الرجل . فخرجت
 الكاهنة وهى تقول : يا بني ، هلاككم فيما تأكله الناس ؛ فكررت ذلك .
 ومضى الرسول حتى قدم على حسان بالكتاب ، فيه علم ما يحتاج إليه ؛ ثم
 كتب إليه أيضا كتابا آخر ، وجعله فى قرَبُوس^(٢) حفره ، ووضع الكتاب فيه ،
 وأطبق عليه حتى استوى وخفي مكانه .

فخرجت الكاهنة أيضا ، وهى تقول : يا بني ، هلاككم فى شيء من نبات
 الأرض ميت ؛ فكررت ذلك .

(١) أجداية : مدينة كبيرة فى الصحراء بين برقة وطرابلس الغرب ، وهى أكثر بلاد
 المغرب نخلا وأجودها تقرأ وينسب إليها أبو إسحق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله
 الطرابلسى الأجدابى ، وكان أديبا فاضلا ، وله تصانيف حسنة منها كفاية المتحفظ وهو مختصر
 فى اللغة مشهور ، وكتاب الأنواء .

(٢) القربوس . جنو السرج .

ومضى حتى قدم على حسان ، فندب أصحابه ، ثم غزاها .
فلما توجه إليها خرجت ناشرة شعرها ، فقالت : يا بَنِي ، انظروا ماذا ترون
في السماء ؟

قالوا : نرى شيئاً من سحاب أحمر .

قالت : لا وإلهي ، ولـكنها رَهْجٌ^(١) خيل العرب .
ثم قالت لخالد بن يزيد : إني إنما كنت تَبْنِيْتُكَ لمثل هذا اليوم ، أنا مقنولة ،
فأوصيك بأخويك هذين خيراً .

فقال خالد : إني أخاف ، إن كان ما تقولين حقاً إلا يُسْتَبْقِيَا ،
قالت : بلى ، ويكون أحدهما عند العرب أعظم شأناً منه اليوم ، فانطلق ،
فخذ لهما أماناً .

فانطلق خالد ، فلقى حسان ، فأخبره خبرها ، وأخذ لا يَبْذِيها أماناً .
وكان مع حسان جماعة من البربر من البُتْرِ ، فولى عليهم حسان الأكبر من
ابن السكاهنة وقرّبه ، ومضى حسان ومن معه ، فلقى السكاهنة في أصل جبل ،
فقتلت وعامة من معها ، فسميت بئر السكاهنة^(٢) ، وكان مقتل السكاهنة^(٣) .
قال ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال : ثم انصرف حسان ، فنزل
موضع قيروان إفريقية اليوم ، وبني مسجد جماعتها ، ودون الدواوين ، ووضع الخراج
على عجم إفريقية ، وعلى من أقام معهم على البصراية من البربر ، وعامة من
البرانس إلا قليلاً من البُتْرِ ، وأقام حسان بموضعه حتى استقامت له البلاد ؛ ثم
توجه إلى عبد الملك بغنائمه في جهادي الآخرة سنة ست وسبعين .

(١) الرهج : الثبار .

(٢) في نسخة س زيادة : ثم انصرف حسان ، فنزل موضع قيروان إفريقية اليوم ،
وكان مقتل السكاهنة . قال ، ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال ، وبني مسجد جماعتها . الخ

(٣) يبايض في الأصل لم يذكر تاريخ موت السكاهنة .

قال : وحدثنا ابن بكير حدثنا الليث بن سعد قال : قفل حسان بن النعمان من إفريقية سنة ثمان وسبعين ، فلما مرَّ حسان ببرقة أمر على خراجها لإبراهيم بن النصراني ، ثم مضى ، فر بعبد العزيز بن مروان وهو عصر ، ثم نفذ إلى عبد الملك ، فسُرعَ عبد الملك عما أورد عليه حسان من فتوحه وغنائمه . ويقال : بل أخذ منه عبد العزيز كل ما كان معه من السَّبي ، وكان قد قدم معه من وصائف البربر بشيء لم ير مثله جمالا ، فكان نُصَيْبُ الشاعر يقول : حضرت السبي الذي كان عبد العزيز أخذه من حسان مائتي جارية ، منها ما يقام بألف دينار .

مقتل زهير بن قيس

قال وأغارَت الروم بعد حسان على أنطا بلس ، فهرب ابن النصراني وختي أهل أنطا بلس وأهل ذمتها في أيدي الروم ، فرأسوها أربعين ليلة حتى أصرعوا فيها الفساد .

وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فأرسل إلى زهير بن قيس ، وكان خرج مع حسان ، فلما بلغ مصر أقام بها ، فأمره عبد العزيز بالهوض إلى الروم ، ولم يجتمع زهير من أصحابه إلا سبعون رجلا ، وكان عارض من الصدف يقال له ، جندل بن صخر ، وكان فظا غليظا

فقال زهير لعبد العزيز بن مروان : أما إذ قد أمرتني بالخروج فلا تبعني معي جندلا عارضا ، فيحبس على النام ، لشدة وفظاظته ، وكان عبد العزيز عاتبا على زهير بن قيس لأنه كان قاتله حين وجهه أبوه مروان بن الحكم من ناحية أيلة من قبل أن يدخل مصر .

فقال له : ما علمتك يا زهير إلا جلفا جافيا .

فقال له : ما كنت أرى يا ابن كئيل أن رجلا جمع ما أنزل الله على محمد

صلى الله عليه وسلم من قبل أن يجتمع أبواك جلفٌ جافٌ ، ماهو بالجلف ولا الجلف ، أنا منطلق فلا ردني الله إليك .

فخرج حتى إذا كان بذرنة^(١) من طبرقة^(٢) من أرض أنطابلس لقي الروم ، وهو في سبعين رجلا ، فتوقف لتلحق به الناس .

فقال له فتى شاب كان معه : جِئْتَ يا زهير .

فقال . ما جِئْتُ يا ابن أخي ، ولكن قتلني وقتلت نفسك .

فلقيهم ، فاستشهد زهير وأصحابه جميعا ، فقبورهم هنالك معروفة إلى اليوم .
وكان مقتل زهير وأصحابه كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث في سنة ست وسبعين .

قال : وكان بأمنس من برية أنطابلس رجل من مذمج ، يقال له عطية بن يربوع ، خرج يابن له هاربا من الوباء ، وكان في تلك البرية جماعة من المسلمين ، فاستغاثهم وركب قمين حوله من الناس ، فاجتمع إليه سبعة رجل ، فزحف بهم إلى الروم ، فقاتلهم فبرزهم ، واعتصموا بسفهم ، وهرب من بقي منهم .

وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان ، فبعث إليها غلاما ، يقال له تليد ، ووجه معه ناسا من أشرف أهل مصر فضبطها .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : أمر على أنطابلس حين قتل زهير طارق ، فنقل على الناس إمامة تليد بهم ، لأنه عبد ، فبلغ ذلك عبد العزيز ابن مروان . فأرسل إلى تليد بعثته ، وأقام بأنطابلس .

(١) درنة : إحدى بلاد ليبيا ، وتقع على البحر الأبيض المتوسط شرق بنغازي .
(٢) طبرقة : بلدة في ساحل تونس على بعد ١٥ كيلومترا من حدود الجزائر ، وقد ازدهرت على عهد روما وبيزنطية .

موسى بن نصير

وقدم حسان بن النعمان من قبل عبد الملك متوجّهاً إلى المغرب ، فلما قدم مصر قال لعبد العزيز : اكتب إلى جدك بالإعراض عن انطابلس .

فقال له عبد العزيز : ما كنت لأفعل بعد إذ ضيّعتها فاستولت عليها الروم .
فقال حسان : إذن أرجع إلى أمير المؤمنين .

فقال عبد العزيز : إرجع .

فانصرف حسان راجعاً إلى عبد الملك ، وخلف ثقله بمصر .

فقدم على عبد الملك ، وهو مريض .

ووجه عبد العزيز موسى بن نصير إلى المغرب .

فأخبر حسان عبد الملك بذلك ؛ فخرّ عبد الملك ساجداً ، وقال : الحمد لله الذي أمكنني من موسى ، لشدة أسفه عليه .

وكان عابلاً لعبد الملك على العراق مع بشر بن مروان ، فعتب عليه عبد الملك وأراد قتله ، فافتداه منه عبد العزيز بمال لما رأى من عقل موسى بن نصير ولبته وكان عنده بمصر .

ثم لم يلبث حسان بن النعمان إلا يسيراً ، حتى توفى ؛ وقدم موسى بن نصير المغرب في سنة ثمان وأربعين .

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث قال : أمر موسى بن نصير على إفريقية سنة تسع وسبعين ؛ فعزل أبا صالح وافتتح عامة المغرب ، وواتر فتوحه ؛ وكتب بها إلى عبد العزيز بن مروان ؛ وبعث بغنائمه ؛ وأنهاها عبد العزيز إلى عبد الملك فسكن ذلك من عبد الملك بعض ما كان يجيد على موسى .

حدثنا عبد الملك بن مسleme، حدثنا الليث بن سعد أن موسى بن نصير حين غزا المغرب بعث ابنه مروان على جيش ، فأصاب من السبي مائة ألف ، وبعث ابن أخيه في جيش آخر . فأصاب مائة ألف .

ف قيل لليث بن سعد . من هم ؟ .

فقال : البربر .

فلما أتى كتابه بذلك قال الناس : ابن نصير والله أحق ، من أين له عشرون ألفا يبعث بها إلى أمير المؤمنين في الخمس ؟

فبلغ ذلك موسى بن نصير ، فقال : لبيعنوا من يقبض لهم عشرين ألفا .

ثم توفي عبد الملك بن مروان ، وكانت وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة ست وثمانين . واستخلفت الوليد بن عبد الملك ، فتواترت فتوح المغرب على الوليد من قبل موسى بن نصير فعظمت منزلة موسى عنده ، واشتد عجبه به ^(١) .

ذكر

فتح الأندلس

قال : ووجه موسى بن نصير ابنه مروان بن موسى إلى طنجة مرابطاً على ساحلها ، فجهد هو وأصحابه ، فانصرف ، وخلف على جيشه طارق بن عمرو ، وكانوا ألفاً وسبعائة .

(١) في نسخة و زيادة : ثم فتح الله الأندلس على المسلمين على يد بسر بن أرطاة وموسى بن نصير ، وغنموا غنائم كثيرة لم يبلغها حصر حتى كتب موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك حين فتح الأندلس أنه ليس بالفتح ، إنما هو الحصر ، ووجدوا فيها مائة سليمان بن داود وتاجه ، وفتح فيها كنوز كثيرة ، وغلت الناس غلوا كثيرة ، فلما رجفوا بالغنائم في البحر سمعوا قائلين لا يرون شخصه : اللهم فرتق بهم ، فضجوا ، وتقلدوا بالمصاحف ، فهاجت الريح وضربت السفن بعضها ببعضاً ، ففرقوا أجمين إلا رجلين ، لم يكونا من الغلول في شيء ، فسلما . (انظر صحيفة ١١٦) .

ويقال : بل كان مع طارق اثنا عشر ألفا من البربر إلاسته عشر رجلا من العرب ، وليس ذلك بالصحيح .

ويقال : إن موسى بن نصير خرج من إفريقية غازيا إلى طنجة ، وهو أول من نزل طنجة من الولاة ، وبها من البربر بطون البُتر والبرانس ممن لم يكن دخل في الطاعة .

فلما دنا من طنجة بث السرايا ، فأنهت خيله إلى السوس الأدنى ، فوطئهم وسبام ، وأدوا إليه الطاعة ، وولى عليهم واليا أحسن فيهم السير .

ووجه بُسر بن أبي أطارة إلى قلعة من مدينة القيروان على ثلاثة أيام ، فافتتحها ، وسبى الذرية وغنم الأموال . قال ، فسميت قلعة بُسر ، فهي لا تعرف إلا به إلى اليوم .

ثم إن موسى عزل الذي كان استعمله على طنجة ، وولى طارق بن زياد ، ثم انصرف إلى القيروان ، وكان طارق قد خرج معه بحاربة له ، يقال لها أم حكيم ، فأقام طارق هنالك مُرابطاً زمانا ، وذلك في سنة ثنتين وتسعين .

وكان الحجاز الذي بينه وبين أهل الأندلس عليه رجل من العجم ، يقال له : يُلَيَّان صاحب سَبْتَه^(١) ، وكان على مدينة على الحجاز إلى الأندلس ، يقال لها : الخضراء — والخضراء مما على طنجة — وكان يُلَيَّان يؤدي الطاعة إلى لُذْرِيْق صاحب الأندلس ، وكان لُذْرِيْق يسكن طَلَيْطَلَة^(٢) .

(١) سبتة : مدينة في المغرب الأسباني على مضيق جبل طارق ، وقد تميز عندها طارق ابن زياد بالوسائل البحرية لقطع البرزخ في سنة ٧١١ م ، وينسب إليها جماعة من أعيان أهل العلم ، منهم ابن مروانة البجليه أستاذ ابن العربي القرطبي .
(٢) طليطلة : مدينة في ألبانيا قرب مدريد فتحها طارق بن زياد سنة ٧١٤ م ، واستردها إلى الأسبان ملك قشتالة سنة ١٠٨٥ م ، وبها آثار عربية فخمة .

فراسل طارق يُلَيَّانَ ولا طفه حتى تهاديا .

وكان يليان قد بعث بابنته إلى لُذْرِيْق صاحب الأندلس، ليؤدبها ويعلمها،
فأخْبَلَهَا ، فبلغ ذلك يليان ، فقال : لا أرى له عقوبة ولا مكافأة إلا أن أدخل
عليه العرب .

فبعث إلى طارق : إني مدخلك الأندلس ، وطارق يومئذ يتلمسين^(١) ،
وموسى بن نصير بالقيروان .

فقال طارق : فإني لا أطمئن إليك حتى تبعث إلى برهينة .

فبعث إليه بابنتيه ، ولم يكن له ولد غيرها ، فأقرها طارق بتلمسين ،
واستوثق منهما .

ثم خرج طارق إلى يليان ، وهو بسبّقة على الحجاز ، ففرح به حين قدم عليه ،
وقال له : أنا مدخلك الأندلس .

وكان فيما بين الحجازين جبل يقال له اليوم جبل طارق فيا بين سبتة والأندلس .
فلما أمسى جاءه يليان بالراكب ، فحمله فيها إلى ذلك الحجاز ، فأكن فيه
تهاره ؛ فلما أمسى ردّ الراكب إلى من بقى من أصحابه ، فحملوا إليه حتى لم يبق
منهم أحد ، ولا يشعر بهم أهل الأندلس ، ولا يظنون إلا أن المراكب تختلف
بمثل ما كانت تختلف به من منافعهم .

وكان طارق في آخر فوج ركب ، فجاز إلى أصحابه ، وتخلّف يليان ومن
كان معه من التجار بالخضراء ، ليكون أطيب لأنفس أصحابه وأهل بلده .
وبلغ خبر طارق ومن معه أهل الأندلس ومكانهم الذي هم به ، ونوجه

(١) تلمسين : مدينة في الجزائر ، وصوابها تلمسان ، وهي مدينة قديمة اختطها ملوك
المغرب الملتصون ، وإليها ينسب أبو الحسين خطاب بن أحمد التلمساني الشاعر .

طارق ، فسلك بأصحابه على قنطرة من الجبل إلى قرية يقال قرطاجنة^(١) ، وزحف يريد قرطبة ، فمرت بحزيرة في البحر ، فخلّف بها جارية له ، يقال لها أم حكيم ، ومعها نقر من جنده ، ففلك الجزيرة من يومئذ تسمى جزيرة أم حكيم .

وقد كان المسلمون حين نزلوا الجزيرة وجدوا بها كرامين ، ولم يكن بها غيرهم ، فأخذوهم ، ثم عمدوا إلى رجل من الكرامين فذبّحوه ، ثم عضّوه وطبخوه ، ومن بقي من أصحابه ينظرون ، وقد كانوا طبخوا لحماً في قدورٍ آخر . فلما أدركت طرحوها ما كانوا طبخوه من لحم ذلك الرجل ولا يؤلم بطرحهم له ، وأكلوا اللحم الذي كانوا طبخوه .

ومن بقي من الكرامين ينظرون إليهم ، فلم يشكوا أنهم أكلوا لحم صاحبهم ، ثم أرسلوا من بقي منهم ، فأخبروا أهل الأندلس أنهم يأكلون لحم الناس ، وأخبروهم بما صنّع بالكرام .

قال : وكان بالأندلس كما حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم وهشام بن اسحق بيتٌ عليه أقفال ، لا يلي ملك منهم إلا زاد عليه قفلاً من عنده ، حتى كان الملك الذي دخل عليه المسلمون ، فإنهم أرادوه أن يجعل عليه قفلاً كما كانت تصنع الملوك قبله ، فأبى ، وقال : ما كنت لأضع عليه شيئاً حتى أعرف ما فيه .

فأمر بفتحها ، فإذا فيه صور العرب ، وفيه كتاب ، إذا فتح هذا الباب دخل هؤلاء القوم هذا البلد .

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : فلما جاز تلقته جنود قرطبة واجترأوا عليه للذي رأوا من قلة أصحابه ، فاقتتلوا ، فاشتد قتالهم ، ثم انهزموا ، فلم يزل يقتلهم حتى بلغوا مدينة قرطبة .

(١) قرطاجنة : مدينة بالأندلس ، وكانت تعرف بقرطاجنة الخلفاء ، وقد خربت من ماء البحر ، وكانت قد شيدت على مثال قرطاجنة إفريقية .

وبلغ ذلك لذريق ، فرحف إليهم من طليطلة ، فالتقوا بموضع يقال له
شدونة^(١) على وادي ، يقال له اليوم وادي أم حكيم ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل
الله عز وجل لذريق ومن معه .

وكان معتب الرومي غلام الوليد بن عبد الملك على خيل طارق ، فرحف
معتب الرومي يريد قرطبة ، ومضى طارق إلى طليطلة ، فدخلها ، وسأل عن المائدة ،
ولم يكن له هم غيرها ، وهي مائدة سليمان بن داود التي يزعم أهل الكتاب .

قال : وحدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث بن سعد قال : ففتح لموسى بن
نصير الأندلس ، فأخذ منها مائدة سليمان بن داود عليه السلام والتاج .

ف قيل لطارق : إن المائدة بقعة يقال لها قراس ، مسيرة يومين من طليطلة ، وعلى
القلعة ابن أخت للذريق . فبعث إليه طارق بأمانه وأمان أهل بيته ، فنزل
إليه ، فأمنه ووفى له .

فقال له طارق : ادفع إلى المائدة .

فدفعها إليه وفيها من الذهب والجوهر ما لم يُر مثله .

فقلع طارق رجلا من أرجلها بما فيها من الذهب والجوهر ، وجعل لها
رجلا سواها ، فقومت المائدة بمائتي ألف دينار ، لما فيها من الجوهر ، وأخذ
طارق ما كان عنده من الجوهر والسلاح والذهب والفضة والآنية ، وأصاب سوى
ذلك من الأموال ما لم يُر مثله ، فحوى ذلك كله .

ثم انصرف إلى قرطبة وأقام بها .

وكتب إلى موسى بن نصير يعلمه بفتح الأندلس ، وما أصاب من الغنائم ،

(١) شدونة : مدينة في الجنوب الغربي لإسبانيا في إقليم وادي ياش ، وكانت قاعدة
ولاية إقليم إشبيلية أيام المسلمين ، وكانت حامية من عرب فلسطين .

فكتب موسى إلى الوليد بن عبد الملك يُعلمه بذلك ونَحَلَه نفسه ، وكتب موسى إلى طارق ألا يجاوز قرطبة حتى يقدم عليه ، وشمته شتما قبيحا .

ثم خرج موسى بن نصير إلى الأندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين بوجه العرب والموالى وعُرفاء البربر حتى دخل الأندلس ، وكان مَغِيظاً على طارق ، وخرج معه حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، واستخلف على القيروان ابنه عبد الله ابن موسى ، وكان أَسَنَ ولده .

فأجاز من الخضراء ، ثم مضى إلى قرطبة^(١) ، فلتقاء طارق ، فترضاه ، وقال له : إنما أنا مولاك ، وهذا الفتح لك .

فجمع موسى من الأموال ما لا يُقدر على صفته ، ودفع طارق ، كل ما كان غنم إليه .

قال : ويقال بل توجه لُذْرِيْق إلى طارق ، ولُذْرِيْق يومئذ على سرير مُلكه ، والسرير بين بَغْلَيْن يَحْمِلَانِهِ ، وعليه تاجُهُ ومُقَازُهُ ، وجميع ما كانت الملوك قبله تلبسه من الحلية .

فخرج إليه طارق وأصحابه رَجَالَةً ، كلهم ليس فيهم راكب ، فاقتتلوا من حين بزغت الشمس إلى أن غربت ، وظنوا أنه الفناء ، فقتل الله لُذْرِيْق ومن معه ، وفتح للمسلمين ، ولم يكن بالمغرب مقتلة قط أكثر منها ، فلم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة أيام ، ثم ارتحل الناس إلى قرطبة .

قال : ويقال إن موسى الذي وجّه طارقا بعد مدخله الأندلس إلى مُطَلَيْطَلَة ، وهي النصف فيما بين قرطبة وأَرْبُونة ، وأربونة أقصى ثغر الأندلس .

(١) قرطبة : مدينة في أسبانيا أسسها الفينيقيون ، واستعمرها الرومان ، ثم صارت عاصمة الخلفاء الأمويين في الأندلس ، فازدهر في أيامهم ، وقد شيدوا فيها المباني العظيمة .

وكان كتاب عمر بن عبد العزيز ينتهى إلى أربونة ، ثم غلب عليها أهل الشيرك ، فهى فى أيديهم اليوم ، وأن طارقاً إنما أصاب المائدة فيها .
وكان لُذريق يملك ألفى ميل من الساحل إلى ماوراء ذلك ، وأصاب الناس غنائم كثيرة من الذهب والفضة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال : إن كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب تنظم السلسلة من الذهب بالؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وكان البربر ربما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى يأتوا بالفأس ، فيضرب وسطها ، فيأخذ أحدها نصفها والآخر نصفها لأنفسهم ، وتسير معهم جماعة والناس مشتغلون بغير ذلك .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال . لما فتحت الأندلس جاء إنسان إلى موسى بن نصير فقال : ابعثوا معى أدلكم على كنز . فبعث معه ؛ فقال لهم الرجل : انزعوا هاهنا . فنزعوا .

قال . فسأل عليهم من الزبرجد والياقوت شيء لم يروا مثله قط ، فلما رأوه هتبيوه ، وقالوا : لا يصدقنا موسى بن نصير . فأرسلوا إليه حتى جاء ونظر إليه .

حدثنا عبد الملك ، حدثنا الليث بن سعد أن موسى بن نصير حين فتح الأندلس كتب إلى عبد الملك ، إنها ليست بالفتوح ولكنه الحشر .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد قال : لما افتتحت الأندلس أصاب الناس فيها غنائم ، فغتلوا فيها غلولا^(١) كثيراً ، حملوه فى المراكب وركبوا فيها ؛ فلما وسطوا البحر سمعوا مناديا يقول : اللهم غرق بهم . فدعوا الله وتقلدوا المصاحف .

(١) الغلول : الحياطة فى الغنم .

قال : فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصفة ، وضربت المراكب بعضها بعضاً حتى تسكّرت وغُرِقَ بهم .

وأهل مصر ينكرون ذلك ويقولون : إن أهل الأندلس ليس هم الذين غُرِقُوا ، وإنما هم أهل سرّدانية .

وذلك أن أهل سرّدانية كما حدثنا سعيد بن عُفَيْر لما توجّه إليهم المسلمون عمدوا إلى ميناء لهم في البحر ، فسدّوه ، وأخرجوا منه الماء ، ثم قذفوا فيه آنيتهم من الذهب والفضة ، ثم ردّوا عليه الماء بحاله ، وعمدوا إلى كنيسة لهم ، فجعلوا لها سَقْفاً من دون سقفاها ، وجعلوا ما كان لهم من مال بين السَقَفَيْن .

فبزل رجل من المسلمين يقتل في ذلك الموضع الذي سكَرَوه ، ثم أعادوا عليه الماء ، فوقعت رجله على شيء فأخرجته ، فإذا صَحْفَةٌ من فضة ، ثم غاص أيضاً فأخرج شيئاً آخر .

فلما علم المسلمون بذلك حبسوا عنه الماء ، وأخذوا جميع تلك الآنية ، ودخل رجل من المسلمين ومعه قوس بُنْدُق إلى تلك الكنيسة التي رفعوا بين سَقَفَيْهَا ما لهم ، فنظر إلى حَمَام ، فرماه بُنْدُقَةً ، فأخطأه ، وأصاب شجرة خشب ، فكسرها ، وانهال عليهم المال ، فقتل المسلمون يومئذ غلّوا كثيراً ، فإن كان الرجل ليأخذ الهرّ فيذبّحها ، ويرى بما في جوفها ، ثم يحشوه بما غلّ ، ثم يخيط عليه ويرمى بها إلى الطريق ليتوهم من رآها أنها ميتة ، فإذا خرج أخذها ، وإن كان الرجل ينزع نَصْل سيفه فيطرّحه ويملاً الجفن غلّوا ويضع قائم السيف على الجفن .

فلما ركبوا السفن وتوجهوا سمعوا منادياً ينادى ، اللهم غرق بهم ؛ فتقلدوا المصاحف ففرقوا جميعاً إلا عبد الرحمن الحُبْلِي وحش بن عبد الله السَّبَّاحِي فإنهما لم يكونا نَدِيَا^(١) من الغلول بشيء .

(١) في نسخة = أخذوا .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ابن لميعة قال : سمعت أبا الأسود قال : سمعت عمرو بن أوس يقول ، بعثنى موسى بن نصير أفش أصحاب عطاء بن رافع مولى هزبل حين انكسرت مراكبهم ، فكفت ربما وجدت الإنسان قد خبأ الدنانير في خرقة في شيء بين خصيتيه ، قال : فرأى ابن الإنسان متسكناً على قصبه ، فذهبت أفنته ، فزاز عني ، ففضبت ، فأخذت القصبه ، فضرته بها ، فانكسرت ، وانتثرت الدنانير منها ، فأخذت أجمعها .

حدثنا عبد الملك حدثنا الليث بن سعد قال : بلغني أن رجلا في غزوة عطاء ابن رافع أو غيره بالمغرب غل ، فتحمل بها حتى جعلها في زفت ، فسكران يصيح عند الموت ، من الزفت من الزفت .

قال . وأخذ موسى بن نصير طارق بن عمرو ، فشده وثاقا وحبسه ، ومم بقتله ، وكان معتب الرومي غلاما للوليد بن عبد الملك ، فبعث إليه طارق ، إنك إن رفعت أسرى إلى الوليد ، وأن فتح الأندلس كان على يدي ، وأن موسى حبسني يريد قتلي ، أعطيتك مائة عبد ، وعاهده على ذلك .

فلما أراد معتب الانصراف ودع موسى بن نصير ، وقال له : لا تعجل على طارق ولك أعداء ، وقد بلغ أمير المؤمنين أمره ، وأخاف عليك وجده ، فانصرف معتب وموسى بالأندلس .

فلما قدم معتب على الوليد أخبره بالذي كان من فتح الأندلس على يدي طارق ، وبحبس موسى إياه ، والذي أراد به من القتل ، فكتب الوليد إلى موسى ، يقسم له بالله ، أن ضربته لأضربك ، وأثن قتلتك لأقتل ولدك به . ووجه الكتاب مع معتب الرومي .

فقدم به على موسى الأندلس ، فلما قرأه أطلق طارقا وخلي سبيله ، ووفى طارق لمعتب بالمائة عبد التي كان جعل له .

وخرج موسى بن نصير بغنائمه والجواهر والمائدة ، واستخاف على الأندلس
ابنه عبد العزيز بن موسى ، وكانت إقامة موسى بالأندلس سنة ثلاث وتسعين ،
وأربع وتسعين ، وأشهر من سنة خمس وتسعين .

فلما قدم موسى إفريقية كتب إليه الوليد بن عبد الملك بالخروج إليه ،
فخرج واستخلف على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى ، وسار بتلك الغنائم والهدايا
حتى قدم مصر ، ومرض الوليد بن عبد الملك ، فنكان يكتب إلى موسى يستعجله ،
ويكتب إليه سليمان بالسكت والمقام لميوت الوليد ، ويصير مامع موسى إليه .
وخرج موسى حتى إذا كان بطبرية أنهه وفاة الوليد ، فقدم على سليمان بتلك
الهدايا ، فسر سليمان بذلك .

ويقال . إن موسى بن نصير حين قدم من الأندلس لم ينزل القيروان ، خلفها
ونزل قصر الماء ، وضحت هنالك ، ثم شخص وشخص معه طارق .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : قفل موسى بن
نصير وافدا إلى أمير المؤمنين في سنة ست وتسعين ، ودخل القسطنطين يوم الخميس
ست ليال بقين من شهر ربيع الأول .

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره ، قال : فبينما سليمان يقرب تلك
الهدايا إذ انبعث رجل من أصحاب موسى بن نصير يقال له عيسى بن عبد الله
الطويل من أهل المدينة . وكان على الغنائم ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
إن الله أغناك بالحلل عن الحرام ؛ وإنى صاحب هذه المقاسم ؛ وأن موسى لم
يُخرجُ خُصْماً من جميع ما أتاك به .

فغضب سليمان وقام عن سريرته ، فدخل منزله ، ثم خرج إلى الناس فقال :
نعم ، قد أغفاني الله بالحلل عن الحرام ، وأمر بإدخال ذلك بيت المال .
وقد كان سليمان قد أمر موسى بن نصير برفع حوائجه وحوائج من معه ، ثم
الانصراف إلى المغرب .

قال : ويقال : بل قدم موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك ، والوليد مريض ، فأهدى إليه موسى المائدة ، فقال طارق ، أنا أصبْتُها .
فكذَّب به موسى .

فقال للوليد : فادع بالمائدة ، فانظر هل ذهب منها شيء .
فدعا بها الوليد ، فنظر ، فإذا برجل من أرجلها لا تشبه الرجل الأخرى .
فقال له طارق : سَلِّه يا أمير المؤمنين ، فإن أخبرك بما تستدل به على صدِّقه .
فهو صادق .

فسأله الوليد عن الرجل .
فقال : هكذا أصبْتُها .

فأخرج طارق الرجل التي كان أخذ منها حين أصابها ، فقال : يستدل أمير المؤمنين بها على صدِّق ما قلتُ له ، وأنى أصبْتُها .
فصدِّقه الوليد ، وقبل قوله ، وأعظم جائزته .

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : وكان عبد العزيز بن موسى بعد خروج أبيه قد تزوج امرأة نصرانية ، بنت ملك من أهل الأندلس ، يقال إنها ابنة لُذْرِيْق .
ملك الأندلس الذي قتله طارق ، فجاءته من الدنيا بشيء كثير لا يوصف .

فلما دخلت عليه قالت : مالى لا أرى أهل مملكتك يعظمونك ولا يسجدون .
لك كما كان أهل مملكة ابى يعظمونه ويسجدون له ؟

فلم يدر ما يقول لها ، فأمر بيباب ، فنُقِبَ له في ناحية قصره ، وجعله قصيراً .
وكان يأذن للناس ، فيدخل الداخل إليه من الباب حين يدخل مُنْكَسَّراً رأسه .
لقصر الباب ، وهى في موضع تنظر إلى الناس منه .
فلما رأت ذلك قالت لعبد العزيز : الآن قوى مملكتك .

وبلغ الناس أنه إنما نقب الباب لهذا .

وزعم بعض الناس أنها نصرته ، فثار به حبيب بن أبي عبيدة الفهري وزياد ابن النابغة التيمي ، وأصحاب لهم من قبائل العرب ، واجتمعوا على قتل عبد العزيز الذى بلغهم من أمره ، وأنوا إلى مؤذنه فقالوا : أذّن بليل لكي نخرج إلى الصلاة . فأذن المؤذن ، ثم ردّ التثويب ، فخرج عبد العزيز ، فقال لمؤذنه : لقد عجّلت وأذنت بليل .

ثم توجه إلى المسجد وقد اجتمع له أولئك نفر وغيرهم ممن حضر الصلاة ، فتقدم عبد العزيز ، وافتتح يقرأ . « إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ، خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ » ، فوضع حبيب السيف على رأس عبد العزيز ، فانصرف هارباً حتى دخل داره ، فدخل جناناً له ، وأختبأ فيه تحت شجرة ، وهرب حبيب بن أبي عبيدة وأصحابه ، واتبعه زياد بن النابغة ، فدخل على أثره ، فوجده تحت الشجرة : فقال له عبد العزيز : يا ابن النابغة ، نجّني ولك ما سألت .

فقال : لا تذوق الحياة بعدها .

فأجهز عليه ، واحترق رأسه .

وبلغ ذلك حبيباً وأصحابه ، فرجموا .

ثم خرجوا برأس عبد العزيز إلى سليمان بن عبد الملك ، وأمروا على الأندلس أيوب بن أخت موسى بن نصير ، ومرّوا على القيروان وعليها عبد الله بن موسى ابن نصير ، فلم يعرض لهم ، وساروا حتى قدموا على سليمان برأس عبد العزيز بن موسى ، فوضعه بين يديه ، وحضر موسى بن نصير ، فقال له سليمان :

أتعرف هذا ؟

قال : نعم أعرفه صوّماً قوّاماً ، فعليه لعنة الله إن كان الذى قتله خيراً منه .

وكان قتل عبد العزيز بن موسى كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن
الليث بن سعد في سنة سبع وتسعين .

قال : وكان سليمان عاتبا على موسى بن نصير ، فدفعه إلى حبيب بن أبي عبيدة
وأصحابه ليخرجوا به إلى إفريقية ، فاستغاث بأبيوب بن سليمان فأجازه ، وشفع
له إلى أبيه .

ويقال : إن سليمان أخذ موسى بن نصير ، فغرم له مائة ألف دينار ، وألزمه
ذلك ، وأخذ ما كان له ، فاستجار يزيد بن المهلب ، فاستوهبه من سليمان ،
فوهبه له وماله ، ورد ذلك عليه ولم يلزمه شيئا .

ومكث أهل الأندلس بعد ذلك سنين لا يجمعهم وال .

وعزم سليمان على الحج ، فأخرج موسى بن نصير على نصب جحره ، فخرج حتى
إذا كان بلمر^(١) توفي ، وكانت وفاته في سنة سبع وتسعين فيما حدثنا يحيى بن
بكير عن الليث بن سعد .

ثم ولي إفريقية محمد بن يزيد القرشي ، ولآه سليمان بن عبد الملك بمشورة
رجاء بن حيوة ، وصرف عبد الله بن موسى سنة ست وتسعين .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث قال : أمر محمد بن يزيد على إفريقية سنة
سبع وتسعين ، فلم يزل محمد بن يزيد واليا حتى توفي سليمان بن عبد الملك ، وكانت
وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الجمعة لعشر ليال بقين من
صفر سنة تسع وتسعين ، ففُزل ؛ وولى مكانه اسماعيل بن عبيد الله في الحرم
سنة مائة على حربها وخراجها وصدقاتها ، وكان حسن السيرة ، ولم يبق في ولايته
يومئذ من البربر أحد إلا أسلم ، فلم يزل واليا عليها حتى توفي عمر بن عبد العزيز ؛

(١) الأثر : بطن من بطون إصم ، والمراد مكان نزولهم .

وكانت وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الجمعة لعشر ليال
بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، فعزل وولى مكانه يزيد بن أبي مسلم كاتب
الحجاج ، ولأه يزيد بن عبد الملك فى سنة إحدى ومائة .

وعبد الله بن موسى بن نصير يومئذ بالمشرق ، فقدم مع يزيد بن أبي
مسلم إلى إفريقية حتى إذا كان قريباً منها تلقاه الناس ، فلما دخل القيروان عزم
يزيد بن أبي مسلم على عبد الله بن موسى بن نصير أن يذصرف إلى منزله ، فضى
عبد الله إلى داره ، وأمر يزيد الناس باتباعه حتى ظنوا أنه شريك معه .

فلما أدر عبد الله أخقه يزيد رسولاً ، بأن أعد من مالك عطاء الجند
خمس سنين .

ثم إن يزيد بن أبي مسلم أخذ موالى موسى بن نصير من البربر ، فوشم
أيديهم وجعلهم أخماساً ، وأحصى أموالهم وأولادهم ، ثم جعلهم حرسه وبطانته ،
وأخذ محمد بن يزيد القرشي ، فعدّ به وجلده جلداً وجيعاً ، فاستسقاء ، فسقاه رماًداً .

وكان محمد بن يزيد قد ولى عذاب يزيد بن أبي مسلم بالمشرق فى زمان
الحجاج ، فقال له يزيد : إذا أصبحت عذبتك حتى تموت أو أموت قبلك .

وكان قد بنى له فى السجن بيتاً ضيقاً ، فجعله فيه ، وكساه جبة صوف غليظة ،
وطبع عليها بخاتم من رصاص .

فلما تعشى يزيد بن أبي مسلم أتى فى آخر طعامه بعنب ، فتناول منه عنقوداً ،
وأهوى إليه رجل من حرسه — يقال له حريز — بالسيف ، فضربه حتى قتله ،
وأخذ رأسه ، ورمى بها المسجد عتمة .

فأقبل غلام ل محمد بن يزيد ، فدخل عليه السجن ، فقال : أئير فإن
يزيد قد قتل .

فقال له محمد : قد كذبت . وظن أنه دُسَّ إليه .

ثم أتبعه آخر من غلمانہ ، ثم آخر ، حتى توافوا سبعة .

فلما تيقن محمد بموت يزيد أعتق العبيد .

قال : ويقال ، بل كان حرس يزيد بن أبي مسلم حين قدم البربر ليس فيهم إلا بُتْرِيٌّ، وكانوا هم حرس الولاية قبله . البُتْرِيُّ^(١) خاصة ، ليس فيهم من البرانس أحد .

فخطب يزيد بن أبي مسلم الناس فقال : إني إن أصبحت صالحاً وسمتُ حرسى في أيديهم كما تصنع الروم ، فأقيم في يد الرجل اليُمْنَى اسمه ، وفي اليسرى حرسى ، فيعرفون بذلك من غيرهم .

فأنفوا من ذلك ، ودب بعضهم إلى بعض في قتله ، وخرج من ليلته إلى المسجد لصلاة المغرب ، فقتلوه في مُصَلَّاه ، وكان قتله كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد في سنة ثنتين ومائة .

فلما قتل يزيد بن أبي مسلم اجتمع الناس ، فنظروا في رجل يقوم بأمرهم إلى أن يأتي رأى يزيد بن عبد الملك ، فتراضوا بالمغيرة بن أبي بُرْدَةَ القرشي ، ثم أجد بنى عبد الدار .

فقال له عبد الله ابنه : أيها الشيخ ، إن هذا الرجل قُتل بحضرتك ، فإن قمتَ بهذا الأمر بعده لم آمن عليك أن يُلْزِمَكَ أمير المؤمنين قتله .
فقبل ذلك الشيخ .

فاجتمع رأى أهل إفريقية على محمد بن أوس الأنصارى ، وكان بتونس على غزو بحرهما ، فأرسلوا إليه ، فوآلوه أمرهم .

وكتب إلى يزيد بنجره بما كان ، فبعث في ذلك خاله بن أبي عمران ، وهو من أهل تونس ، فقدم على يزيد ، فقبل منهم ، وعفا عما كان من زلتهم .

(١) . فرقة من طائفة الزيدية .

قال خالد بن أبي عمران . ودعاني يزيد خالياً فقال : أي رجل محمد بن أوس؟

فقلت : رجل من أهل الدين والفضل ، معروف بالفقه .

قال : فما كان بها قرشي؟

قلت : بلى ، المغيرة بن أبي بردة .

قال : قد عرفته ، فما له لم يَقم؟

قلت : أبي ذلك ، وأحب العزلة .

فسكت .

واتهم الناس عبد الله بن موسى بن نصير أن يكون هو الذي عمل في قتل يزيد
ابن أبي مسلم ، فولّى يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان الكلبي إفريقية ، وذلك
في سنة ثنتين ومائة ، وكان عامله على مصر .

فخرج إلى إفريقية ، واستخلف على مصر أخاه حفظة ؛ فلما دخل إفريقية
بلغه أن عبد الله بن موسى هو الذي دسّ لقتل يزيد بن أبي مسلم ، وشهد على
ذلك خالد بن أبي حبيب القرشي وغيره .

فكتب بشر إلى يزيد بن عبد الملك ، فكتب يزيد إلى بشر بن أبي
صفوان يأمره بقتل عبد الله بن موسى بن نصير .

وهمّ بشر بتأخيره أياماً ، فقال خالد بن أبي حبيب ومحمد بن أبي صفوان :
عجل بقتله من قبل أن تأتيه عافيته من أمير المؤمنين .

وكانت أم عبد الله ابنة موسى بن نصير تحت الربيع ، صاحب خاتم يزيد ،
حكّام يزيد ، فأمر بعافيته ، وجعلت أخته للرسول ثلاثة آلاف دينار إن هو أدركه .
وأمر بشر بقتل عبد الله بن موسى ، فقتل ، وقدم الرسول بعافيته بعد أن
قتله في ذلك اليوم ، وبعث برأسه مع سليمان بن وائلة التميمي إلى يزيد ، فنصبه .

ثم وفد بشر بن أبي صفوان إلى يزيد بهدايا كان أعدّها له ، حتى إذا كان ببعض الطريق لقيته وفاة يزيد ؛ وكانت وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد ليلة الجمعة لأربع ليال بقين من شعبان سنة خمس ومائة .

وقدم بشر بتلك الهدايا على هشام بن عبد الملك ، فردّه على إفريقية ، فقدمها ، وتتبع أموال موسى بن نصير ، وغدّب عماله ، وولّى على الأندلس عنبسة بن سنجم الكلبي ، وعزل عنها الحرّ بن عبد الرحمن القيسي ، وقد كان بشر غزا البحر من إفريقية ، فأصابهم الهول ، فهلك لذلك من جيشه خلق كثير ، ثم توفي بشر بن صفوان من مرض يقال له الدُّبيلة^(١) في شوال سنة تسع ومائة .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : نزع بشر بن أبي صفوان عن إفريقية في سنة خمس ومائة ، وردّ إليها في حنة ست ومائة ، ومات في سنة تسع ومائة .

واستخلف بشر بن صفوان حين توفي على إفريقية نفاش بن قرط الكلبي فمزملة هشام ، وولّى عبيدة بن عبد الرحمن القيسي على إفريقية في صفر سنة عشر ومائة .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال : وولّى عبيدة بن عبد الرحمن إفريقية في المحرم سنة عشر ومائة ؛ فلما قدم عبيدة إفريقية وجّه المستنير بن الحبحاب الحارثي غازياً إلى صقلية ، فأصابته ريح ، فغرقته ، ووقع المركب الذي كان فيه المستنير إلى ساحل أطرابلس .

فكتب عبيدة بن عبد الرحمن إلى عامله على أطرابلس يزيد بن مسلم السكندى يأمره أن يشده وثاقاً ، ويبعث معه ثقة ، فبعث به وثاقاً ، فلما قدم على عبيدة جلده

(١) جاء في لسان العرب أن الدبيلة خراج ودمل كبير يظهر في الجوف ، فيقتل صاحبه .

جلداً وجيماً ، وطاق به القيروان على أنان ، ثم جعل يضربه في كل جمعة مرة حتى أبلغ إليه .

وذلك أن المستنير أقام بأرض الروم حتى نزل عليه الشتاء ، واشتدت أمواج البحر وعواصفه ، فلم يزل محبوساً عنده .

وكان عبيدة قد ولي عبد الرحمن بن عبد الله العكبي على الأندلس ، وكان رجلاً صالحاً ، فغزا عبد الرحمن إفريقية ، وهم أقاصى عدو الأندلس ، فقتل غنائم كثيرة وظفر بهم ، وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزبرجد ، فأمر بها فكسرت ، ثم أخرج الخمس ، وقسم سائر ذلك في المسلمين الذين كانوا معه .

فبلغ ذلك عبيدة ، فغضب غضباً شديداً ، فكتب إليه كتاباً يتواعده فيه ، فكتب إليه عبد الرحمن : إن السموات والأرض لو كانت رتقا لجعل الرحمن للمتقين منها خرجاً .

ثم خرج إليهم غازياً ، فاستشهد وعامة أصحابه ؛ وكان قتله فيما حدثنا يحيى عن الليث في سنة خمس عشرة ومائة .

فولي عبيدة على الأندلس بعده عبد الملك بن قطن ، ثم خرج عبيدة إلى هشام بن عبد الملك ، وخرج معه بهدايا ، وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : كان قدوم عبيدة بن عبد الرحمن من إفريقية سنة خمس عشرة ومائة ، وفيها أمر ابن قطن على الأندلس ، وكان فيما خرج به من العبيد والإماء ومن الجوار المتخيرة سبعائة جارية ، وغير ذلك من الخصيان والخليل والدواب والذهب والفضة والآنية .

واستخلف على إفريقية حين خرج عقبة بن قدامة التُّجِيبِيّ ، فقدم على هشام بهداياه ، واستعفاه فأعفاه ، وكتب إلى عبيد الله بن الحبحاب ، وهو عامله على مصر يأمره بالمسير إلى إفريقية ، وولاه إياها ، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ست عشر ومائة ؛ فقدم عبد الله بن الحبحاب إفريقية ، فأخرج المستنير من السجن ، وولاه تونس ، واستعمل ابنه إسماعيل بن عبيد الله على السُّوس ، واستخلف ابنه القاسم بن عبيد الله على مصر ، واستعمل على الأندلس عقبة بن الحجاج وعزل عبد الملك بن قطن .

ويقال : بل كان والي على الأندلس يومئذ عُنْبَسَةُ بن سُحَيْم الكلابي ، فعزله ابن الحبحاب وولى عقبة بن الحجاج ، فهلك عقبة بن الحجاج بالأندلس ، فردَّ عبيد الله عليها عبدَ الملك بن قطن .

وَعَزَّى عبيدُ الله حبيبَ بن أبي عبيدة الفهريّ السُّوسَ وأرض السودان ، فظفر بهم ظفراً لم ير مثله ، وأصاب ما شاء من ذهب ، وكان فيما أصاب جارية أو جاريتان من جنس تسميه البربر إيجان ، ليس لسكل واحدة منهن إلا ثدي واحد^(١) ، ثم غزاه أيضاً البحر ، ثم انصرف .

وانتقضت البربر على عبيد الله بن الحبحاب بطنجة ، فقتلوا عامله عمر بن عبد الله المرادي ، وكان الذي تولى ذلك مَيْسُرة الفقيه البربريّ ثم المِذْغَرِيّ ، وهو الذي قام بأمر البربر ، وادّعى الخلافة ، وتسمى بها ، وبويع عليها ، ثم استعمل ميسرة على طنجة عبد الأعلى بن جرميج الأفريقي ، وكان أصله روميّاً ، وهو مولّى لابن نصير ، ثم سار إلى السُّوس وعليها إسماعيل بن عبيد الله فقتله ، وذلك أول فتنة البربر بأرض إفريقية .

فوجه عبيد الله بن الحبحاب خالد بن أبي حبيب الفهريّ إلى البربر بطنجة ، ومعه

(١) رواية غريبة .

وجره أهل إفريقية من قريش والأنصار وغيرهم ، فقتل خالد وأصحابه ، لم ينج منهم أحد ، فسُميت تلك الغزوة غزوة الأشراف .

ويقال إن خالد أتى ميسرة دون طنجة ، فقتل ومن معه ، ثم انصرف ميسرة إلى طنجة ، فأنكرت عليه البربر سيرته وتغيره عما كانوا يأموه عليه ، فقتلوه ، وولّوا أمرهم عبد الملك بن قطن الحاربي .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : كان بين ميسرة الفقير وأهل إفريقية^(١) . . . وقتل إسماعيل بن عبيد الله وخالد بن أبي حبيب في سنة ثلاث وعشرين ومائة ، فوجه إليهم ابن الحبحاب حبيب بن أبي عبيدة ، فلما بلغ تلمسين أخذ موسى بن أبي خالد مولى لمعاوية بن حذّيج ، وكان على تلمسين ؛ وقد اجتمع إليه من تمسك بالطاعة ، فاتهمه حبيب أن يكون له هوى ، أو قد دُس للفتنة ، فقطع يده ورجله ، وكان مقبياً بتلمسين في جيشه ، وقتل عبيد الله بن الحبحاب إلى هشام بن عبد الملك ، وذلك في جمادى الأولى من سنة ثلاث وعشرين ومائة . ثم وجه هشام على إفريقية كلثوم بن عياض القيسى في جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وقدم بلج بن بشر أمّته ، فلما قدم كلثوم إفريقية أمر أهل إفريقية بالجهاز والخروج معه إلى البربر ، وقطع على أهل أطرابلس بعتاً ، فخرج في عدد كثير ، واستخاف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفاري ، وعلى الحرب مسلحة بن سودة القرشي ، فثار عليه بعد خروج كلثوم ، يريد بربر طنجة ، عكاشة ابن أيوب الفزاري من ناحية قايس ، وهو صُفْرِي^(٢) ، وأرسل أخاه له ، فقدم سبّرت ، فجمع بها زناً ، وحصر أهل سوق سبّرت في مسجدهم ، وعليهم حبيب بن ميمون . وبلغ الخبر صفوان بن أبي مالك وهو أمير على أطرابلس ، فخرج بهم ، فوقع على أخى الفزاري وهو محاصر أهل سبّرت ، فقاتلهم ، فانهزم الفزاري ، وقتل أصحابه من زناً وغيرهم ، وهرب إلى أخيه بقايس .

(١) بياض في الأصل قدر كلمتين .

(٢) الصفرية : قوم من الحورية ، يفسون إلى زياد بن الأصفر ، أو إلى صفره ألوانهم ، أو إلى خلوصهم من الدين .

وخرج مسلمة بن سودة في أهل القيروان إلى عكاشة بن أيوب بقابس ، فقاتلهم ، فانهزم مسلمة ، وقتل عامة من خرج معه ، ولحق بالقيروان ، وتحصن . عامة من كان مع مسلمة من أهل القيروان ، وعليهم سعيد بن بجرّة الغساني .

ويقال إن كلثوم بن عياض حين قدم من عند هشام خلف القيروان ، ولم ينزل به ولم يدخله ، ونزل سبيبه ، وهي من مدينة القيروان على يوم ، فأطرفها ، وكتب إلى حبيب بن أبي عبيدة ألا يفارق عسكره حتى يقدم عليه ، ثم شخص كلثوم غازيا حتى قدم على حبيب ، ثم رحلا جميعا بمن معها إلى طنجة ، وكان كلثوم حين خرج إلى البربر قدم بلج بن بشر القيسي على مقدمته في الخيل .

فلما قدم على حبيب رفضه وأهان منزلته ، ثم قدم كلثوم فتلّقه حبيب ، فهاون به أيضاً ، ثم خطب كلثوم الناس على ديدبان له ^(١) ، فظعن في حبيب وشتمه وأهل بيته ؛ وكان عبد الرحمن بن حبيب مع أبيه حبيب ، ثم نفذ كلثوم وحبيب ، فلما انتهى إلى مطاوبه من أرض طنجة تلقتة البربر بمجموعهم ، وعليهم خالد بن حميد الزناتي ثم الهتورني ، عراة متجردين ، ليس عليهم إلا السراويلات ، وكانوا أصغرية . وجاءوا جرّدين فأشار حبيب بن أبي عبيدة على كلثوم أن يقاتلهم ، الرجال بالرجالة ، والخيال بالخيال .

فقال له كلثوم : ما أغنانا عن رأيك يا ابن أم حبيب .

فوجه بلج بن بشر على الخيل ليدوسهم بها ، وكانت الخيل أوثق في نفس كلثوم من الرجالة ، وأن بلجاً أسرى ليلة حتى واقعهم عند الصبح ، واستقبلوه عراة متجردين ، فحملت عليهم الخيل ، فصاحوا وولّوا ورموا بالأوصاف ^(٢) ، فانهزم بلج جرّيحاً ، وتساقطت الخيول على كلثوم ، وقد تاهب وعي أصحابه ، فأرسل إلى

(١) هو البرج المنقل ، واللفظ فارسي .

(٢) المراد الخيل الراكضة ، ووصف البعير أسرع ، وأوضحته أوحفته في الركض .

حبیب بن أبی عبیدة فقال : إن أمير المؤمنين أمرني أن أُولِّيك القتال ، وأُعَدَّ لك على الناس .

فقال حبیب : قد فات الأمر .

وزحفت رجاله البربر على إثر الخيل حتى خالطوا كلثوما وأصحابه ، فأقسم حبیب على ابنه عبد الرحمن ألا ينزل راجلا ، وأن يلزم بَلَجًا فيكون معه أسفًا حلى بَلَج ، فإنه مقتول .

وهلك كلثوم وحبیب ومن معهما ، وانهزم الناس إلى إفريقية ، وكان قتل كلثوم في سنة ثلاث وعشرين ومائة .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : قُتِلَ كلثوم في سنة أربع وعشرين ومائة ، قتلهم مَيْسرة ، وانهزم بَلَج بن بشر وثلعة الجذامي ، وبقية من أهل الشام إلى الأندلس ، فاتبعهم أبو يوسف الهواري ، وكان طاغية من طواغيت البربر ، فأدركهم ، فقاتلهم ، فقتل أبو يوسف ، وانهزم أصحابه ، ومضى بَلَج وثلعة إلى الأندلس .

وكان كلثوم قد كتب إلى أهل الأندلس وعليها عبد الملك بن قطن الفهري ، يأمرهم بإمداده والخروج إليه ، فوافاهم بَلَج وقد وقعوا إلى مجاز الخضراء ؛ وتقدم عبد الرحمن بن حبیب أمام بَلَج إلى الأندلس ، فقدمها ، وأمر عبد الملك بن قطن ألا يسمع لبَلَج ولا يطيعه .

ثم قدم بَلَج فأقام بالجزيرة ، وكتب إلى عبد الملك بن قطن يعلمه أنه خليفة لكلثوم ، وشهد له بذلك ثلعة الجذامي وأصحابه ؛ وكان الرسول فيما بينهما قاضي الأندلس .

فسلم عبد الملك بن قطن الولاية لبَلَج على كره من عبد الرحمن بن حبیب ، فخرج عبد الرحمن من قرطبة كارها لولاية بَلَج .

ثم إن بَلَجًا لما قدم قرطبة حبس عبد الملك بن قطن في السجن ، وثار عبد الرحمن بن حبيب ومعه أُمَيَّة بن عبد الملك بن قطن ، فجُمعا لقتال بَلَج .
فأخرج بَلَج عبد الملك بن قطن من السجن وقال له : قُم في المسجد فأخبر الناس أن كلثوما كتب إليك أني خليفة .

فقام عبد الملك فقال : أيها الناس ، إني والى كلثوم ، وإني محبوس بغير حق .
فضرب بَلَج عنقه .

ثم قدم عبد الرحمن بن حبيب بجموع ، فخرج إليه بلج ومن معه من أهل الشام ، وكان بينهم نهر ، فلما كان الليل عبر عبد الرحمن إلى قرطبة ، وخليفة بَلَج بها القاضي . وقد كان القاضي اتهم بدم عبد الملك بن قطن .
فأخذه عبد الرحمن بن حبيب فسمّل عينيه ، وقطع يديه ورجليه ، وضرب عنقه ، وصلبه على شجرة ، وجعل على جثته رأس خنزير ، وبَلَج لا يشعر .

ثم خرج من قرطبة ، فقاتله بَلَج ، فانهزم عبد الرحمن بن حبيب ، ثم جمع جمعا آخر ، فقتل بَلَج ومن معه . ويقال إن بَلَجًا لم يقتل ، إنما مات موتا .
حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : مات بَلَج في سنة خمس وعشرين ومائة بعد قتله ابن قطن بشهر .

ثم افترق أهل الأندلس على أربعة أمراء حتى أرسل اليهم حنظلة بن صفوان الكلبي بأبي الخطّار الكلبي ، فجمعهم ، وسأذ كر ذلك في موضعه إن شاء الله .
وقد كان كلثوم بن عياض كتب إلى عامله على أطرابلس ، صفوان بن أبي مالك يستمده ، فخرج إليه بأهل أطرابلس حتى قدم قابس^(١) ، فأنهى إليه خبر كلثوم ومن معه ، فأنصرف .

(١) قابس : مدينة في تونس ، تجاورها الواحات المخصبة العامرة ، وقدي أسس الفينيقيون في موضعها مدينة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

وقد كان خرج إليه سعيد بن بَجْرَة ومن تحصّن معه من أصحاب مسلمة بن
سَوادة الجذامي ، وتنحى الفزاري إلى نهر يقال له الجَمَّة على اثني عشر ميلاً من
قابس ؛ فلما رجع صفوان بن أبي مالك تحصن سعيد بن بَجْرَة وأصحابه بقابس .
وخرج عبد الرحمن بن عُقبة الغفاري في أهل القيروان إلى الفزاري ، فلقية فيما
بين قابس وبين القيروان ، فانهزم الفزاري ، وقتل عامة أصحابه .

ثم وجه هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان في صفر سنة أربع وعشرين
ومائة ، وكان عامله على مصر ، فلما قدم إفريقية كتب إليه أهل الأندلس وأهل
الشام وغيرهم ، يسألونه أن يبعث إليهم والياً ، فبعث أبا الخطاب .

فلما قدمها أدوا إليه الطاعة ، فولياها ، ودانت له ، وفرق جمع بلج بن بشر
وعبد الرحمن بن حبيب ، وأخرج ثعلبة بن سلامة في سفينة إلى إفريقية ، ثم
أخرج بعده عبد الرحمن بن حبيب ، وأخرج مع ثعلبة أهل الشام ، فكانوا
بالقيروان مع حنظلة .

ثم إن حنظلة بن صفوان أخرج عبد الرحمن بن عقبة الغفاري إلى عكاشة
ابن أيوب الفزاري ، وقد جمع جمعا بعد انهزامه من قابس ، فلقية بمن معه ،
فانهزم الفزاري ، وقتل عامة أصحابه .

ثم جمع أيضاً ، فلقية عبد الرحمن بن عقبة ، فهزموه ، ثم جمع جمعا آخر ، وقدم
عبد الواحد بن يزيد الهواري ثم المدّهمي ، وكان صُفْرِيّاً مجامعاً للفزاري على قتال
حنظلة بن صفوان ، فخرج إليها عبد الرحمن بن عقبة في أهل إفريقية ، فقتل
عبد الرحمن بن عقبة وأصحابه .

وكان مقتل عبد الرحمن بن عقبة كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن
سعد في سنة أربع وعشرين ومائة .

ثم مضى عبد الواحد بن يزيد فأخذ تونس واستولى عليها ، وسُلم عليه

بالخلافة ، ثم تقدم إلى القيروان ، وانتبذ الفزارى بعسكره ناحية ، وكلاهما يريد
القيروان ، يتبادران إليها ، أيهما يسبق صاحبه فيغنم .

فلما رأى حنظلة ماغشيه من جموع البربر مع الفزارى وعبد الرحمن احتفر
على القيروان خندقا ، وزحف إليهم عبد الواحد ، وكتب إلى حنظلة ، يأمره أن يُخْلَى
له القيروان ومن فيه ، فأسقط في أيديهم وظفوا أنهم سَيُسَبِّحُونَ ، حتى إن كان
حنظلة لَيَبْعَثُ إلى الرسول منهم ليأتيه بالخبر فما يخرج إلى مسيرة ثلاثة أميال إلا
بخمسين دينارا .

فلما غشيه عبد الواحد ، وكان القيروان على شبيهة بمرحلة ، بمكان يقال له
الأصنام ، ونزل الفزارى من القيروان على ستة أميال ، وكان مع عبد الواحد أبو
قرّة العقيلي ، وكان على مقدمته ، فسكتب حنظلة إلى الفزارى كتابا يرغبه فيه ،
وَيُؤَيِّدُهُ رجاء ألا يجتمعا عليه ، فلا يقوى عليهما ، وخاف اجتماعهما ، وكان عكاشة
أقرب إلى حنظلة .

فصَبَّحَ عبد الواحد الأصنام بجموعه ، وزحف حنظلة إلى الفزارى لقربه منه ،
وخرج معهم بأهل القيروان ، فخرج قوم آيسون من الحياة للذي كانوا يتخوفونه من
سبي الفزارى وذهاب النساء والأموال ، وجعل عليهم محمد بن عمرو بن عقبة ،
فلقيهم بالأصنام ، فهزم الله عبد الواحد وجمعه ، وقتل ومن معه قتلا ما يُدْرَى
ما هو ، وهرب من هرب منهم .

فلما فتح لحنظلة عاجل عكاشة الفزارى من ليلته ، فقائله بالقرن ، ولم يكن
بلغ عكاشة هزيمة عبد الواحد ، فهزمه الله ومن معه من أصحابه ، وهرب عكاشة
حتى انتهى إلى بعض نواحي إفريقية ، فأخذه قوم من البربر أسيرا حتى أتوا به
إلى حنظلة ، فقتله .

وكان عبد الواحد ومن معه صُفْرِيَّة ، يستحلون سبي النساء ؛ وكان قتل عكاشة
وعبد الواحد كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث سنة خمس وعشرين ومائة .

وقد كان حنظلة عند ما كان من حلول عبد الواحد بالأصنام ، وعكاشة بالقرن ، وقرُّبا من القيروان كتب إلى معاوية بن صفوان عامله على أطرابلس ، يأمره بالخروج إليه بأهل أطرابلس ، فخرج حتى انتهى إلى قابس ، فبلغه ما كان من هزيمة عبد الواحد وعكاشة ، فكتب إليه حنظلة ، في برز خرجوا بنفزاوة^(١) ، وسبوا أهل ذمتها ، أن امض إليهم .

فسار إليه بمن معه ، فقاتلهم ، فقتل معاوية بن صفوان ، وقتل الصُفْرِيَّة ، واستنقذ ما كانوا أصابوا من أهل الذمة ، فبعث حنظلة إلى جيش معاوية ذلك زيد بن عمرو السكلي ، فأنصرف بهم إلى أطرابلس .

وكان عبد الرحمن بن حبيب بتونس ، وكان ثعلبة بن سلامة الجذامي مع حنظلة ، فلما بلغ من إفريقية من أهل الشام قتل الوليد بن يزيد خرج عامة قوادهم ، وخرج ثعلبة بن سلامة إلى المشرق .

وكان قتل الوليد كاحداثا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الخميس لثلاث ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة .

فخرج عبد الرحمن بن حبيب بتونس ، وجمع لقتال حنظلة بن صفوان وإخراجه من إفريقية ؛ فلما بلغ ذلك حنظلة أرسل وجوه إفريقية إلى عبد الرحمن يدعوه إلى الدِّعة والكف عن الفتنة ، فساروا ، فلما كانوا ببعض الطريق بلغتهم ولاية مروان بن محمد ، فأرادوا الانصراف .

وبلغ عبد الرحمن أن حنظلة قد أرسل إليه رسلا ، وكانوا خمسين رجلا ، وأنهم يريدون الانصراف ، فأرسل إليهم خيلا ، فأصرفهم إليه ، ووجد عبد الرحمن عليهم لخروجهم إليه ، وكانوا قد كانوا قبل ذلك مِرًّا من حنظلة ؛ فلما بلغتهم ولاية مروان نزعوا عن ذلك ، فبعث بهم إلى تونس في الحديد .

وكتب عبد الرحمن إلى حنظلة أن يخلّى له القيروان وأن يخرج منها ، وأجله

(١) نفزاوة : مدينة بالجزائر في شمال إفريقية ، مشهورة بنخلها وتمازها ، ويطلق اسم نفزاوة في الجزائر على مجموعة من الواحات ، فيها الآبار الإرتوازية .

ثلاثة أيام ، وكتب إلى صاحب بيت المال ، ألا يعطيه ديناراً ولا درهما إلا ما حل له من أرزاقه .

فلما قرأ حنظلة الكتاب هم بقتله ، ثم حجزه عنه الورع . وكان ورعاً ؛ فخرج من خف معه من أصحابه من أهل الشام ؛ وذلك في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين ومائة ؛ ودخل عبد الرحمن بن حبيب القيروان في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة .

ثم بعث عبد الرحمن أخاه ابن حبيب عاملاً على أطرابلس ؛ فأخذ عبدالله بن مسعود التجيبي ؛ وكان إباضيًّا^(١) ورئيساً فيهم ؛ فضرب عنقه ، واجتمعت الإباضية بأطرابلس ؛ فعزل عبد الرحمن أخاه ، وولى حميد بن عبد الله العمكي . وكان على الإباضية حين اجتمعت عبد الجبار بن قيس المُرادي ، ومعه الحارث بن تليد الحضرمي ، فحاصروا حميد بن عبدالله في بعض قرى أطرابلس ، ووقع الوباء في أصحابه ؛ فخرج بعهد وأمان .

فلما خرجوا أخذ عبد الجبار بن قيس نصير بن راشد مولى الأنصار فقتله ، وكان من أصحاب حميد ، وكانوا يطلبونه بدم عبدالله بن مسعود التجيبي المقتول ، واستولى عبد الجبار على زناته وأرضها .

فكتب عبد الرحمن بن حبيب إلى يزيد بن صفوان الماعري بولاية أطرابلس ، ووجه مجاهد بن مسلم الهواري يستألف الناس ، ويقطع عن عبد الجبار هواره وغيرهم .

فأقام مجاهد في هواره أشهراً ، ثم طرده ، فلحق يزيد بن صفوان بأطرابلس ، فوجه عبد الرحمن بن حبيب محمد بن مقرون في خيل ، وكتب إلى يزيد بن صفوان بالخروج معه ، فخرجوا ، فلقبهم عبد الرحمن بن قيس والحارس بن تليد بمكان من أرض هواره ، فقتل يزيد بن صفوان ومحمد بن مقرون ، وانهزم مجاهد بن مسلم إلى أرض هواره

(١) الإباضية فرقة من الخوارج أصحاب عبد الله بن إباح التيمي ، ولهم هوى ينسبون إليه .

فقتل عبد الرحمن بن حبيب واجتمع إليه جمع كثير، فزحف بهم إلى عبد الجبار والحارث بن تليد، فلقبهم بأرض زناتة، فانهزم عمرو بن عثمان وأصحابه، واستولى عبد الجبار والحارث على أطرابلس كلها.

ثم خرج عمرو بن عثمان إلى دغوغا، ومعه مجاهد بن مسلم، واتبعه الحارث ابن تليد، فوجه عمرو من دغوغا إلى أرض الصحراء، فأدركه الحارث، فتقدم عمرو إلى سُرْت، فأدركته خيل الحارث، فقتلوا نفرًا من أصحابه، ونجا عمرو على فرسه جريحًا، واحتوى الحارث على عسكره، واستفحل أمر عبد الجبار والحارث؛ ثم اختلف أمرهما، وتفاقم ما بينهما، فاقتتلا، فقتل عبد الجبار والحارث جميعًا.

فولى البربر على أنفسهم إسماعيل بن زيادة النّفوسى، فعظم شأنه وكثر بيعه، فخرج إليه عبد الرحمن بن حبيب حتى إذا كان بقابس قدم ابن عمه شعيب بن عثمان في خيل، فلقبه إسماعيل، فقتل إسماعيل وأصحابه، وأسير من البربر أسارى كثيرة.

وكان عبد الرحمن مقيمًا في عسكره ولم يشهد الواقعة، فنهض حتى فتح له إلى سوق أطرابلس ومعه الأسارى، وكتب إلى عمرو بن عثمان، فقدم عليه من أرض سُرْت، وقدم الأسارى، فضرب أعناقهم وصلبهم، واستعمل على أطرابلس عمرو بن سويد المرادى، وأمره أن يُنقل.

فہرس الموضوعات

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢	وصية رسول الله يا قبسط .	١٩٥	خييل مصر .
٦	فضائل مصر .	١٩٨	مقاسمة عمر بن الخطاب المال .
٩	سكنى القبط بمصر .	٢٠٢	ذكر النيل .
١٤	إبراهيم الحليل في مصر .	٢٠٤	ذكر الجزيرة .
١٨	المالقة بمصر ، وأمر يوسف .	٢١١	ذكر المقطم .
٢٠	استنباط الفيوم .	٢١٣	استبطاء عمرو بن الخطاب عمرو
٢٤	دخول أهل يوسف مصر، ووفاته بمقرب		ابن العاص في الحراج .
٢٨	وفاة يوسف التى .	٢١٧	نهى الجند عن الزرع .
٢٩	ملوك مصر بعد يوسف .	٢١٨	حفر خليج أمير المؤمنين .
٣١	نقل عظام يوسف إلى الشام .	٢٢٧	فتح الفيوم .
٣٥	خروج بى إسرائيل من مصر .	٢٢٩	فتح روفة .
٤٠	الملكة دلوكة .	٢٣٠	ذكر أطرابس .
٤١	عمل البرابي	٢٣٢	غزو إفريقية .
٤٢	ملوك مصر بعد دلوكة .	٢٣٣	عزل عمرو بن العاص عن مصر .
٤٦	دخول تحت نصير مصر .	٢٣٥	انتفاض الإسكندرية .
٥٠	ظهور الروم وفارس على مصر .	٢٣٨	خراب خربة وردان .
٥٢	انكشاف فارس عن الروم .	٢٣٩	فتح الاسكندرية الثانى .
٥٦	بناء الإسكندرية .	٢٤٠	قدوم عمرو على عمر .
٦٤	كتاب رسول الله إلى المقوقس .	٢٤٢	وفاة عمرو بن العاص .
٧٦	سبب دخول عمرو بن العاص مصر .	٢٤٣	وصية عمرو بن العاص .
٨٠	فتح مصر .	٢٤٦	فتح إفريقية .
١٠٦	فتح الاسكندرية الأول .	٢٥٢	فتح بلاد النوبة .
١٢٣	القول بأن مصر فتحت بصالح .	٢٥٥	ذكر ذى الصوارى .
١٢٩	" " " " " " " " " "	٢٥٨	رباط الاسكندرية .
١٣٢	ذكر الخطط .	٢٦٠	غزاة المغرب .
١٤١	الخطط حول جامع عمرو .	٢٦٠	معاوية بن حديج .
١٧٥	خطط الجزيرة .	٢٦٢	عقبة بن نافع .
١٧٧	أخاند الإسكندرية .	٢٦٥	أبو المهاجر ، ديشار .
١٧٨	الزيادة فى مسجد عمرو .	٢٦٧	مقتل عقبة بن نافع .
١٨١	القوائم .	٢٦٩	حسان بن النعمان .
١٨٩	خروج عمرو إلى الريف .	٢٧٢	مقتل زهير بن قيس .
١٨٩	خطبة عمرو بن العاص .	٢٧٤	موسى بن نصير .
١٩٢	مرتبه الجند .	٢٧٥	فتح الأندلس .

رقم الإيداع: ٩٩/٧٥٧٥

شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: ٣٩٠٤٠٩٦